٧١٣٢

NURUOSMANİ
2004
2418

ج ١ ابوطالب مكي قوت القلوب طبع ١٣١٨

شرح آداب المريدين لعلي القاري نسخ

٢٣

واجمعوا على ان الله تعالى واحد ٥
واجمعوا على ان القران كلام الله وانه غير مخلوق ٧
واجمعوا على جواز رؤية الله تعالى ٧
واجمعوا على الاقرار [illegible] ٧
واجمعوا على ان الله تعالى خالق افعال العباد ٩
واجمعوا على تفضيل الرسل ١١
واجمعوا على ان طلب الحلال فريضة بعد الفريضة ١١
فصل الفقير (?)
واجمعوا على ان كال الايمان ١٢
واجمعوا على اباحة الكسب ١٣
واجمعوا على ان الفقير افضل من الغني ١٣
واجمعوا على ان ترك الاشتغال بالمكاسب ١٥
واجمعوا على ان افعال العباد ١٦
واجمعوا على اثبات كرامات الاولياء ١٨
واجمعوا على اباحة لبس سائر الانواع من الثياب ١٩
واجمعوا على اجتناب تحسين الصوت ٢١
فصل فروع الفقه واحكامه ٢٦
فصل في ذكر اقاويلهم في التصوف ٣٢
فصل في بيان احكام المذهب ٣٤
فصل واجل خصالهم اخلاقهم ٣٧
فصل اما المقامات فانها مقام العبد ٤٢
فصل واما الاحوال فانها معاملات القلوب ٤٣
فصل في ذكر اختلافات المسالك ٤٥
فصل في ذكر قولهم في فضل العلم ٤٦
فصل في ذكر ادابهم في مجاوزتهم ٤٨
فصل واما الشطحات [illegible] ٥١
فصل في ذكر ادابهم في حال البداية ٥٣
فصل ويجتهد في مراعاة نفسه ٦٤
فصل في ذكر ادابهم في صحبة بعضهم بعضا ٦٦
فصل في ذكر ادابهم في الاسفار ٨٦
فصل في ذكر ادابهم في اللباس ١٠١
فصل في ذكر ادابهم في الاكل ١٠٤
فصل في ذكر ادابهم في النوم ١١٠
فصل في ذكر ادابهم في السماع ١١٢
فصل في ادابهم في التزويج ١٢١
فصل في ادابهم في السؤال ١٢٤
فصل في ذكر ادابهم في حال المرض ١٢٧
فصل في ذكر ادابهم في حال الموت ١٢٨
فصل في ذكر ادابهم وقت البلاء ١٣١
فصل في ذكر ادابهم في الرخص ١٣٦

NURUOSMANIYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı: Nuruosm.
No: 2004
Eski kayıt: 2418
Tasnif No: 297.3=927

كرابب
١٥

١٤٩
١٥١

الحمد لله سبحانه وتعالى
كتب هذه النسخة الجليلة وانا الفقير
حافظ حسن المعروف بامام زاده
وسح القرا بالمدينة المنورة عفي له

كتاب فتح ابواب الدين في شرح
اداب المريدين تاليف الشيخ
الامام العلامة علي بن سلطان
محمد القاري الهروي
المكي رحمة الله
عليه

٢٤١٨

الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

٢٠٠٤

هذا وقف ظل الله المخصص والنور اللامع المشخص السلطان ابن السلطان
السلطان ابو المحاسن عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان
وفقه الله في حل رموز الايام وجعل الطافه سائرة
على العباد بالسلام وانا الداعي لدولته
الحاج ابراهيم حنيف المفتش باوقاف
الحرمين الشريفين
عفي له

بسم الله الرحمن الرحيم رب انعمت فزد يا كريم

الحمد لله الذي ادبنا واحسن تاديبنا بتعليم كتابه في جميع ما يحتاج اليه من فصوله
وابوابه والصلوة والسلام على سلالة انبيائه وخلاصة احبابه وعلى آله
وذريته واتباعه واشياعه واصحابه المتخلقين باخلاقه المتادبين بادابه والمتمسكين
باذيال اعتابه الملتمسين للوصول من ملازمة بابه اما بعد فيقول المفتقر الى رب
رتبه البارى الغنى علي بن سلطان محمد القارى الهمهما الله بلطفه الخفى وكرمه الوفى ان
هذا تعليق على بعض مغلقات كتاب اداب المريدين وهو احسن موضوع من علوم الدين
لاشتماله على زبدة ما في الكتاب المبين وعمدة ما ثبت عن سيد المرسلين واجمع عليه السلف
والخلف من الائمة المجتهدين ومصنفه من اعظم المشايخ المعتبرين والعلماء العارفين
رضوان الله عليهم اجمعين وهو ضياء الدين ابو النجيب عبد القاهر بن محمد السهروردى
مصنفات كثيرة وكرامات شهيرة توفى في شهور سنة ثلاث وستين وخمسمائة
ونسبه في النسب الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه باثنى عشر واسطه في الطريق
الى الامام احمد الغزالي اخي حجة الاسلام متصله ومن مريديه الشيخ روزبهان
الكبير المصري والشيخ اسمعيل القصري واخذ عنهما الشيخ نجم الدين الكبرا وامثاله من
العارفين الكبراء قدس الله تعالى اسرارهم وافاض علينا انوارهم روى عن الشيخ
ابي النجيب [illegible] كان الشيخ حماد الدباس اول شيخ فتح الله على بركته وكان دباسة
لا يدخلها زنبور ولا ذباب وروى عنه كرامات عجاب وقد دخل الشيخ عبد القادر
على الشيخ حماد يزوره فنظر اليه الشيخ كانه اصطاد بازيا فاثرت نظرة الشيخ فيه فخرج

من عنده

من عنده وتجرد من اسبابه وكان من كبار اصحابه وعن الشيخ شهاب الدين
السهروردى قال كنت مرة مع شيخنا ابي النجيب بسوق السلطان ببغداد
فنظر الى شاة مسلوخة معلقة عند جزار فوقف عنده وقال له ان هذه الشاة
يقول لى انها ميتة فغشى على الجزار وتاب على يد الشيخ قال ومررت معه مرة
اخرى على الجسر فراى رجلا يحمل فاكهة كثيرة قال له بعني هذه الفاكهة فقال
ولم قال انها يقول انقذني من يد هذا فانه اشترانى يشرب على الخمر فاغمى على
الرجل وسقط لوجهه ثم اتى الشيخ وتاب على يده وقال والله اعلم بهذا الحال
الذي اخبر به الشيخ احدا سوى الله وانا قال واجتزت معه يوما بالكرخ فسمعنا
اخلاط اصوات سكارى في دار وشممنا رايحة منكرة فدخل الشيخ دهليز
الدار وصلى ركعتين فخرج من كان فيها صالحين فاذا الخمر الذي كان في الاوانى
قد صار ماء وتابوا كلهم على يد الشيخ قال وكنت مرة عنده فاتاه انسان
بعجل وقال يا سيدى هذا نذرناه لك وانصرف الرجل فجاء العجل حتى وقف
بين يدى الشيخ فقال الشيخ لنا ان هذا العجل يقول انى لست العجل وقال
الذي نذر لك بل نذرت للشيخ على بن الهيتى وانما نذر لك اخي او قال اخر
فلم يلبث ان جاء صاحب الثور وبيده عجل شبه الاول فقال للشيخ يا سيدى
انى نذرت لك هذا العجل ونذرت للشيخ على بن الهيتى اولا الذي اتيه
به اولا وكانا اشتبها على واخذ الاول وانصرف قال وحضر عنده مرة ثلاثة
من اليهود وثلاثة من النصارى فعرض عليهم الاسلام فابوا اباء عظيما فوضع
فى فم كل واحد منهم لقمة من لبن فما تم احد منهم يبلغها حتى اسلم فاسلموا
وقالوا لما خالط اللبن بواطننا نسخ منا كل دين غير دين الاسلام فقال الشيخ
وعزته المعبود ما اسلمتم حتى اسلم شياطينكم على يدى وانى استوهبتكم
من الله فوهبكم لى ثم مسح بيده على عيونهم فكشف لهم عن قرنائهم فخاطبوهم
بالاسلام قال الشيخ ابو اسعد اليافعى اليمنى الشافعى في تتمة روض الرياحين

واقر بصحة قوله

عبد القاهر بن محمد السهروردى

لحكايات الصالحين ان الشيخ ابا النجيب السهروردي كان من اعيان المحققين
واعلام العلماء العارفين صاحب الكشف الظاهرة والكرامات الخارقة والاحوال
النفيسة والمقامات الرفيعة والانفاس الصادقة وهو واحد من درس بالنظامية
وقصد للعبادة الاسلامية ووضع الكتب المفيدة بها في علمي الشريعة والحقيقة
وكان يلقب بمفتي العراقين وقدوة الفريقين وهو احد اركان هذا الشان وائمة
ساداته واجلة قاداته انعقد عليه اجماع مشايخ الاسلام والعلماء الاعلام
بالاحترام واوقع الله له في الصدور بالقبول التام قال وكان يتمثل بهذه
الابيات شعر فتفنى الحقيقة عن ذاتها ويخفى الفتى عن عيان الحقيقة
وتبقى بلا انت فردا به انيسا تعدم بحارا عميقة وتقدم من غيبها ظافرا
بكل اشارة ذوق دقيقة تميت الحجاب وتحيي اللباب وهذا نهاية علم الطريقة
انتهى وممن انتسب اليه في التصوف اسناد زمانه وفريد اوانه دليل الطريقة
وترجمان الحقيقة صاحب العوارف المعارف الشيخ شهاب الدين ابو حفص عمر بن
محمد البكري السهروردي روي عنه انه قال كنت في اوائل امري اشتغلت بعلم الكلام
وحفظت كتبا متعدده في ذلك المرام وعمي كان يمنعني ولم امتنع الى ان اراد ان
يدخل يوما على القطب الرباني والغوث الصمداني الشيخ عبد القادر الجيلاني
وانا في خدمته ومتادب في حضرته فقال كن حاضر القلب فانك تدخل على
من يخبر قلبه عن الرب وانتظر بركات نظره ونفحات اثره فلما قعدنا قال
عمي يا سيدي هذا ولد اخي وهو مولع بعلم الكلام وكلما منعته ما نفعه وتوقف
في ذلك المقام فقال اي كتاب يحفظه فقلت الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني
فمسح يده الشريفة على صدري فوالله ما بقي لفظ مما كنت احفظه في مدة عمري
لكن امتلأت من العلوم اللدنية والعوارف الربانية ما اكتفيت به في امري
فقمت من عنده بلسان ناطق وجنان صادق وقال لي يا عمر انت آخر المشهورين
بالعراق وكان كذلك فانه صار شيخ الشيوخ في زمانه بالاتفاق وليس في تصانيفه

وتصانيفه

وتصانيف عمه ما فيه نوع مخالفة لظاهر الكتاب والسنة ولهذا تلقيهما بالقبول
جميع الامة وقد قال سيد الطائفة من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث فلا تقتدي
بقوله ولا بفعله والسهرورد قرية من قرى بغداد ثم فتح هذا الباب اليقين للشيخ
شهاب الدين انما كان ببركة حسن اعتقاده في الاولياء ونور ارادته في الاصفياء
لما سبق له من سيادة السعادة بخلاف السعد التفتازاني حيث قال له خواجه
بهاء الدين النقشبندي حين رآني بيده ظرفا من الماء تعال الينا واقبل علينا لنلاه
علا مما لدينا فقال منكرا اخاف اني افقد الماء ايضا بقربك لعدم ما عندي من
حبك فبعد عن مقام القرب وقنع بحجب الكتب ولم يدر من كمال الغرور والعجب
ان نظر الاولياء اكسير تاثير كسير فحال كلب اصحاب الكهف وكلب الشيخ نجم الدين
الكبرى امر شهير وهو سبحانه علي ما بينا فدبر ثم اعلم ان الادب ما يحمد علما
وقولا وعملا وقد ورد ادبني ربي فاحسن تاديبي وهو يشمل الاعتقادات الدينية
والاعمال الظاهرة البهية المعبر عنها بالشريعة العلية والاخلاق الباطنة السنية
المسمى بالطريقة والاحوال الناشئة عنهما المترجم بالحقيقة وقد ورد الشريعة اقوالي
والطريقة افعالي والحقيقة احوالي وسيأتي بسط الكلام على الادب في مقامه لانسب
ثم الارادة ترك العادة ولو كانت في صورة العبادة وهذا بالنسبة الى عوام السالكين
واما باعتبار مقام العارفين فهي ترك كل ارادة لم يردها الله ولذا قيل شعر اريد
وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وذلك لما في الحديث القدسي والكلام
الانسي اريد وتريد ولا يكون الا ما اريد وقد قيل لابي يزيد لما كان في مقام المزيد
وترقى عن حال المريد ما تريد يا ابا يزيد قال اريد ان لا اريد فقال نديم الباري شيخ
الاسلام عبد الله الانصاري صاحب منازل السائرين هذه ايضا ارادة عند
ارباب اليقين والمعنى ان التفويض والتسليم اسلم والرضا بالقضاء باب الله الاعظم
والله اعلم والتحقيق في مقام التدقيق ان عدم الارادة اول مقام المريد كما قال
قائل تكون مريدا ثم فيك ارادة اذا لم ترد شيئا فانت مريد واخر مقام المريد ان

يجعل ارادته تابعا لارادة الحق سبحانه فانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ثم ارباب
السير في مطلب الخير طائفتان احديهما السالك المجذوب المعبر عنه بالمريد وهو
طريقة نحو الكبروية الخلوتية من السيارين وثانيهما المجذوب السالك وهو طريقة
نحو النقشبندية الجلوتية من الطيارين والبهما الايماء في قوله تعالى الله يجتبي اليه
من يشاء ويهدي اليه من ينيب وفي الحقيقة لا يخلو كل من الجذبة والسلوك من اول سلوك
الطريقة الا ان الجذبة تختلف باختلاف اهلها من الضعف والقوة غايته ان الجذبة القوية
الوارد فيها جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين ما يكون الا اولا او اخرا
او باطنا او ظاهرا ومن كلام بعضهم من احبه الحق واراده اسكن في قلبه الاراده
فالمريد محب طالب والشوق لقلبه غالب ولليه سالب والمراد محبوب مطلوب
مأخوذ عنه مسلوب والى الجناب مجذوب قد ظهر الشوق وغلب اذ قد وجد
ما طلب وقطع الطريق وطواها وازال نفسه ونحاها ومحى الاكوان عن نظره
فما يراها فاول الجذبة الالهية ارادة الشخص سلوك طريق الصوفية البهية
فيحتاج الى آداب تفصل في ابواب اذا عرفت ذلك فاعلم ان الشيخ قدس سره
بدا بالبسملة وثنى بالحمدله فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين اقتداء بكتاب الله المجيد واقتفاء بحديث النبي الحميد حيث قال
كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله وفي رواية بحمد الله فهو اقطع وفي رواية فهو ابتر
وثلث بالتصلية عملا بقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه بحمد الله
والصلوة علي فهو اقطع اي ممحوق البركة فقال وصلواته اي انواع رحماته واصناف
صلاته على خاتم النبيين كما هو بداية الخلق اجمعين سيدنا اي مولانا وسندنا محمد
اي من حمده الاولون والاخرون في مقامه المحمود عند احتياج الكل الى حوضه
المورود وظل لواء شفاعته الممدود وآله اي اتباعه واشياعه من ذريته و
واقاربه وغيرهم وصحبه اي اصحابه واحبابه الذين رأوه ورووا عنه واقاموا
بحفظ الكتاب والسنة اجمعين اي الى يوم الدين وحاصل الكلمات الوارده في

خطبته

خطبته الشفاعانة باسم الذات المستجمع للحسنى من الصفات المختص بالرحمة
العامة الشاملة لارباب الدنيا وبالرأفة الخاصة الكاملة لاصحاب العقبى ثم
اظهار ان كل حمد صدر من كل حامد فهو لله سبحانه المنعوت برب العالمين
وهو مالكهم وخالقهم ومربيهم على وفق ما قضى وقدر منهم ثم التوصل بنبيه الكريم
واتباعه المستقيم على الدين القويم ثم قال اعلم بالخطاب العام كقوله تعالى
فاعلم انه لا اله الا الله ارشدك الله اي دلك على سبيل هداه وخلصك عن التعلق
بما سواه ان كل طالب لشيء اي امر دنيوي واخروي علمي او عملي لا بد له اي لا فراق
له ولا خلاص منه بل ضرورة عليه ان يعلم ماهيته اي ماهية الشيء وهو ما هي
له وخلق لاجله وحقيقته كالعطف التفسيري او المراد به ما يتحقق وجود ذلك
الشيء به ويظهر كماله بسببه حتى يتكامل الرغبة فيه لان من لم يذق لم يعرف
ما يوافقه وما ينافيه ولئلا يكون طالبا للمجهول المطلق خصوصا وهو مريد الحق
اذ الطلاب ثلاثة طالب الدنيا وطالب العقبى وطالب المولى وهو المراد هنا فانه
الاولى فلا بد له من معرفة الله باعتبار صفاته دون حقيقة ذاته ومن معرفة طرق
مرضاته ولا يصح اي لا يصلح لاحد اي من المريدين لمقام التحقيق واليقين ان يسلك
طريق الصوفية المنسوبين الى الصفاء او صفة اهل الوفاء او لبس الصوف والعبا
الزاهدين في الدنيا الراغبين في العقبى التاركين غير رضى المولى فالاول اولى فان التصوف
حد كما قال الغزالي تجريد القلب لله واحتقار ما سواه فيكون المناسب له انهم
سموا به لتصفية قلوبهم كما قيل وليس يشهر بالصوفي غير فتى صافي فصوفي
حتى سمي الصوفي حتى يعرف عقائدهم اي الصحيحة وفق الكتاب والسنة الصريحة
ليكون من الفرقة الناجية عن مواقف الذل والفضيحة وادابهم اي ويعرف ادابهم
في ظاهرهم من افعال الشريعة وباطنهم من احوال الطريقة ويفهم اطلاقاتهم في محاوراتهم
اي في مكالماتهم ومؤلفاتهم ويعلم اصطلاحاتهم اي الخاصة في كلامهم اي في كلماتهم
الواردة حال جذباتهم وما في طي عباراتهم من رموزهم واشاراتهم حتى يصح له اي

لمن اراد ان یسلك طریقهم ان یجد وحذوهم ای یوافقهم ویتبعهم ویقفوای
یسلك اثرهم ای اثر اقدامهم فی افعالهم واقوالهم ای وفق احوالهم وصدق
امالهم فانه ای الشان من كثرة المدعین ای المطلبین جهل حال المحققین ای اشتبه
حالهم علی عموم المسلمین كما قیل وما ایسر الدعوی وما اعسر المعنی قبح مقالهم وسوء
فعالهم لكن لا یخفی علی العلماء المجتهدین وارباب الیقین من المشایخ العارفین الذین
بیدهم میزان الكتاب والسنة الممیزین بین اصحاب الحقیقة واهل البدعة الخارجة
عن جادة الطریقة وفساد الفاسدین الیهم یعود ای یرجع ولا یقدح فی صلاح الصالحین
والمعنی لا یضرهم فسادهم غیرهم كما قال تعالی من اهتدی فانما یهتدی لنفسه ومن ضل فانما
یضل علیها لكن قد یكون بعضهم ضال مضل فحینئذ یضر قربه ویكثر كربه والمعصوم
من عصمه الله وخصه بالدلالة علی طریق هداه فنستبد اولا ای فی اول امرنا المراد
نذكر مذهبهم فی اصل الاعتقاد ای لانه الاصل فی زاد المعاد الواجب علی جمیع العباد
اجمعوا علی ان الله تعالی واحد ای فی ذاته واحد فی صفاته الكمال منزه عن الحلول والاتصال
لا شریك له ای فی افعاله وتصرفاته ولا نظیر له فی تعیناته وتجلیاته اذ هو واجب الوجود
الموصوف بالكرم والجود وما عداه محدث مخلوق له بل فی نظر العارفین معدوم لیس
لغیره وجود محقق لا مطلق كما قالت السوفطائیه اذ حقائق الاشیاء ثابتة عند الطوائف
الاسلامیة ومن هنا قال بعض العارفین شعر سوی الله والله ما فی الوجود وقال
علیه السلام افضل كلمة قالها الشاعر قول لبید شعر الا كل شیء ما خلا الله باطل
ویشیر الیه قوله سبحانه كل شیء هالك الا وجهه ای مضمحل اذ لا وجود له بنفسه بل بایجاد
ربه ولذا شبه بسراب بقیعة یحسبه الظمآن ماء وبهباء یطیر فی ما بین الهواء وهنا
مزلة اقدام السالكین من الصوفیة ومنهم الطائفة الوجودیة وقد الفت فی هذه المسالة
رسالة مستقلة فعلیك بها فانها من الامور المهمة لتفرق بین الموحدین من ارباب الشهود
وبین الملحدین من اصحاب الجحود ولا ضد له ای لا مخالف لحكمه ولا معقب لامره ولا شبه له
ای بنوع من الشبه فی ذاته فانه منزه عن مشابهة مخلوقاته ولا ند له ای مشارك موافق له

سوف ترى اذا انجلى الغبار
افرس تحتك ام حمار

ان الله تعالی واحد

فی تصرفاته

فی تصرفاته لانه احدی فی ذاته وصفاته ولا یشتبه علیك كونك حیا وعالما وقادرا
ومریدا ومتكلما وسمیعا وبصیرا ان لك مشاركة فی صفاته فانها لا مناسبة بینهما الا
باسمائه دون مسمیاته بل هذه الاشیاء بعض انوار تجلیاته فان جمیع العباد محتاجون
الیه باعتبار الایجاد والامداد وهو غنی عن غیره كما هو المقتبس والمستمد من قوله
قل هو الله احد الله الصمد وهو موصوف بما وصف به نفسه فی ایات بیناته ویعلم
حقیقة ذاته وحصه صفاته ومنه قوله علیه السلام لا احصی ثناء علیك انت كما
اثنیت علی نفسك مسمی بما سمی به نفسه من الاسماء الحسنی والصفات العلی
كما قال تعالی ولله الاسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذین یلحدون فی اسمائه ای
یمیلون الی الباطل فی تعبیر

لیس بجسم ما كان

مؤلفا ای مركبا ولو من جزئین والمؤلف محتاج الی مؤلف وهلم جرا الی ان ینتهی الی محدث
قدیم وموجد كریم وانما عد المجسمة من الطوائف المبتدعة لانهم یقولون هو جسم لا كالا
جسام فهم كالبهایم والانعام ولا بجوهر وهو الجزء الذی لا یتجزی ولا یتصور كونه
مركبا فان الجوهر ما كان متحیزا ای محتاجا الی الحیز وهو المكان وهو خالق المكان و
والزمان اذ كان الله ولم یكن معه شیء والان علی ما علیه كان لانه لیس فی الكون
غیر ظهور انوار ذاته واسرار صفاته وتجلیاته وتصرفاته علی مخلوقاته وفق قضا
وقدره وارادته وهذا معنی قوله والرب سبحانه لیس بمتحیز بل هو خالق متحیز وحیز
كما هو مقتبس من قوله الله خالق كل شیء ولان كل شیء یحتاج الیه لكونه غنیا وغیره
فقیرا ثم الشیء لا یخلو عن كونه جسما او جوهرا او عرضا ولذا قال ولا هو بعرض ای
لان العرض یقوم بغیره والجوهر ما یقوم بنفسه والعرض یقوم به لا بدونه واذا لم یكن
جوهرا فبالاولی ان لا یكون عرضا فان العرض كاللون والطعم لا یبقی زمانین بل یفنی
ویبقی سریعا بحیث لا یدرك فناؤه وبقاؤه ففی الجملة یكون العرض فی معرض الزوال
كالجوهر مع انه فی مقام الكمال لقوله سبحانه كل شیء هالك الا وجهه كما یشیر الیه بصیغة

اسم الفاعل الدال على الحال والرب سبحانه اى انزهه عن سمة الفناء واجب البقاء
ذاته ابدى سرمدى كما انه ازلى صمدى ليس لاوله ابتداء ولا لاخره انتهاء وما ثبت
قدمه استحال عدمه واهل الجنة والنار وان كانوا من ارباب البقاء الان بقاؤهم بابقاء
الله اياهم بخلاف بقائه سبحانه فانه يكون بذاته فهو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا
نوم وخلاصة الكلام فى هذا المقام ان معنى البقاء فى حقه تعالى نفى عدم لاحق فى الابد
كما ان القدم عبارة عن نفى عدم سابق الازل فرجع القدم والبقاء فى حقه تعالى
الى السلب لان المراد بهما نفى العدم والله اعلم ولعل قوله واجب البقاء من باب
الاكتفاء عن قوله قديم اى لم يسبق وجوده عدمه والحاصل انه لا ابتداء لوجوده ولا
انتهاء لشهوده لا اجتماع له اى بشئ ولا افتراق له اى عن شئ فان كلا منهما فى حقه
من المحال فلا اتصال ولا اتحاد ولا انفصال واما ما وقع من ابن عربى فى خطبة الفتوحات
سبحان الذى اوجد الاشياء وهو عينها فباطل وعن التحقيق عاطل بل كفر ظاهر صريح
ليس له تأويل صحيح كما اوضحته فى الرسالة المذكورة ولا ابعاض له اى لا اجزاء له كما
تقدم من نفى الجسم الذى من لوازمه تركيب الاجزاء وفيه رد على الطائفة الحلولية
وكذا على الطبقة الوجودية لا يزعجه ذكر اى لا يقلقه ذكر شئ ولا ذكر ذاكر ولا يلحقه
فكر اى فى شئ ولا فكر متفكر ولا تحققه العبارات اى لا تثبت حقيقته وماهيته
عبارات العلماء الفضلاء ولا تعينه الاشارات اى ولا تبين كنه ذاته وصفاته اشارات
العرفاء البلغاء ولا يحيط به الافكار اى افكار المتفكرين ولا يدركه الابصار اى ابصار
المتبصرين لقوله سبحانه ولا يحيطون به علما وقوله لا يدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وكل شئ عنده بمقدار اى مقدر معلوم مبين باعتبار ذاته ومعين من حيث

من التشبيه فى الذات والصفات فهذا موجب الخلاف فى الوقف على
قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله وعليه جمهور العلماء او على قوله والراسخون فى العلم
وعليه بعض الفضلاء وهذا كله مبسوط فى محله اللائق بذكره ولما سئل الامام محمد بن

الحسن

الحسن عن الايات المتشابهات قال اقروها كما جاءت على مراد الله فيكون فى معناها
الاحاديث المشتبهة فى مبناها والحاصل ان توحيد البارى عز شانه وجل برهانه
لا يجرى ماهيته فى المقال ولا يخطر كيفيته فى المنال وتنزه عن الامثال والاشكال صفاته
قديمة كذاته وليس كمثله فى ذاته وصفاته جل ان يشبه بمبتدعاته او ان يضاف الى
مخترعاته لا سمى له فى ارضه وسمواته لا عديل له فى احكامه وارادته حرام على العقول
ان تمثل وعلى الاوهام ان تحد وعلى الظنون ان تقطع وعلى النفوس ان تفكر وعلى السرائر
ان تحيط وعلى الضمائر ان تعمق وعلى العقول ان تتصور الا ما وصف به ذاته فى
كتابه او على لسان نبيه نعتا فى بابه سئل بعضهم اى بعض العارفين من الصوفية
عن الله اى بطريق الاجمال فى اطلاق السؤال فقال مبينا لتفصيل الاحوال ان سألت
ايها السائل عن ذاته فليس كمثله شئ لانه قديم وباقى الاشياء حادث والحادث لا يعرف
القديم ولذا قيل ما للتراب ورب الارباب لان مبنى المعرفة على نوع من الجنسية ولقوله
تعالى ولا يحيطون به علما وقوله لا يدركه الابصار اى لا يحيط به وما لم يحط به بكماله
لا يطلع على مراتب حاله والحاصل ان سبحانه لا يعرف بذاته بل ببيان صفاته وان
سألت عن صفاته اى القطعية فهو احد فى مقام الفردانية صمد فى مقام الاستغناء
السرمدانية ويحتاج اليه جميع الاشياء كما قال تعالى والله الغنى وانتم الفقراء اى
فى الايجاد حال الابتداء وفى الامداد حال البقاء لم يلد اى ليس له ولد ولم يولد ولم يكن له كفوا
اى مثلا ونظيرا احد من خلقه والتوالد لا يكون الا بعض جنسه وحدوث انفسه ولانه
منزه عن الحدوث باصله وعن كونه محل الحوادث فى نفسه وقد قال تعالى سبحانه ان يكون
له ولد له ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا وفى هذا رد على اليهود والنصارى
حيث قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وعلى كفار العرب حيث
قالوا الملائكة بنات الله وان سألت عن اسمه اى الدال على وصفه فهو الله اى المعبود
والموجود الذى لا اله الا هو لا يصلح لغيره العبادة عالم الغيب والشهادة اى السر
والعلانية وهذا بالنسبة الى علم المخلوق نوعان والا فى حق سبحانه كل شهادة الا انه

لا يقال ليس عالم الغيب لتوهم نفي نوع علم من انواع علوم الخلائق على ان عالم الغيب مختص به في جميع مراتب الحقائق كما قال قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وانما يطلع على بعض المغيبات الخواص من انبيائه واوليائه في بعض الحالات هو الرحمن الرحيم اي المفيض بجلائل النعم ودقائقها في الدنيا والاخرى والعاقبة للتقوى وان سالت عن فعله فكل يوم اي آن هو اي باعتبار اثار صفاته واظهار مصنوعاته في شان من شيون يبديها لا يبتديها وقيل سوق المقادير الى اوقاتها وفي الحديث من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين وقيل يحدث اشخاصا ورجالا ويحدث افعالا واحوالا على ما سبق به قضاؤه ازلا وقولهم اي الصوفية من ارباب الصفاء في الاستواء اي الواقع في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى اي استولى على تاويل بعض الخلف فمختار الصوفية تبعا للسلف الاكرم ومنهم الامام الاعظم ما قاله مالك بن انس وهو الامام صاحب المذهب عالم المدينة وزاهدهم وعابدهم بعبارة حسنة واشارة مستحسنة حين سئل اي مالك عن ذلك اي عن معنى الاستواء فقال الاستواء معلوم اي لغة وعرفا في حق المخلوقين والكيف غير معقول اي والسؤال عنه بكيف ليس بمعقول في حق الخالق لوجوب تنزهه عن ظاهر ذلك والايمان به اي مع التنزيه عن التشبيه واجب اي اجمالا ولا يلزم احد معرفته تفصيلا والسؤال عنه بدعة اي حيث لم يكن السلف متعرضين بمثل هذه الاسئلة لانها انما تنشا عن شبهة احتمال حقيقة الاستواء ونحوه في حقه سبحانه وما احسن ما قال الامام حجة الاسلام ان ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جهالة وما سكتوا عنه فالكلام فيه ضلالة ولذلك مذهبهم في النزول اي حيث ورد في بعض الاحاديث من قوله نزل الله عز وجل الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى سؤاله هل من مستغفر فيغفر له فنزههم عن الانتقال من المكان الى المكان او من الحال الى الحال فان التغير عليه من جملة المحال ونفوا له نزولا كما يليق به من نزول التجلي المعنوي او الصوري الذي يحير فيه عقول ارباب الكمال

وقد

وقد اوله النزول بمعنى الاقبال على ارباب الوصول او بتقدير مضاف اي نزل رحمته او ملائكته واجمعوا ان القرآن اي ما بين الدفتين كلام الله اي اجمالا لقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقوله حتى يسمع كلام الله وانه غير مخلوق اي كما قاله الجهلة من المعتزلة والتحقيق انه غير مخلوق باعتبار الكلام النفسي واما باعتبار ظهوره في اللوح المحفوظ ونزوله الى السماء الدنيا ثم منجما في بضع وعشرين سنة فالمتكلمون على انه مخلوق كما اشار اليه قوله مكتوب في مصاحفنا اي باشكال الكتابة وصور الحروف الدالة عليه مقروا بالسنة اي مقروا بالسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة بآذاننا محفوظ في صدورنا اي بالفاظه المتخيلة والمعنى اي نفيه هكذا اجمالا كما انه تعالى معلوم في قلوبنا مذكور في السنتنا معبود في امكنتنا ومنه قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض وقوله وهو الله في السموات وفي الارض اي معبود فيهما بذاته ومشهور فيهما بصفاته من غير تعرض للكتابة ولا للتلاوة اي ولا المحافظة فلا يحكم عليهما بمخلوقية ام لا لان السنة لم ترد بذلك اي لظهور حدوثهما فعلا وخطا وحفظا هنالك واجمعوا اي الصوفية من اهل السنة ولا اعتداد بمخالفة المعتزلة على جواز رؤية الله تعالى بل على وقوعها مع تنزيهها عن المكان والجهة واتصال شعاع وثبوت مسافة كما في طريق المعرفة في الجنة بل في الاخرة [illegible] يوم القيمة لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون بالابصار اي بالاعين الظاهرة لقيامتهم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فانه فسر في الحديث الصحيح بالجنة والزيادة بالرؤية وقال بعضهم روى هذا التفسير عن النبي البشير سبع وثلاثون من الصحابة منهم الخلفاء الاربعة وانما نفى الله الادراك بالابصار اي في قوله سبحانه لا تدركه الابصار لان ذلك اي ادراك حقيقة ذاته يوجب كيفية اي في ماهيته واحاطة اي من جميع جهاته والله منزه عن ذلك لانه محيط بكل شيء ولا شيء يحيط به قال تعالى ولا يحيطون به علما وليس كذلك الرؤية اذ لا يلزم من رؤية الشيء الاحاطة به والنبي صلى الله عليه وسلم النظر بالنظر اي مجرده مع عدم النظر عن لوازمه لا المنظور

كلام الله تعالى غير مخلوق

على جواز رؤية الله تعالى

اليه بالمنظور اليه ليلزم تساويهما فى ما نسب اليه من البعد والجهة والمقابلة والانارة
والاستدارة ونحوها مما ينزه الله سبحانه عنها بقوله وفى نسخة فى قوله عليه السلام
كما رواه احمد والبخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن جرير
انكم اى ايها المؤمنون سترون ربكم اى عن قريب يوم القيمة كما فى رواية كما ترون
القمر وفى رواية كما ترون هذا القمر ليلة البدر كما فى رواية لا تضامون فى رؤيته روى
بفتح التاء وتشديد الميم وتخفيفها والمعنى ترون ربكم رؤية ظاهرة معاينة حال كونكم
لا ينضم بعضكم الى بعض للمزاحمة وروى بضم التاء وتخفيف الميم من الضيم وهو الضير
بمعنى الضرر اى لا يضر بعضكم بعضا فى المزاحمة والمحاجبة فالمشبه به اضعف من المشبه
بخلاف المشهور من العكس فى التشبيه وفيه تنبيه على انه لا يوجد شئ اظهر من
ظهوره ولا انور من نوره واختير القمر لان الشمس تحير النظر وقيده بليلة البدر لكمال
ظهوره وجمال نوره وفى صحيح البخارى عن ابى هريرة ان الناس قالوا يا رسول الله
هل نرى ربنا يوم القيمة قال هل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب فقالوا
لا يا رسول الله فقال هل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا قال فانكم ترونه
كذلك واجمعوا على الاقرار اى باللسان سواء يكون شطر الايمان او شرطه والايمان على الاقرار والايمان
وهو التصديق بالجنان ولم يذكر الاركان لاجماع اهل السنة انها من كمال الايمان
خلافا للخوارج والمعتزلة والمراد الايمان الاجمالى بجملة ما ذكر الله تعالى فى كتابه اى
بجميع ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من عند الله على مراد الله وما جاءت اى وبجملة
ما جاءت به الروايات عن النبى صلى الله عليه وسلم اى على مراد رسول الله اجمالا او تفصيلا مطلب الجنة والنار
كما بين بعضها بقوله من الجنة اى وثوابها والنار اى وعقابها وهذا لا خلاف فيه بين
المسلمين وانما الخلاف فى انهما مخلوقتان الآن ام يخلقان بعد هذا الزمان وعلى
الثانى المعتزلة وعلى الاول اهل السنة لقوله تعالى فى الجنة اعدت للمتقين وفى النار
اعدت للكافرين اى هيئت ومما بلفظ الماضى وحقيقته الاخبار عما وقع وكذا تواتر
الاخبار عن سيد الابرار بتفاصيل ما فى الجنة والنار للابرار والفجار واذا ثبت النقل

فلا

لوح فلا يلتفت الى توقف بعض ارباب العقل واللوح اى المحفوظ حيث قال تعالى فى لوح
محفوظ وعن ابن عباس هو لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه
ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت وقلمه نور وكلامه نور معقود بالعرش
والقلم وقال مقاتل عن يمين العرش والقلم حيث قال تعالى ن والقلم وما يسطرون وهو الذى
كتب به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال اول ما خلق الله القلم
مطلب قلم ونظر اليه انشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ
مطلب حوض بذلك ذكره البغوى والحوض اى الكوثر المشير اليه آية انا اعطيناك الكوثر وفى البخارى
عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن
مطلب صراط وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ ابدا والصراط المشار
اليه بقوله تعالى وان منكم الا واردها اى داخلها او حاضرها وهو جسر ممدود على متن
جهنم ادق من الشعر واحد من السيف رواه مسلم وفى البخارى عن ابى هريرة مرفوعا
يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فيكون اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ
الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم الحديث فمنهم من يمر كالبرق الخاطف
مطلب شفاعة ثم كالريح العاصف ثم كالطير ثم كالجواد المسرع ومنهم من يزحف ومنهم من يلقى
فى النار فى اول الوهلة او آخرها بحسب تفاوت الدرجات فى مراتب الطاعات والشفاعة
اى شفاعة الكبرى لنبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيمة فى المقام المحمود وشفاعة
سائر الانبياء والاصفياء والملائكة لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى اى
من المؤمنين واما الكفار فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقد ورد شفاعتى لاهل
مطلب ميزان الكبائر من امتى وروى انها للمطيعين لا بل هى لاصحاب الدماء والعظايم والمتلوثين
والميزان قال الله تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك المفلحون ومن
خفت موازينه الاية والمراد وزن الاعمال يوم السؤال وذلك بان الله سبحانه ينصب
ميزانا له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب والحكمة فى وزن الاعمال
امتحان الله عباده بالايمان به فى الدنيا واقامة للحجة عليهم فى العقبى وقد ثبت النقل

مطلب الصور

فلا يضر مخالفة المعتزلة من ارباب العقل فى اكثر مواقف القيمة ومحال الفضيحة والندامة
والصور قال تعالى ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون اى يسرعون
فى قبورهم الى موقف حضورهم وهذه النفخة الثانية وهى للاحياء والنفخة الاولى
لاماتة الاشياء وورد ان ما بين النفختين اربعون سنة وعذاب القبر اى للفاجر

مطلب عذاب القبر

والكافر الماخوذ من قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا
وفى الاخرة ومن قوله سبحانه النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة
ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ومن قوله عليه السلام عذاب القبر حق ومر على قبرين
فقال انهما ليعذبان رواهما الشيخان وقد تواترت الاحاديث فى هذا الباب يودى
بيانها الى الاطناب وسؤال منكر ونكير وهما ملكان موكلان للامتحان كما فى الترمذى

مطلب سؤال منكر ونكير

فيقولان للميت بعد ما يجلسانه من ربك وما دينك وما نبيك فيقول المؤمن ربى
الله ودينى الاسلام ونبيى محمد عليه السلام فيقال له نم كنومة العروس الذى
لا يوقظه الا احب اهله اليه ويقول الفاجر والكافر هاه هاه لا ادرى فيضرب
بمقامع من حديد ويعذب بانواع عقاب شديد وقد ثبت كل هذا باخبار صحيحة
وآثار صريحة واخراج قوم من النار اى من فساق المؤمنين بشفاعة الشافعين من الانبياء
والاصفياء والعلماء والاولياء والشهداء والصلحاء والفقراء والضعفاء والبعث
بعد الموت المقطوع به فى الكتاب والسنة فمن انكر فقد كفر اجماعا للامة فقد قال تعالى
وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده كما بدانا اول خلق نعيده
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة اى حفاة وعراة غرلا وان الجنة والنار خلقتا
للبقاء اى فلا يحدث لهما حالة الفناء وان اهلهما اى اهل الجنة فيهما اى فى الجنة
مخلدون اى دائمون منعمون بانواع النعيم على قدر درجاتهم حسب طاعاتهم
وحسن حالاتهم وان اهل النار مخلدون معذبون باصناف العقاب على قدر دركاتهم
وفق سيئاتهم وسوء مقاماتهم كما اخبر الله تعالى فى آيات كثيرة فى حق الطائفتين
هم فيها خالدون ولان العذاب لو انقطع عن الكافرين لالتذ ذا من حظ المؤمنين والثواب

لو

لو انقطع عن المؤمنين لحزنوا اكثر من الكافرين لان الفراق بعد الوصال يقطع الاوصال
كما ان الوصال بعد الفراق يوجب التسلى والاشتياق بالازراق غير اهل الكبائر من
المؤمنين اى ممن اراد الله تعالى تعذيبهم بل تاديبهم وتهذيبهم فانهم فى النار لا يخلدون
بل يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون مجازاة على ايمانهم لما روى البزار والطبرانى
حديث من قال لا اله الا الله نفعته يوما من دهره يصيبه قبل ذلك ما اصابه واسناده
صحيح كما قال شيخ مشايخنا الجلال السيوطى واجمعوا اى اهل السنة من الصوفية

فى ان الله تعالى خالق افعال العباد

على ان الله تعالى خالق افعال العباد من الخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية
كما انه خالق لاعيانهم لانهم اعمالهم اشياء حادثات والله خالق كل شئ من الممكنات
كما ذكر الله تعالى والله خلقكم اى اعيانكم وما تعملون اى ما تعملونه من اموالكم وافعالكم
وقد ورد ان الله خالق كل صانع وصنعته ولعموم قوله سبحانه هل من خالق غير الله
وان الخلق اى المخلوقات من ذوات الارواح كلهم يموتون باجالهم اى ولو فى حال
قتلهم وقتالهم والمراد بالاجل الوقت الذى كتب الله فى الازل انتهاء حياتهم فيه
قال تعالى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها واذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون وان الشرك اى الاشراك وسائر انواع الكفر والمعاصى واى
اصناف المعصية من الكبائر والصغائر بقضاء الله اى بحكمه الاجمالى وقدره اى
التفصيلى وفق علمه الازلى من غير ان يكون لاحد من الخلق على الله حجة بان يقول
ما الحكمة فى خلق آدم للطاعة وخلق ابليس للمعصية وكذا الكلام فى ابرهيم ونمرود

البالغ

وفى موسى وفرعون وفى محمد عليه السلام وابى جهل او فى ما السبب الباعث على خلق
السعداء للسعادة والاشقياء للشقاوة وجعلهما فريقين فريقا فى الجنة وفريقا
فى السعير واذا قيل انهما بمقتضى الجمال واظهار الفضل والعدل فى مقام الكمال
فيقال ما الموجب فى عدم عكس القضية فالجواب الصواب بل لله الحجة اى التامة الكاملة
السائغة وهو ما بينه بقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ويفعل الله ما يشاء
ويحكم ما يريد وفى الحديث القدسى والكلام الانسى خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى

وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى وهذا سر القضاء والقدر الذى لم ينكشف
لاحد من البشر فالامر كما قال عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقد ورد
لو واحد فى الله وابن مريم بعدله وعذبنا فهو غير ظالم فى فعله وانه لا يرضى لعباده
الكفر كما فى الاية والمعاصى اى وكذا لا يرضى لعباده المعاصى ولو كانت غير الكفر والرضا
غير الارادة والمعنى لا يحبسهما ولا يثيب اهلهما الا انه لا يريد وقوعهما ولا صدورهما
عن فاعلهما اذ اجمع السلف والخلف على انه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد قال
تعالى ولو شا الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد وفى هذا تنبيه نبيه للمريد
على ما يطلبه من ابواب المزيد ونعم ما قال بعض اهل الحال من لم يؤمن بالقدر فقد
كفر ومن احال المعاصى على الله فقد فجر ويرون الصلوة اى جوازها خلف كل بر وفاجر
لقوله تعالى واركعوا مع الراكعين ولقوله عليه السلام صلوا خلف كل بر وفاجر وصلوا
على كل بر وفاجر وجاهدوا مع كل بر وفاجر رواه البيهقى عن ابى هريرة نعم الصلوة خلف
الفاسق مكروه ان وجد غيره وخلف التقى افضل ان تيسر لما روى من صلى خلف تقى
فكانما صلى خلف نبى الآية انه ما لا يدرك كله لا يترك كله فان الجماعة واجبة عند المحققين
على الاعيان وهى من شعائر الاسلام والايمان وفيه دلالة على ان العاصى ليس من اهل الكفر
والكفران ولا يشهدون لاحد من اهل القبلة بالجنة اى لا يقطعون له بها الخيرات
به بل ولو بجميع الخيرات والمبرات لان المدار على حسن الخاتمة المبنية فى العاقبة وفق
ما قضى له من العناية السابقة الا لاهل العصمة من الانبياء لقوله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى ولا يشهدون عليه اى على احد منهم بالنار لكبيرة اتى بها بل ولا
يشهدون لاحد من الكفار والمبتدعة ايضا بانهم من اهل النار ولو بجميع الكبائر
الا اذا تبين انهم ماتوا على الكفر والمعصية والبدعة على انه سبحانه لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الا ما نص الله على كفره فى كتابه كفرعون وهامان وقارون
وابى لهب وجالوت او ثبت فى السنة كابى جهل واضرابه ويرون الخلافة اى الامامة
الكبرى وهى السلطنة العظمى لقريش سواء يكون هاشميا او لا خلافا للشيعة ليس

لاحد

لاحد منا اى اهل السنة منازعتهم اى مخالفة قريش فيها كما تحقق فى موت النبى
صلى الله عليه وسلم عند قول الانصار للمهاجرين منا امير ومنكم امير والزام المهاجرين
لهم بقوله عليه السلام الائمة من قريش رواه الحاكم فى مستدركه والبيهقى فى سننه
عن على كرم الله وجهه ولا يرون اى اهل السنة الخروج اى عن الطاعة على الولاة
اى من الخلفاء والامراء وان كانوا ظلمة اى فسقة او جهلاء لقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ولقوله عليه السلام فى الصحيح اسمعوا
واطيعوا ولو امر عليكم عبد حبشى ويؤمنون بالكتب المنزلة كالتورية لموسى
والانجيل لعيسى والزبور لداود وصحف ابرهيم وغيرها من غير تعيين من عددها
والانبياء والمرسلين من آدم الى الخاتم وانهم افضل البشر اى بلا خلاف فلا يكون
ولى افضل من نبى بل نهاية الاولياء بداية الانبياء واما قول بعضهم الولاية افضل
من النبوة فمعناه ان ولاية النبى افضل من نبوته ورسالته لان المراد بولايته اخذه
الفيض من الحق وبرسالته ايصاله الى الخلق فالولاية من حيثية توجه صاحبها
الى الحق خير من حيثية توجهه الى الخلق والتحقيق عند ارباب التوفيق ان الكامل
اذا وصل الى مقام جمع الجمع وارتفع عن مقام المنع فلا يمنعه وجود كثرة الخلق
عن شهود وحدة الحق ثم تفضيل بعضهم على بعض قطعى يكفر جاحده لقوله تعالى
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
منهم من كلم الله كموسى فى الطور سينا ونبينا عليه السلام فى المعراج ليلة
الاسراء ورفع بعضهم درجات اى كثيرة قالوا المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم
وان محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم اى افضل الانبياء والمرسلين لحديث انا
سيد الاولين والاخرين ولحديث انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر ولحديث
آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيمة وان الله تعالى ختم به الانبياء اى وجعله
خاتم النبيين لقوله سبحانه ولكن رسول الله وخاتم النبيين اى لا يجئ بعده نبى
ينسخ ملته وعيسى عليه السلام بعد نزوله يحكم بدينه ويكون من جملة امته وفى

بعض احاديث الاسراء جعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا وان افضل البشر
اى من هذه الامة وغيرهم لقوله تعالى كنتم خير امة واذا كان خير هذه الامة فبالاولى
ان يكون خير غيرهم من بعده اى من غير النبى ومن هو مشارك له فى نعت النبوة ووصف
الرسالة ابو بكر اى الصديق والحاصل انه افضل جميع الاولياء من الاولين والاخرين
ثم عمر اى ابن الخطاب وهما الشيخان المرضيان عند عامة هذه الامة ثم عثمان اى ابن
عفان ثم على اى ابن ابى طالب وقيل ثم على ثم عثمان ولا عبرة بطعن الخوارج والروافض
من غلاة اهل البدعة واصحاب المذمة ثم تمام العشرة اى المبشرة بالجنة كما نقل الاجماع
على ذلك ابو منصور التميمى وهم سعد ابن ابى وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح فقد روى اصحاب السنن
الاربعة وصححه الترمذى عن سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عشرة
فى الجنة ابو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمن وعلى والزبير وطلحة وعبد الرحمن وابو
عبيدة وسعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد ثم الذين شهد لهم بالجنة وهم كثيرون
منهم فاطمة وعائشة وخديجة والحسن والحسين وعبد الله بن مسعود وعبد الله
بن سلام وغيرهم لكن نقل التميمى الاجماع على ان بعد العشرة افضل الامة اهل بدر
ثلاثمائة وبضعة عشر لما فى الصحيح لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم ثم اهل احد ثم اهل الحديبية اهل بيعة الرضوان فقد ورد لا يدخل
النار احد ممن بايع تحت الشجرة رواه ابو داود والترمذى وصححه ثم القرن الذى بعث
فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم قرن الصحابة لقوله عليه السلام خير القرون
قرنى ثم الذين يلونهم ثم العلماء العاملون وهم الاولياء الصالحون وفيه ايماء
الى ما قاله ابو حنيفة والشافعى كلاهما لو لم يكن العلماء اولياء فليس لله اولياء ثم انفعهم
للناس اى فى التعليم والارشاد والتفهيم والتبليغ وسائر انواع النفع المتعدى علما
وعملا بحديث خير الناس انفعهم للناس رواه القضاعى عن جابر ولحديث خير
الناس اقرؤهم وافقههم فى دين الله واتقاهم لله وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن

وعدهم ٤

المنكر واوصلهم للرحم رواه احمد والطبرانى والبيهقى عن درة بنت ابى لهب ولحديث
الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله رواه ابو يعلى الموصلى والبزار عن
انس والطبرانى عن ابن مسعود **واجمعوا** على تفضيل الرسل اى خواص البشر من الانبياء
والمرسلين على الملائكة اى على خواصهم المقربين كجبريل وميكائل واسرافيل وعزرائيل
وحملة العرش والكروبيين لكن المسألة اجماعية بل خلافية اذ ليس فيها قضية قطعية
بل ادلة ظنية متعارضة لا يصلح فى العقائد اليقينية واختلفوا فى تفضيل الملائكة على المؤمنين
والمعتمد فى المعتقد ان خواص الملائكة افضل من عوام البشر كابى بكر وعمر وامثالهما
وهم افضل من عوام الملائكة وبين الملائكة تفاضل كما بين المؤمنين كما يشير اليه قوله
تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم وكما روى ابن ماجه عن رافع بن خديج
قال جاء جبريل او ملك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون من شهد
بدرا فيكم قال خيارنا قال كذلك هم عندنا خيار الملائكة واما التفاضل بين المؤمنين
فمستفاد من قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
ومن قوله سبحانه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله وكلا وعد
الله الحسنى وقوله لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون
فى سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على
القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا
عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وقوله عليه السلام فضل العالم على العابد
كفضلى على ادناكم وقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم والايات فى هذا المبنى كثيرة
والاخبار فى هذا المعنى شهيرة **واجمعوا** على ان طلب الحلال فريضة بعد الفريضة كما
رواه الطبرانى عن ابن مسعود مرفوعا ورواه الديلمى عن انس بلفظ طلب الحلال
واجب على كل مسلم ورواه القضاعى عن انس وابو نعيم فى الحلية عن ابن عمر بلفظ
طلب الحلال جهاد وان الارض لا تخلو من الحلال اى وان حرم فيه اكثر الاموال لان
الله سبحانه طالب العباد بطلب الحلال حيث قال يا ايها الناس كلوا مما فى الارض

مطلب على تفضيل الرسل

مطلب على ان طلب الحلال فريضة بعد الفريضة

حلالا طيبا ويا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا واما الذين امنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا نطالبهم الا بما يمكن اى وجوده لقوله سبحانه
لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا انه اى الحلال يكثر فى موضع اى من البلاد وفى
يد بعض من العباد ويقل فى موضع وقد ورد لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان
نصيب المؤمن منه حلالا لانه لا ياكل غالبا الا فى حال فقر وحاجة ولان نيته ان
لا ياكل الا حلالا ولو علم انه حرام لامتنع منه لئلا يلقى وبالا وقد خرج الشيخ ابو اسحق
الكازرونى يوما من طوته فراى جمعا ياكلون من طعام زاويته فقال يا اكلة الحرام
فامتنعوا عن اكل ذلك الطعام فقال من كان عنده درهم فلا ياكل فى هذا المقام فاكل
بعضهم وامتنع بعضهم فقال سبحان الله طعام واحد على بعضهم حلال وعلى
بعضهم حرام فمن كان ظاهره جميلا اى موافقا لظاهر الشرع فلا يتهم فى ماله ومكسبه
كما قال قائل احب المرء ظاهره جميل لصاحبه وباطنه سليم مودته تدوم لكل هول
وهل كل مودته تدوم ومن لطائف هذا البيت الثانى ان يقرا فيكون من اوله الى اخره
من غير شئ من مبناه ولا معناه قد ورد ان الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشبهات
لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات
وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان
حمى الله محارمه والمقصود ان الاجتناب عن الحرام فرض وعن الشبهة سنة والغالب
فى هذا الزمان وقوع الشبهات لكنها مختلفة ومتفاوتة فى الالات فينبغى لسالك
الاخرة ومريد الطريق الفاخرة ان تناول بقدر الحاجة مما كان اقرب الى الحلال وابعد
من الحرام حتى قال بعض المشايخ الكرام ان الشخص اذا ابتلى بالمخمصة حتى ابيحت له الميتة
فما دام يلقى الشاة الميتة لا ياكل من الحمار الميت واذا لقى الحمار لا ياكل من الكلب واذا لقى
الكلب لا ياكل من الخنزير واما المدعون فقد بالغوا فى نفى وجود الحلال لخلو اكثر
الاموال من الشبهات حتى قال الحسن البصرى لو وجدت رغيفا من الحلال لاحرقته ثم دققته
ثم داويت به المرضى واما جهلة الصوفية والطائفة الاباحية فيقولون ما حل بنا فهو حلال

وما

على ان كمال الايمان

وما حرمنا فهو حرام واجمعوا على ان كمال الايمان اى غاية جماله هو الجمع بين ثلاثة
من احواله اقرار باللسان وهو شرط اجراء الاحكام عند معظم العلماء الاعلام وتصديق
بالجنان وهو الذى عليه مدار الاسلام وعمل بالاركان وهو القيام بجميع الاوامر
من الصلوة والصوم والزكوة والحج ونحوها والاجتناب عن الزواجر كالزنى وقتل
النفس واكل الربوا ومال اليتيم وغيرها فمن ترك الاقرار اى عند طلبه منه فهو
كافر اى وان وجد فيه تصديق القلب كابى طالب واكثر اهل الكتاب ومن ترك
التصديق اى وان وجد منه الاقرار فهو منافق وهو نوع من الكفار يكون فى الدرك
الاسفل من النار ومن ترك العمل اى ولو اجتنب فرضا من الفرائض او اكتسب شيئا
من الكبائر فهو فاسق اى خارج عن طريق الابرار وداخل فى حكم الفجار وفسقه
لا يخرجه عن الايمان كما قال به المعتزلة ولا يدخله فى حد الكفر والكفران كما قال به
الخوارج بل هو مؤمن قابل للغفران ولو بعد تعذيبه بقدر ذنبه فى النيران
ومن ترك الاتباع اى اتباع ظواهر الكتاب والسنة وما عليه الصحابة وجمهور الائمة
فهو مبتدع وهو اقبح من الفاسق لانه يرجى لصاحب الفسق التوبة ولا يرجى لصاحب
البدعة وايضا قيل يكفر المبتدعة لان البدعة معصية فاعتقاد حليتها وحقيقتها
كفر فى الشريعة وان الناس يتفاضلون فى الايمان اى فى ثمراته ونتايج مقاماته وحالاته
لا فى اصل الايمان وحقيقته فانه لا يقبل الزيادة والنقصان عند المحققين من اهل العرفان
وان المعرفة بالقلب لا ينفع اى مجردها ما لم يتكلم بكلمتى الشهادة لما سبق ولقوله تعالى
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الا ان يكون له اى لصاحبها عذر ثبت
بالشرع كالبكم والفترة ويرون اى الصوفية من الشافعية الاستثناء اى جواز
فى الايمان وهو قولهم انا مؤمن ان شاء الله من غير شك فى ايمانهم الآن لانه يوجب
الكفر والكفران بل على سبيل التاكيد اى طريق التابيد نظرا الى مقام التابيد وهو انه هل
يبقى مستمرا او نعوذ بالله ينقلب جحدا وكفرا والمتابعة اى لما ورد من بعض ظواهر
الكتاب والسنة او موافقة بعض الائمة ولان الامر اى امر الايمان مغيب اى مخفى

غو الانسان باعتبار الخاتمة اللاحقة المرتبة على الحالة السابقة فالعبد بين الخوف
والرجاء واسير فى قبضة القدر والقضاء ولم يدر انه من اى الفريقين ومن
اى القبضتين لكن الحنفية اختاروا عدم الاستثناء لانه بظاهره يوهم الشك
فى النفى والبقاء ولان السؤال من ما نحن فيه من الحال لا من المآل لان علمه لاحاد الناس
من قبيل المحال سئل الحسن البصرى وهو من ارباب الكمال امؤمن انت حقا اى تحقق
حقا فقال اى جوابا صادقا محققا ان اردت اى بثبوت الايمان ايمان الاسلام
وحكمه وهو ما تحقن به دمى اى تصان به قتلى وتحل به ذبيحتى ومناكحتى اى كذبايح
المسلمين وزواجهم فانا مؤمن حقا اى بلا شك ولا ريبة اذ ليس لمؤمن فى ايمانه شبهه
وان اردت اى ايمان الموافات وجزاؤه وهو ما ادخل به الجنان اى اولا وانجو به من النيران
ولو اخرا وبرضى به عن الرحمن اى ظاهرا وباطنا فانا مؤمن ان شاء الله فان هذا كله تحت
مشيته وليس لاحد اطلاع على معرفته غير الانبياء واهل عصمته وقد استثنى الله سبحانه
وتعالى فى كتابه اى فى سورة الفتح فى قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وليس
هناك شك اى بالنسبة الى اخباره سبحانه فى دخولهم بوصف الامن فالاستثناء
محمول على التبرك او تعليما للعباد فيما يخبرون عما يقع من البلاد حتى فى متحقق الوقوع
فى مقام الايراد على انه قد يقال فى الاية تقديرها لتدخلن جميعكم ان شاء الله لما خرج بعض
المخاطبين من اهل الحديبية حيا او ميتا عن فتح مكة او معنى ان شاء اذ شاء او الاستثناء
من الامن لا من الدخول وسئل بعضهم عن هذه الاستثناء اى معناه من الله سبحانه
اى مع انه تعالى عالم بما اراد فقال اراد بذلك تاديب العباد اى تعليمهم وتنبيههم
ليكونوا مبالغين فى متابعة قوله عز وجل ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله وسهالهم على ان الحق اذا استثنى اى فى حكمه مع كمال علمه فلا يجوز الحكم لاحد
غير استثناء لقصور علمه اى فى تحقيق حكمه وكذلك النبى صلى الله عليه وسلم قال
فى اهل المقابر اى من مقبرة اهل البقيع او غيرهم حيث قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين
وانا ان شاء الله عن قريب كما فى رواية بكم لاحقون ولم يك اى النبى عليه السلام شاكا

فى الموت

فى الموت اى فى نفسه واللحوق بهم اى باهل الايمان فيكون للتبرك او للحوق بهم
بخصوصهم فى محالهم او تعليما للعباد نظرا الى لحوقهم باهل الايمان فى البلاد واجمعوا
على اباحة الكسب لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ولقوله
عليه السلام ان اطيب طعامكم الكسب رواه الترمذى وغيره عن عائشة وقد سبق
ان طلب الحلال فريضة بعد الفريضة والتجارات وقد ورد ان اطيب الكسب التجار
رواه البيهقى عن معاذ وكذا الزراعات بل قيل انها افضل من التجارات فانها انفع من جهة
عموم الخيرات والميراث والصناعات اى الحرف النافعة للمخلوقات على سبيل التعاون
اى على قصد المعاونة على البر اى الاحسان الى الخلق وقد ورد خير الناس انفعهم
للناس والتقوى اى التقوى على الطاعة واسباب التقوى والعفاف عن الخلق
بتحصيل الكفاف وقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى من غير ان يرى ذلك
سببا اى لازما لاستجلاب الرزق المقدر او سببا لاستجلاب الرزق الغير
المقدر وان اخر كسب المرء السؤال اى اذا عجز عن الكسب لضعف البنية او البال
والحال ونظيره اخر الدواء الكى وفيه تنبيه على انه اذا اضطر ولم يسال من الخلق
او اصاح الى اكل ميتة ولم ياكل منها مات عاصيا وان كان بالموت راضيا لمخالفة
الامر ولا يحل المسالة لغنى وهو ان يكون عنده عشاء ليلة او قيمته ولا لذى
مرة اى قوة على الكسب سوى اى صحيح البدن وهو حديث صحيح وسياتى فى
كلام الشيخ فصل فى ادابهم السؤال واجمعوا اى الصوفية خلافا لابن عطا
فى هذه المسئلة وقد دعا عليه الجنيد وحصلت له المصيبة حيث لم يوافقهم على ان
الفقر اى الصورى الاختيارى مع غنى القلب والتوكل على الرب افضل من الغنى
اى كثرة المال واتساع الجاه والمنال اذا كان اى الفقير مقرونا بالرضاء اى عن ربه فيما
قسم له من رزقه واما اذا لم يقرن به فيخاف على صاحبه فقد ورد كاد الفقر ان يكون
كفرا ومن علامة الرضا بالفقر ان يكون خائفا من زواله كما يخاف الغنى من زوال
غنائه بل سئل بعض العارفين هل الفقير الصابر افضل ام الغنى الشاكر فقال الفقير

ف على اباحة الكسب

ف على ان الفقير افضل من الغنى

مطلب

الشاكي افضل الا انه محمول على انه شاك الى الله لا الى ما سواه او اريد به المبالغة
في مدعاه ولذلك اي ولكون الفقير افضل من الغني عند ارباب النهى واصحاب التقى
اختاره النبي صلى الله عليه وسلم بل اختاره الله له ولاكثر انبيائه وعامة اوليائه
واصفيائه واشار اليه اي الى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بذلك
اي باختياره الفقير في مقام اختياره حين عرضت عليه مفاتيح خزائن الارض
اي وجعل الجبال ذهبا تسير معه حيث سار على اي مع هذا ان لا ينقص مما له
عند الله جناح بعوضة اي بخلاف غيره حيث ورد ان سليمن عليه السلام يدخل
الجنة بعد سائر الانبياء بخمسمائة عام وعبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة بعد فقراء
المهاجرين بخمسمائة عام فاشار اليه جبريل ان تواضع اي اختر الفقير فانه يورث
التواضع بخلاف الغني فانه يوجب الطغيان ومن تواضع لله بالفقر القالبي رفعه الله
بالغنى القلبي والحديث رواه الطبراني باسناد حسن عن ابن عباس قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل عليه السلام على الصفا فقال يا جبريل والذي
بعثك بالحق ما امسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه
باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة
ان يقوم قال جبريل لا ولكن امر اسرافيل فنزل اليك حين سمع ما ذكرت فبعثني اليك
بمفاتيح خزائن الارض وامرني ان اعرض عليك اسير معك جبال تهامة زمردا
وياقوتا وذهبا وفضة وقد فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا
خادما اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فقال اي النبي عليه السلام اريد
ان اشبع يوما واجوع يومين وهذا ابلغ من رواية واجوع يوما فاذا جعت تضرعت
اليك اي وجبرت وشاهدت تجلي الجلال واذا شبعت حمدتك اي شكرتك وذكرتك
اي في مقام الجمال وبها يتم حال ارباب الكمال كما قال تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور وقد ورد الايمان نصفان نصف صبر ونصفه شكر اذ لا يخلو المؤمن من محنة
ونعمة او منحة ونقمة وقد اخرج الترمذي من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما
واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك
من هنا قيل في قوله تعالى ما زاغ البصر اي في امر الدنيا وما طغى في امر العقبى وبذلك
اي برده عليه السلام خزائن الدنيا في ذلك المقام يحتج اي يستدل من المشايخ
الكرام من يرد ما يعرض عليه من الدنيا في مقام الاكرام وحال الانعام ومنهم من
يقبل ولا يسأل لا رد ولا كد ومنهم من ياخذ اذا كان حلالا ولم يوجب ذلا ورد
بالا فان احتاج اليه صرفه عليه والا فرفعه الى من احتاج لديه والحاصل انه اذا
خير السالك فينبغي له ان يختار الفقير لانه خير المسالك والا فالتفويض والتسليم
اسلم بين يدي العليم الحكيم كما يشير اليه قوله سبحانه ان ربك يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ان من عبادي
من لا يصلحه الا الفقر وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى وقد قال ابن عطاء
ربما اعطاك فمنعك وانما منعك فاعطاك وقول النبي عليه الصلوة والسلام
اي من جملة الادلة في هذا المرام اللهم احيني مسكينا اي فان المسكنة عيشة طيبة
وامتني مسكينا فانها ميتة حسنة واحشرني في زمرة المساكين اي في جماعتهم
من الانبياء والمرسلين والعلماء والصالحين وهو في المعنى كقوله توفني مسلما والحقني
بالصالحين وفيه تنبيه على ان المسلم الكامل هو الموصوف بالفقر والمسكنة وكمال
الصلاح بهما ولقد بالغ صلى الله عليه وسلم في هذا المقام كما بينه الشيخ بقوله فلو
سأل الله تعالى ان يحشر المساكين في زمرته اي في جماعته لكان لهم الفخر العميم والفضل
العظيم فكيف وقد سأله اي الله سبحانه ان يحشره في زمرتهم قلت لان مقام المسكنة
يقتضي هذا التواضع في المسالة والحديث رواه الحاكم في مستدركه عن ابي سعيد الخدري
ولفظه اللهم احيني مسكينا وتوفني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وان
اشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الاخرة وقال الحاكم صحيح الاسناد
واقره الذهبي في تلخيصه ورواه البيهقي عنه ايضا بلفظ اللهم احشرني في زمرة

المساكين ولا يحشرني في زمرة الاغنياء فان اشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر
الدنيا وعذاب الاخرة ورواه الترمذي عن انس ولفظه اللهم احيني مسكينا وامتني
مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيمة وزبدة الكلام في هذا المقام ان
كل ما يشغل العبد عن مولاه فهو شر عليه ان كان فقرا وغنى لديه ولذا ورد اعوذ
بالله من شر الفقر ومن شر الغنى اذ دعيه عليه السلام وامره اي وقد امر الله تعالى
بالصبر معهم اي مع الفقراء والمساكين فقال الله تعالى واصبر نفسك اي احبسها
مع الذين يدعون ربهم اي يعبدونه ويطلبونه بالغدوة والعشي اي في طرفي
النهار او المراد بهما الدوام يريدون وجهه اي يبتغون رضاءه او يطلبون بقائه
الاية وهي قوله ولا تعد عيناك عنهم اي لا يجاوزان عنهم طرفة عين تريد زينة
الحيوة الدنيا اي لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم اي من ارباب الدنيا
لنفتنهم فيه ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هويه بل اشتغل بملاحظة
احوال ارباب الكمال من الذاكرين بالقلب والمتبعين رضى الرب فان احتج محتج اي
مستدل على تفضيل الغنى على الفقر بقول النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير
من يد السفلى كما رواه احمد والطبراني بسند صحيح عن ابن عمرو قال اي النبي عليه
السلام في رواية اليد العليا هي المعطيه وفي رواية هي المنفقه واليد السفلى
هي السائلة كذا روى ابن عمر وقيل اليد السفلى المانعه وقيل الاخذه وعلى كل تقدير
يشعر الى فضيلة الغنى وان قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا
ابر قيل له اي في جوابه اليد العليا نالته الفضيلة اي بسببه وبحصيله ما خراج
ما فيها اي لا بوجود ما فيها واليد السفلى سالها المنقصه بحصول الشيء فيها اذ
هو بنقص رتبة الفقير وساقيها وتوضيحه ان الغنى باخراج بعض ما عنده من المال
يقرب الى الفقير الذي هو محط رجال ارباب الكمال وهو حال شريف ومقام منيف
فيحصل له الفضيلة بهذه الوسيلة والفقير باخذ بعض شيء من المنال يبعد عن مقام
اصحاب الكمال ونظيره قولهم نعم الامير على باب الفقير وبئس الفقير على باب الامير وفي

تفضيل

تفصيل السخاء والعطاء اي على البخل بالمنع والاقتناء دليل على فضل الفقير اي وفضل
الفقراء لانه لو كان ملك الشيء اي وبقاوه محمودا اي في حد ذاته لكان تركه بالعطاء
مذموما او يفوت الاول بوجود الثاني فمن فضل الغنا للانفاق اي لاجل ان ينفقه في
القربة كان كمن فضل المعصية على الطاعة لفضل التوبة والمعنى ان اختيار الغنى وظن
بفضله مع وجود الخطر في تحصيله لاحتمال ان ينفق في طريق الحق وسبيله بمنزلة من
يعصي على رجاء انه يتوب في اخر امره وخاتمة عمره وانما فضل التوبة لترك المعاصي
المذمومة اي وليس المعاصي مطلوبه لكونها وسيلة الى التوبة كذلك فضل العطاء
والانفاق انما هو لاخراج المال الملهي عن الله عز وجل وانما اطلق ذم الغنى لان الغالب
ان يلهي عن ذكر المولى وقد ورد لو ان احدكم في حجره دراهم تقسمها واخر يذكر
الله لكان الذاكر لله افضل وورد اجوعكم في الدنيا اشبعكم في العقبى وقال
الامام حجة الاسلام عذاب القبر الفقير اخف من الكافر الغني فاذا كان الفقر ينفع
الكفار في النار فكيف لا ينفع الابرار في تلك الدار والمعتمد في المعتقد ان الكفاية
مع القناعة هو الافضل وهي الحيوة الطيبة والحالة الجامعة بين الصبر والشكر والرضا
بالقضاء فقد ورد من اصبح معافى في بدنه امنا في سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت
له الدنيا بحذافيرها رواه البخاري في تاريخه والترمذي والنسائي وفي الحديث خير الذكر
الخفي وخير الرزق ما يكفي رواه احمد وابن حبان والبيهقي عن سعد ورواه ابن عدي
وغيره عن انس بلفظ خير الرزق ما كان يوما بيوم كفافا وفي الجامع الصغير خير امتي
الذين لم يعطوا فيبطروا ولم يمنعوا فيسالوا اي لم يعطوا كثيرا فيبطروا والقوله تعالى
كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ولم يمنعوا بالكلية ليحتاجوا الى سؤال الناس
بحيث كاد الفقر ان يكون كفرا والى هذه الزبدة بقوله قرب محصه شر من التخمه
فصل الفقير وهو الزاهد في الدنيا الراغب في العقبى القانع بما قسم الله له المولى
غير المتصوف وهو الذي يجتهد في صفاء الاحوال ودوام الحضور مع الرب في
مقام ارباب الكمال بل نهايته اي الفقير بدايته اي المتصوف والمعنى من لم يختر الفقر

فصل

على الغنى والموت على الحيوة والفناء على البقاء والمذلة على الاستعلاء لا يصلح له ان
يسلك طريق اصحاب الصفا وسبيل ارباب الوفاء وفى نسخة الفقير غير التصوف وبنا به
قوله وكذلك الزهد اى الاضطرارى غير الفقير اى الاختيارى وان قالوا ان من العصمة
ان لا تقدر ثم الاختيارى على نوعين اختيار العبد لنفسه واختيار الله لعبده والثانى
غاية فضله ولذا قال بعض المشايخ لا تختر وان كنت تختار فاختر ان لا تختار وربك
يخلق ما يشاء ويختار وفى صلوة الاستخارة ودعائه ايماء الى كمال هذا المقام وبهائه
وقد ورد ما خاب من استخاره وما ندم من استشار وليس الفقر اى المحمود عندهم
التامه اى الحاجة والعدم اى عدم الكفاية فحسب اى فقط بل الفقير المحمود الثقة بالله
اى الاعتماد عليه والرضا بما قسم الله اى له من القليل والكثير الوارد من لديه وقد
قيل فى معنى الثقة بالله ان يكون حاله مع مولاه كحال الطفل مع امه فى انه لا يعرف غيرها
ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا عليها ولا يرجع الا اليها ولا يطمئن الا لديها و
والصوفى غير الملامتى اذ الاول افضل من الثانى فان الملامتى هو الذى لا يظهر خيرا
اى مهما امكن ولا يضمر شرا اى فيما يمكن ان يستر ويكمن ففى الجملة نظره الى الخلق ولم يتمحض
معاملته للحق والصوفى هو الذى لا يشتغل بالخلق لا ظاهرا ولا باطنا ولا يلتفت الى قبولهم
اى فى ورد الخير منهم ولا الى ردهم اى فى صدود الشر عنهم فيستوى عنده المدح
والقدح والعطاء والمنع والنصر والنفع فحالهم ملائم لقوله تعالى ولا يخافون لومة
لائم **واجمعوا** على ان ترك للاشتغال بالمكاسب اى الحرف والصناعات والتفرغ
للطاعات اى والقيام بانواع العبادات فى جميع الاوقات وسائر الانفاس والساعات
اجل اى اعظم وافضل لمن ترك الاهتمام بطلب الرزق واتكل على مضمون الخالق وهذا
بالنسبة الى المبتدين من ضعفاء المريدين الذين لم يصلوا بعد الى مقام اليقين وكذا
بالاضافة الى من يمنعه الاشتغال بالمكاسب عن الاتصال بعلو المراتب من المعارف والعوارف
وسائر المناقب كما يشير اليه قوله سبحانه وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك
رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ورزق ربك خير وابقى الا ان يستوى عنده

على ان ترك للاشتغال بالمكاسب

الخلوه

الخلوه اى عن الناس والجلوة اى فى مقام الاستيناس والمخالطة اى مع الخلق بالمعاشرة
والعزلة اى عن الاصحاب والاحباب باختيار العزلة ويصير اى وان يصير مشاهدا
للقدرة اى لقدرة الله تعالى فيما دبر للعباد وقرر فى اهل البلاد فى كل حال اى من
حال الكسب وغيره فسبحان من اقام العباد فيما اراد وكل ميسر لما خلق له فحينئذ له ان
يجمع بين الكسب قدر الحاجة وبين الطاعة فى مقدار الزيادة كما هو مقام اهل الجمع المعبر
عنه بكائن باين على هيئة الشمع فيستنير من فيض الحق وينير من اثره على الخلق
وهذا الطريق اقرب الى التحقيق فانه عليه السلام لما بعث الى الانام لم يأمر احدا بترك
الكسب من الزراعة والتجارة وغيرها بل حثهم على كسب الحلال والانفاق من المال
والاجتهاد لتحصيل التقوى فى جميع الاحوال والتوكل فى امر الرزق على الملك المتعال
كما يشير اليه قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها
ومستودعها وقوله سبحانه وكائن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو
السميع العليم وقوله عليه السلام لو انكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا رواه احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم
فى مستدركه عن عمر قال بعضهم لا تكونوا بالرزق مهتمين اى فى هم الرزق بالغين
فتكونوا للرزاق متهمين اى بتوهم انه ليس لكم من الرازقين ولضمانه غير واثقين
اى معتمدين وفى باب التوكل غير موافقين وقيل لبعضهم من اين تاكل اى من اى
مكان سبب رزقك وبقاء بنية خلقك فقال اى من خزائن رحمة ربى كما اشار
اليه بقوله لو كان من اين لغنى لقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقيل
للآخر من اين تاكل فقال سل من يطعمنى من ان يطعمنى وقد ورد ابى الله ان يرزق
عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقد قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب بل قيل المعلوم شوم **واجمعوا** على ان افعال العباد اى
اقوالهم واحوالهم واعمالهم ليست بسبب اى باسباب موجبة وعلل ملزمة
للسعادة اى للسعداء ولا للشقاوة اى للاشقياء لقول النبى صلى الله عليه وسلم

على ان افعال العباد

كما رواه الطبرانی فی الاوسط عن ابی هریرة السعید من سعد فی بطن امه کمحمد
وموسی وغیرهما والشقی من شقی فی بطن امه ای کفرعون وابی جهل ونحوهما
ولقوله تعالی هو الذی خلقکم فمنکم کافر ومنکم مؤمن وقوله فریق فی الجنة وفریق
فی السعیر وقوله فی الحدیث القدسی خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالی وخلقت هؤلاء
للنار ولا ابالی وانما الاعمال هی الامارات والاشارات والعبرة بالخواتیم من الحالات
والمقامات وان الثواب ای علی الطاعة فضله والعقاب ای علی المعصیة عدله
ولا یجب شیء منهما علیه سبحانه فانه تعالی یفعل ما یشاء ویحکم ما یرید لا معقب
لحکمه ولا راد لقضائه والرضا والسخط نعتان قدیمتان ای لانهما صفتان
ذاتیتان متعلقتان باعمال العباد قبل وجودهم فی عالم البلاد لا یبعدان بافعال
العباد ای الحادثة وفق ما اراد فمن رضی عنه ای تعلق رضاء الله به وبعلمه استعمله
عمل اهل الجنة ای وفقه لاعمال الابرار ولو عند خروجه من هذه الدار ومن سخط
علیه استعمله عمل اهل النار ای لیدخل فی دار البوار مع سائر الکفار والفجار واما الحکمة
فی تعلق الرضا باحد والسخط باخر فقد عجز عن تحقیقه البشر ومن هنا قال بعضهم
ملئنی مسالة القضا والقدر وقال الاخر دخلنا الدنیا مضطرین وبقینا فیها متحیرین
وخرجنا منها کارهین ویرون ای الصوفیة الصفیة والطائفة السنیة الرضا بالقضا
ای بالحکم بما جری قلم الازل فی عالم القضاء والصبر علی البلاء ای المحن والنقم والشکر
علی النعماء ای المنح والنعم واجبا علی کل احد ای من الخلق والامم کما فی الحدیث القدسی
من لم یرض بقضائی ولم یصبر علی بلائی ولم یشکر علی نعمائی فلیطلب ربا سوائی
وروی الطبرانی فی الاوسط عن انس مرفوعا من لم یرض بقضاء الله ولم یؤمن بقدر
الله فلیلتمس ربا سوی الله والبلاء والنعماء داخلان تحت القضاء وانما نوع
باعتبار مراتب الاصفیاء والاولیاء فالرضا بالقضا هو باب الله الاعظم والمقام
الاجل الافخم لانه یستجلب رضوان ربه الاکرم کما یشیر الیه قوله تعالی ورضوان من
الله اکبر والله سبحانه اعلم ومن هنا قال بعضهم ان تعذبنی فانا لک محب وان ترحمنی

فانا

فانا لک وان الخوف ای من عقابه او من حجابه والرجاء ای فی لقائه وثوابه زمامان
للعبد یمنعانه من سوء الادب ای ویجرانه الی اطاعة الرب وکل قلب خلا منهما ای
من کلیهما او من احدهما فهو خراب ای کبیدان تراب والظاهر انه ینبغی استواؤهما
وقیل المناسب للمرید اذا کان شابا ان یغلب خوفه وللمتوسط اذا کان شیخا رجاؤه
وللمنتهی استواؤهما فی جمیع الاحوال وفق مقتضیات اسماء الجمال والجلال کما هو شان
ارباب الکمال وان الامر ای المتوجه الی اکتساب الواجبات والنهی ای الزاجر عن ارتکاب
السیئات واحکام العبودیة ای تحت رسوم الربوبیة لازمة للعبد ای غیر
منفکة عنه ما دام عاقلا ای فیجب علیه القیام بوظائف الطاعات عالما عاملا وانما
یسقط عنه ما ذکر اذا کان مجنونا ولا یکون له عذر اذا کان جاهلا غیر انه ای الشان
او المرید اذا اصفا قلبه مع الله ای واعرض عن الاشتغال بما سواه ووصل الی مقام الاحسان
المعبر عنه ان یعبد الله کانه یراه سقط عنه کلفة التکالیف ای مشقتها ومحنتها لانها
تتبدل بلذتها ومحبتها بحیث لم یصبر ساعة علی مفارقتها وعدم مجالستها وامر
قبتها فمن ذاق ترک اللذة الدنیویة لم یعدها لذة بل یجعلها ذلة وزلة عن المقامات
العلیة وقد ورد ذاق طعم الایمان من رضی بالله ربا وبالاسلام دینا وبمحمد
صلی الله علیه وسلم رسولا ونبیا فمن لم یذق لم یعرف ومن ذاق منه لم یحرف فمن
ترک العبادة زعما منه انه وصل الی النهایة فقد اخطا مقام اهل البدایة واحوال ارباب
الرعایة واصحاب الهدایة فالرب رب قائم بمقتضی الربوبیة والعبد عبد وانم بوصف
العبودیة لا نفس وجوبها ای لا یسقط نفس وجوب التکالیف الشرعیة کما یتوهمه
الملاحدة والاباحیة والوجودیة والحلولیة فی مقام المعیة اخذا بظاهر قوله تعالی
واعبد ربک حتی یاتیک الیقین علی انه مفسر بالموت عند عامة المفسرین مع انه
اذا کان علی ظاهره ولا یقتضی ترک العبادة حین اتیانه بل یفید الزیادة عند تحقق
زمانه وثبوت برهانه بل العبادة من غیر الیقین لا تعد طاعة فی طریق الدین وقد یقال
لو حصل له یقین انه من اهل السعادة لزاد فی مراتب العبادة کما قیل له علیه السلام

لما قام في عبادة مولاه حتى انتفخت قدماه اتكلف هذا وقد غفر الله لك ذنبك
ما تقدم وما تأخر قال افلا اكون عبداً شكوراً وان البشرية لا تزول عن احد اى
بالرياضات البدنية وتبديل الاخلاق الذميمة بالاحوال السنية ولا بظهور الكرامات
والخوارق العادات ولو تربع في الهواء بل ولو ارتفع في اعلى السماء غير انها تضعف
اى صفات البشرية تارة وتقوى اى صفات الملكية ونعوت الالهية اخرى فهو
اولى واحرى من هنا مزلة الاقدام للصوفية اذا لم يقترن بحالهم العصمة الالوهية
فمنهم من يقول سبحاني ما اعظم شاني ومنهم من يقول انا الحق ومنهم من يقول
ليس في جبتي سوى الله فمن قال هذا بغير تأويل فهو كافر ومن عنده تنزيل هذا
في محله فهو ماهر وقد زلت اقدام جماعة من الحلولية والوجودية وطائفة من اهل
النصرانية واليهودية حيث توهموا زوال الناسوتية بالكلية وظهور اللاهوتية
اما بالنسبة الى شخص واحد كالمسيح وعزير وكعلي عند النصيرية او في جميع الاشياء
كاتباع ابن عربي وغيرهم من الجاهلية والحرية من رق النفس اى بان لم يسترق
صاحبها دنياه ولم يستعبده هواه جائزة اى حصولها بل ثابتة وصولها في حق
الصديقين لكنها مرتبة عزيز وجودها ونادر شهودها كما قال قائلهم شعر
اتمنى على الزمان محالا ان ترى مقلتاى طلعة حر ويشير اليه قوله عليه السلام
الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وكذا في قوله تعالى ايماء الى علوها وبهم حيث قال
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم والصفات المذمومة اى من الاخلاق
الظاهرة والباطنة الملومة تفنى من العارفين اى تتبدل بالصفات الحميدة وتنقلب
بالاخلاق السعيدة بحيث لا يبقى منها اثر ولا يوجد عنها خبر لانهم محفوظون
بالله ومحظوظون عما سواه وتخمد في حق المريدين اى تجمد وتخفى في حقهم مع بقاء
شائبة منهما في خلقهم ومن هنا قال تعالى والكاظمين الغيظ في مدحهم لطفا
من ربهم حيث لم يقل والعادمين الغيظ والتحقيق ان احوال البشرية لا تزول عن
اصحابها بالكلية وان تفاوت وجودها وزوالها باختلاف الكمية والكيفية الا ترى

ما ورد

ما ورد عنه عليه السلام في الادعية المروية اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة
عين وفي رواية فانك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضعف وعورة وذنب وخطيئة
وان العبد اى واجمعوا ان العبد السالك اذا كان في احسن المسالك يتنقل في
الاحوال اى احوال ارباب الكمال حتى يصير الى نعت الروحانيين بضم الراء اى
ينسب الى وصف ارواح المسلمين وبفتح الراء اى الى صفات الملائكة المقربين فتطوى
له الارض وكذا السماء ويمشي على الماء ويغيب عن الابصار ويصعد الى الهواء او
يظهر في غير محله من القرى والصحراء وان الحب في الله اى لاجله وفي طريق رضاه
مع الاولياء والبغض في الله اى مع الاعداء من اوثق عرى الايمان بضم العين جمع
عروة وهي ما يستمسك به ويتقوى بسببه ومنه قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها اى لا انقطاع بها
والمعنى من اقوى عقد حبل الايمان في مقام الاحسان وقد ورد في مسند احمد اوثق
عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله وورد من احب لله وابغض لله واعطى
لله ومنع لله فقد استكمل ايمانه رواه ابو داود وغيره عن ابي امامة وروى البيهقي
عن ابي هريرة مرفوعاً من احب ان يجد طعم الايمان فليحب المرء لا يحبه الا لله واما
حديث المرء مع من احب فرواه احمد واصحاب الكتب الستة عن انس وابن مسعود مرفوعاً
وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اى شرعاً واجب اى فرض كفاية لقوله تعالى ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على من امكنه وهو العالم بامور
الاحتساب وما يجب منه الاجتناب بما امكنه اى من اليد او اللسان او الجنان كما في حديث
من راى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك
اضعف الايمان رواه احمد ومسلم واصحاب السنن الاربعة عن ابي سعيد لكن قال بعض
المشايخ زماننا هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوت الى ان يموت
وكانهم عملوا بظاهر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم وبقوله عليه السلام اذا رايت شحا مطاعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي

مطلب واجمعوا على اثبات كرامات الاولياء

راى برايه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العامة والحاصل ان هذا الطريق
اولى بالنسبة الى مقام الضعفاء لاسيما المريدين فى حال الابتداء والاول اعلى بالاضافة
الى مرتبة الاقوياء من العلماء والاولياء والمشايخ والامراء من الاصفياء واجمعوا اى الصوفية
مع اهل السنة السنية على اثبات كرامات الاولياء اى وخوارق عادات الاصفياء كما
صدر عن بعض الاولياء فى زمن السابقين من الانبياء كقوله تعالى كلما دخل عليها زكريا
المحراب وجد عندها رزقا وكقصة اصحاب الكهف وقضية اصف بن برخيا
وجوزوها اى وقوعها فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم كما وقع لبعض الصحابة فى
زمانه ايماء الى علو مقامه وشرف مكانه وقرة عين له عليه السلام حيث ظهر الكرامة
على يد بعض اتباعه الكرام منها ما رواه البخارى عن انس ان انيس بن حضير وعباد بن
بشر تحدثا عنه النبى صلى الله عليه وسلم فى حاجة لهما حتى ذهب من الليل ما
ينقلبان اى يرجعان فى ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينقلبان اى يرجعان وبيد كل واحد منهما عصية فاضائت عصا احدهما
لهما حتى مشيا فى ضوءها حتى اذا افترق بهما الطريق اضاءت للاخر عصاه فمشى
كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ اهله وفى عصر غيره اى بعد موته عليه السلام
ايضا ظهر الكرامات على ايدى اصحابه الكرام والتابعين من المشايخ العظام فمنها
الاول ما رواه البغوى فى شرح السنة باسناده عن ابن المنكدر ان سفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخطأ الجيش بارض الروم اذ اسر فانطلق هاربا يلتمس الجيش
فاذا هو بالاسد فقال يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من
امرى كيت وكيت فاقبل الاسد له بصبصة حتى قام الى جنبه كلما سمع صوتا اهوى اليه ثم
اقبل يمشى الى جنبه حتى بلغ الجيش ثم رجع الاسد ومنه ما رواه البيهقى فى دلائل النبوة
عن ابن عمر ان عمر رضى الله عنه بعث جيشا وامر عليهم رجلا يدعى سارية فبينما عمر يخطب
فجعل يصيح يا سارى الجبل فقدم رسول من الجيش فقال يا امير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا
فاذا بصائح يصيح يا سارى الجبل فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى فهذه

منها

منها

نحو

مطلب كرامات عمر رضى الله عنه على رؤس الاشهاد

مطلب الفرق بين المعجزة والكرامة

احدى من الكرامات لكنها مشتملة على خوارق العادات ولم يظهر مثل هذه الكرامة
لاحد من الاولياء والعباد على رؤس الاشهاد كعثمان وعلى وسائر الاقطاب والاوتاد
ومن الثانى ما رواه الدارمى عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة لم يؤذن
فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثا ولم يقم ولم يبرح سعيد بن المسيب المسجد
وكان لا يعرف وقت الصلوة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبى صلى الله عليه وسلم
والهمهمة كلام خفى لا يفهم والله اعلم ونبوة الانبياء لم يثبت بالمعجزة اى بمجردها
وان كثر وجودها عنهم ولكن بارسال الله تعالى اياهم اى واعانته لهم بالمعجزات
وخرق العادات فاذا كان كذلك اندفع شبهة المعتزلة بان خرق العادة من غير
الانبياء يوجب الشبهة وانما يظهر للخلق اى عند شهودهم ما كان عند الله ثابتا
اى قبل وجودهم والفرق بين المعجزة والكرامة اى ايضا وان كانت كل واحدة من انواع خرق
العادة ان النبى يجب عليه اظهار المعجزة لقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل والتحدى بها اى دعوى الرسالة عند ظهور المعجزة
وهذا هو العمدة فى الفرق والولى يجب عليه ان يكتم الكرامة اى خوفا من العجب والغرور
والرعونة والريا والسمعة ولخوفهم من سوء الخاتمة ولاحتمال كونه استدراجا ومكرا
فى القصة بخلاف الانبياء فانهم معصومون عن هذه الاخلاق الردية الا ان يظهرها
الله تعالى عليه اى على الولى من غير اختياره وايضا فالكرامة لم يظهر الا على يد من تكمل
فى المتابعة فمتى ادعى المعجزة فقد خرج عن الملة ثم كرامات الاوليا فى الحقيقة من جملة معجزات
الانبياء اذ فيها دلالة على كمال التابع وهو يتوقف على كمال المتبوع وانكروا اى
عدوا من المنكرات المراء فى الدين بكسر الميم اى المماراة بمعنى المجادلة فى الاعتقاديات
وكذا فى القراءات والفقهيات بالادلة العقلية واما المباحثة فيهما بالكتاب والسنة
وسائر الادلة النقلية فافضل العبادات البدنية والطاعات المالية وعلى هذا كانوا
اكثر السلف وبعض الخلف وانما المذموم هو الذى يجر الى التشكيك والمزيد والى الخصومة
الداعية الى الفرقة وقد قال تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا وقال ولا تجادلوا اهل

الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وروى ابو داود والحاكم في مستدركه
عن ابي هريرة مرفوعاً المراء في القران كفر وندبوا اي وامروا المريدين الى الاشتغال بما يهمهم
وعليهم اي في امر الدين المامورات والمنهيات والمنافع من الطاعات والمضار من السيئات
لقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون ولقوله عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه
ما لا يعنيه رواه ابو داود وغيره عن الحسن بن علي رضي الله عنهما وفي نسخة دعوا
الى الاشتغال بما هو اهم عليهم اي بشيء هو امر اهم على المريدين من هم الدين علمه
او عملا فقد ورد من جعل الهموم هما واحدا هم الدين كفاه الله هم الدنيا والاخرة
واجمعوا على اباحة لبس سائر الانواع اي الاصناف من الثياب وهي القطن والكتان
والصوف الا ما حرمت الشريعة لبسه على الرجال وهو الحرير لقوله عليه السلام من لبس
الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة رواه احمد والشيخان وغيرهم ولما كان الحرير
الصرف معلوما حرمة لبسه بلا خلاف لم يتعرض له بل ذكر ما فيه الخلاف حيث
يكون بعضه حريرا وبعضه غيره ويسمى قطنيا فقال وهو اي المحرم لبسه في الشريعة
على الرجال ما اكثره ابريسم وهو فارسي معرب ومعناه الحرير وهذا وفق مذهب
الشافعي واما عندنا معشر الحنفية الحرام ما سداه الابريسم ولحمته غيره من القطن
والصوف والكتان واذا كان بالعكس فيحرم الا في قتال العدو من الكفار وانما
ذكر الرجال لان النساء يحل لهن لبس الحرير ويرون الاقتصار على الادون من الثياب
اي الاكتفاء باحقر المخيطات والمرقعات والخلقان افضل اي من الجدد ولما فيها
من الرعونة ولما في غيرها من القناعة والزيادة ولان لبس دون الثياب يوجب التواضع
لاولي الالباب وقد قال القطب الرباني الشيخ ابو يعقوب يوسف الهمداني لو كان
المنصور وصل الى معرفة الحق لقال انا التراب لا انا الحق يعني وما للتراب ورب الارباب
لقول النبي صلى الله عليه وسلم ما قل وكفى خير مما كثر والهى رواه ابو يعلى والضيا
عن ابي سعيد وفي رواية قليل يكفيك خير من كثير لطغيك وفي اخرى قليل يؤدي
شكره خير من كثير لا يطيقه رواه البغوي وغيره وفي اخرى خير الذكر الخفي وخير الرزق

بكثير

مطلب
واجمعوا على اباحة لبس
سائر الانواع
من الثياب

ما يكفي رواه احمد وغيره عن سعد ولانها اي تكلف الثياب من الدنيا التي حلالها
حساب وحرامها عقاب اي فالاحوط تناول ما فيها قدر الحاجة والضرورة في جميع الابواب
ولقوله صلى الله عليه وسلم من ترك ثوب جمال اي زينة وهو قادر على لبسه اي وانما تركه
اي وانما تركه زهداً في الدنيا وميلا في العقبى او تواضعاً مع المولى كساه الله من حلل الكرامة
يوم القيمة اي جزاء وفاقاً حيث لبس في الدنيا لبس الملامة والحديث رواه الترمذي والحاكم
في مستدركه عن معاذ بن انس بلفظ من ترك اللباس تواضعاً لله فهو يقدر عليه دعاه
الله يوم القيمة على رؤس الاشهاد حتى يخيره من اي حلل الايمان شاء يلبسها ويختارون
اي الصوفية لبس المرقعات لمعان منها وانها اقل مؤنة اي قيمة وكلفة روي ان اولياء القرني
كان يأخذ الخروق من المزبلة ويغسلها ويرقع بها الخرقة وهذه الخرقة التي تدل على ما في
قلب صاحبها من الحرقة وروي ايضا انه كان يلقط الحصى ويدفنها ويتقوت بها واقل
تخرقا اي لكون بعض الخرق على بعض فيكون احفظ وابقى على صاحبها كالنفس لما قبله
ولا يبعد ان يكون بالباء الفوقية اي اكثر بقوى او بالنون اي الطف كما ورد في حديث
ارفع ازارك فانه ابقى وانقى واقرب الى التواضع اي مع الفقراء والضعفاء وابعد
من مجالسة الاغنياء الاغبياء واصبر على الكد اي واقوى على الخدمة والمهنة وتدفع
الحر والقر بفتح القاف وبضم اي البرد وهما المقصود من لبس الثياب زيادة على ستر
العورة الثابت بالكتاب حيث قال تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد ولا تطمع
فيها لاهل الشر اي من السراق وقطاع الطريق وتمنع عن الفساد اي فساد الباطن
من العجب والغرور والرعونة والرغبة في زهرة الدنيا الموضوعة للفتنة والكبر
ويمنع التكبر على العباد حيث لا موجب له روي عن عائشة رضي الله عنها قالت
امرني حبيبي اي شفيقي وطبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اطرح درعا
اي لا افسخ قميصا او غيره حتى ارقعه اي ولو كان رقعة واحدة للمشابهة باهل
الاخرة والمشاركة مع الفقراء في حالتهم الفاخرة وعن ابن عمر انه قال في حديث ذكره
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع ثوبه ويؤيده ما رواه عروة عن عائشة

الخلائق
صح

انه عليه السلام كان يخيط ثوبه ويخصف نعله اخرجه ابن حبان والحاكم وفى
رواية ابن عساكر عن ابى ايوب انه عليه السلام كان يركب الحمار ويخصف النعل
ويرفع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتى فليس منى وفى رواية ابن
سعد عن عائشة كان يعمل عمل البيت واكثر ما يعمل الخياطة ورايت ابابكر يتخلل بالعباء
وهو ادنى نوع من الكساء ورايت عمر اى فى ايام خلافته يرقع جبته برقاع اى متعدده
بلغت ثلاثين بعضها فى اللون مختلفة حتى روى ان بعض رقاعها كان من الجلد
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان احسن ما زرتم الله قبوركم ومساجدكم البياض
رواه ابن ماجه وعن انس بن مالك قال احب الالوان اى مطلقها الشاملة للثياب
وغيرها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضر ففى شمائل الترمذى عن ابى رمثه
قال رايت رسول الله عليه وسلم وعليه بردان اخضران وفى سنن ابى داود
والترمذى وابن ماجه والدارمى انه عليه السلام طاف بالبيت مضطبعا
برد اخضر وثياب اهل الجنة خضر اى وكفى به شرفا حيث قال تعالى عاليهم ثياب
سندس خضر قرى بالرفع والخفض فى السبعة واختار بعض الصوفية لون
الازرق لانه اقل مؤنة واكثر تحملا للوسخ وبعضهم اختاروا السواد له لا لانه على وجود
حزن الفواد وفقد المرام وبعضهم اختاروا التسليم بترك التدبر والرضا بما قسم
لهم وفق القضاء والتقدير وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير
ثيابكم البيض رواه الدارقطنى فى الافراد عن انس ولفظه خير ثيابكم البياض فا
فالبسوها احياكم وكفنوا فيها موتاكم ورواه ابن ماجه وغيره عن ابن عباس مثله فمعناه
اجمل ثيابكم اى احسنها داروقها والیقها اى اوفقها بسائر الناس اى احياء
واموانا اذا تجملوا بها وروى ان عيسى عليه السلام رفع الى السماء بمرقعته وكان
يلمع من كل رقعة نورا ساطعا فى الهواء فقيل له ما هذه الانوار فقال هذه انوار
الاضطرار اى التى لا يعرفها الا اهل الاسرار وفى الشمائل عن انس قال كان احب
الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها الحبرة وهى بوزن العنبة نوع من

برود

برود اليمن بخطوط حمر او خضر او زرق قيل وانما كانت احب الثياب اليه صلى
الله عليه وسلم لانه ليس فيه كثير زينة ولانها اكثر احتمالا للوسخ واما ما ورد
فى الشمائل عن ابى حذيفه قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء
فالمراد بها بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع سود كسائر البرود اليمنية
وهى معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر والا فالاحمر البحت
منهى عنه ومكروه لبسه لحديث اخرجه ابو داود من حديث عبد الله بن عمرو قال
مر بالنبى صلى الله عليه وسلم رجل وعليه حلتان احمران فسلم عليه فلم يرد عليه
وكذا يكره لبس المعصفر والمزعفر للرجال لما فى صحيح مسلم عن ابن عمرو ايضا قال
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال ان هذه من ثياب
الكفار فلا تلبسها واما لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصرى لبسها من على
قال ابن وحيه وابن الصلاح انه باطل وكذا قال العسقلانى انه ليس شئ من طرقها
ما ثبت ولم يرد فى خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف ان النبى صلى الله عليه وسلم
البس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لاحد من الصحابة ولا امر احدا
من الصحابة بفعل ذلك وكل ما روى فى ذلك صريحا فهو باطل قال ثم من الكذب
المفترى قول من قال ان عليا البس الخرقة الحسن البصرى فان ائمة الحديث لم يثبتوا
للحسن من على سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة هذا وسياتى فى كلام المص زيادة
بسط فى اداب لبس الثياب واجمعوا على استحباب تحسين الصوت اى تجويده
وتزيينه المودى الى تاثيره فى باطن قارئه وتحزينه بالقران ما لم يخل بالمعنى
وكذا بالمبنى للاحتراز عن اللحن الجلى والخفى لقوله عليه السلام اى كما ورد فى مسند
احمد عن البراء زينوا القران بصيغة الامر للندب اذ بالاجماع لا يجب اى اظهروا
زينتها وبهجتها باصواتكم اى الحسنة وزاد الحاكم فى رواية عنه فان الصوت
الحسن يزيد القران حسنا ولقوله عليه السلام ان لكل شئ حلية اى زينة
وحلية القران الصوت الحسن وفى رواية اخرى زينوا اصواتكم بالقران فقيل هو

مطلب

مطلب
واجمعوا على استحباب
تحسين الصوت

على القلب فى مبناه وقيل هو على بابه فى معناه فان كلا الحكمين صادق فى مقتضاه
وقد ورد فى حق ابى موسى الاشعرى لقد اوتى مزمارا من مزامير آل داود
واما حديث من لم يتغن بالقرآن كما رواه البخارى فقيل على ظاهره بشرطه وقيل
معناه من لم يستغن به عن غيره لقوله تعالى هذا بلاغ للناس اى كفاية فى الموعظة
ولقوله سبحانه اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ويكرهون القراءة
بالالحان المقطعة اى على الموازين الموسيقية بالزيادة والنقصان فى مدات
الحروف التركيبية بخلاف ما قرره القراء فى الكتب التجويدية واما القصائد والاشعار
اى من كلام الابرار او الفجار فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عن حكمه
فقال هو اى الشعر كلام اى كسائر انواع الكلام او هو كلام كالنثر من غير فرق بينهما
فى المبنى وانما يختلف حكمها فى المعنى فحسنه حسن اى وان صدر من غير اهله كما
ورد كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها هو احق بها وقبيحه قبيح وهو مستفاد
من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون
ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما
ظلموا الاية والمشهور ان هذا كلام الامام الشافعى وعلى كل تقدير فالحسن منه ما كان
من المواعظ والحكم اى وما يشعر الى التوحيد والبعث والمعاد وما يشير الى فضيلة
العبادة والزهادة والحج والجهاد والى مكارم الاخلاق وحسن المعاشرة مع الاحباء
وسائر العباد ومن هذا القبيل سماعه عليه السلام فى اشعار امية ابن ابى الصلت
مائة بيت ويقول بعد كل بيته هيه اى زده مع قوله عليه السلام كاد ان يسلم ومن
اشعاره فى مدح بعض الكرماء شعر اذكر حاجتى ام قد كفانى • حياؤك ان شيمتى
الحياء • اذا اثنى عليك المرء يوما • كفاه من تعرضه الثناء • وقد قال عليه السلام
اشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد شعر الا كل شىء ما خلا الله باطل • وهو معنى
قوله سبحانه كل شىء هالك الا وجهه وذكر الاء الله ونعمائه اى من نعمه الظاهرة
والباطنة وقد قال تعالى فاذكروا الاء الله واشكروا نعمة الله وكذا ذكر ايام الله

ووقائعه

ووقائعه مع احبائه واعدائه فقد قال عز وعلا وذكرهم بايام الله ونعت
الصالحين وقد ورد عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وصفة المتقين فانه يورث
الهمة العالية بان يتابعهم فى اعمالهم الغالية فسماعه حلال اى جائز بل مستحب

مطلب ذكر الصالحين بنزل الرحمة

وما كان من ذكر الاطلال جمع الطلل محركة الشخص من اثار الدار والمنازل اى
منازل الاحباء من العمارات والخباء والاثار والازمان اى ذكر الليل والنهار
والامم اى السابقة وما جرى لهم من النعم والنقم اللاحقة فسماعه مباح اى ليس
فيه جناح وقد يثاب عليه اذا ترتب عليه راحة للقلب وانتقال الى جريان افعال
الرب لا سيما اذا كان مع الخلق بحسن المعاشرة فى الخلق فعن عائشة كان اصحاب
رسول الله يتناشدون الاشعار وهو يتبسم رواه الترمذى وينبغى ان يحمل سماع
بعض السلف للاشعار على هذا المعنى الذى لم يرد عليه وجه من الانكار وما كان
من هجو اى لاهل الاسلام معينا او لواحد منهم معينا فسماعه حرام واما ما كان من
هجو الكفار والمبتدعة والفجار فليس بحرام بل يستحب لانه عليه السلام كان يضع
لحسان منبرا فى مسجد المدينة ويقول ان روح القدس مع حسان ما يفاخر او
ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما دخل عليه السلام مكة فى عمرة
القضاء وبين يديه ابن رواحة احد الشعراء وهو يقول شعر خلوا بنى الكفار
عن سبيله • اليوم نضربكم على تنزيله • فقال عمر يا ابن رواحة يقول الشعر فى حرم الله
وبين يدى رسوله فقال عليه السلام خل عنه يا عمر فهى اسرع فيهم من نضح النبل
عليهم كما قال القائل شعر جراحات السنان لها التيام • ولا يلتام ما جرح

ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

اللسان • وما كان من وصف الخدود اى اطراف الوجوه والقدود اى اطراف القامة
والشعور اى والطافها التى تاخذ بالشعور وما يوافق الطباع اى المستقيم
والنفوس اى السليمة فسماعه مكروه اى اذا كان يجره الى الشهوة او الغفلة الا العالم
ربانى اى منسوب الى الرب فى كمال الطاعة يميز بين الطبع اى طبع النفس والشهوة
والالهام اى اللمة الملكية والوسوسة اى اللمة الشيطانية قد امات نفسه اى حظها

بالرياضات اى بانواع المخالفات والمجاهدات اى بكثرة العبادات وخمد بشريته
اى همدت اثارها وظهرت انوارها وانكشفت اسرارها وفنيت حظوظه
اى بالكلية وبقيت حقوقه اى لتكميل الامنية فهو اى فذلك العالم من زبدة اهل
العالم كما قال تعالى فبشره عباده اى فى مدحهم الذين يستمعون القول اى من القران
والحديث ونحوه فيتبعون احسنه اى الطفه وانفعه وايمنه والمعنى انهم يميزون
بين الحق والباطل ويوثرون الافاضل والفواضل من بين محاسن الشمائل ومناقب
الفضائل فالحسن ما كان ماذونا فيه وهو الى الرخصة اقرب والاحسن هو العزيمة
والاصوب ويقال الحسن ما كان لله دون ما سواه ويقال الاحسن ذكر الله خالصا
لرضاه وقد قال الصديق الاكبر ليتنى كنت اخرس الا عن ذكر الله ويقال من عرف
الله لا يسمع الا بالله ويقال من احسن ان يسمع من الله احسن ان يسمع عباد
الله وقال بعضهم يسمعون القران وغيره فيتبعون القران غيره ومن الايات الدالة
على تحسين السماع قوله سبحانه واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من
الدمع مما عرفوا من الحق قال ابن عباس فى رواية عطاء يريد النجاشى واصحابه قرأ
عليهم جعفر بالحبشة كهيعص فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة كذا فى معالم
التنزيل وقوله سبحانه الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى اذا ذكرت ايات العذاب
لارباب الحجاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت ايات الرحمة لاصحاب
القربة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وعلامة من هذه صفته اى حاله ونعته ان
يستوى عنده القدح والمدح اى من جانب الخلق فان الحق هو الذى مدحه زين
وذمه شين والعطاء والمنع اذ لا معطى لما منع ولا مانع لما اعطى والجفاء والوفاء
اى الحاصلان من الاقرباء والاحباء فيكون صابرا على الضراء وشاكرا على السراء
ويرى كل شىء من البلاء عين النعماء وسئل بعض المشايخ عن السماع اى عن حكمه
مجملا فقال فى جوابا مفصلا مستحب لاهل الحقائق اى وارباب المعارف والعوارف

الدقائق المنقطعين عن الخلائق والعلائق مباح لاهل النسك اى العباده والورع
اى العفة والقناعة مكروه لاصحاب النفوس اى الشهويه والحظوظ اى اللهوية ثم هو
حرام لارباب الرياء والسمعة الدنيه والاظهار الحالات العلية فى الجنيد الناس فى السماع
على ثلاثة اضرب العوام والزهاد والعارفون فاما العوام فحرام عليهم لبقاء نفوسهم
واما الزهاد فيباح لهم لحصول مجاهدتهم واما اصحابنا فيستحب لهم وسئل الجنيد
وهو سيد الطائفة الجامع بين العلم والعمل والمعرفه عنه اى عن السماع وحكمه فقال
كل ما يجمع العبد اى بالحضور بين يدى الله سبحانه اى فى حال الشعور فهو مباح
اى اقل مراتبه ان يكون مباحا ولا يوجب جناحا والا فينبغى ان يكون بالجمع العبد من
تفرقته وغيبته الى مقام مراقبته من افضل الطاعات واكمل الحالات وما يصده عن
ذكر الله ويشغله بما سواه فهو حرام عند اهل الله واما سماع الصوت الحسن اى
ولو من الطيور والنغمة الطيبة اى من ارباب الحضور واصحاب السرور فهو حظ الروح
اى روحه وفتوحه وهو مباح اى بلا جناح لان صوت الحسن فى ذاته محمود اى
مستحسن غير مذموم وقيل فى قوله تعالى اى فى تفسيره يزيد فى الخلق ما يشاء هو الصوت
الحسن الطيب اى بصيغة الحصر للمبالغة والا فعموم الخلق يشمل الحلق وقد قرئ فى
الشواذ بالحاء المهملة وقد قال تعالى فهم فى روضة يحبرون اى يطنبون ويسرون
وقال بعضهم ان الصوت الطيب اى بمجرده لا يدخل فى القلب شيئا اى مما ليس
مكمنه نافيه ولكنه يحرك ما فى القلب اى ما ركز فيه الرب من الشهوة الدنيه او الهمة
العلية كما قيل كل اناء يترشح بما فيه وقد قال تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون ومن ثم قال
بعض العارفين السماع لما سمع كماء زمزم لما شرب له وفى الحديث انما الاعمال بالنيات
فكذا الاحوال بالطويات وهكذا سائر المباحات فانها يصير حسنات وسيئات باختلاف
الحالات والمقامات ثم اعلم ان الغناء على ثلاثة اقسام قسم سارح بغير آلة فالجمهور على
اباحته من غير كراهة وهذا منقول عن الائمة الاربعة بل حكى الغزالى الاتفاق عليه
وقد ضعف فيه ابن حزم ونقل اجماع الصحابة والتابعين عليه وقسم بالاوتاد وسائر

مطلب سيد الطائفة الجنيد بغدادى

مطلب الغناء ثلاثة اقسام

المزامير وهو حرام في مذهب الجماهير واختلفوا في الشبابة فالجمهور على تحريمها
وبه قال ابو حنيفة واصحابه وهو مختار النووي واباحه جماعة من الشافعية واختاره الغزالي
وتبعه الرافعي والاصل في ذلك ما رواه البيهقي عن نافع عن ابن عمر حين وضع اصبعيه
في اذنيه وقد سمع زمارة راع وعدل عن الطريق ولم يزل يقول ما نافع السمع حتى قلت
لا فاخرج اصبعيه من اذنيه وقال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذهب طائفة الى اباحة الدف مطلقا واصحابنا الحنفية خصوا جوازه بالعرس
لقوله عليه السلام اعلنوا النكاح واضربوه بالدف رواه الترمذي عن عائشة ثم حديث
ان اهل السماع يتفاوتون في حال سماعهم اي باعتبار اختلاف حالاتهم ومقاماتهم مطلب
فمنهم من يغلب في حال سماعه الخوف اي خوف العتاب او الحجاب او الحزن اي على
ما فاته من جميع الابواب او الشوق اي الاشتياق الى لقاء رب الارباب فيؤديه ذلك
اي السماع هنالك الى البكاء اي المتوسط من المقيدين والانين وهو بكاء الحزين من
المتوسطين والشهقة وهو مرتبة المنتهين كما يشير الى ذلك قوله سبحانه اذا تتلى عليهم
ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقوله تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا
يجدوا ما ينفقون وقد ثبت انه عليه السلام كان يبكي ولصدره ازيز كازيز المرجل
وتمزيق الثياب اي حال الغلبة والغيبة اي عدم الشعور عن فعله والاضطراب
وهؤلاء الذين تشرفوا بتجليات صفات الجلال واما ارباب الجمال فهم ايضا
مختلفون في ظهور الاحوال كما اشار اليهم بقوله ومنهم من تغلب عليه الرجاء
اي فيما راح وجاء والفرح اي السرور من غاية الحضور والاستبشار اي في مقام
الاستقرار فيؤديه الى الطرب اي الانبساط في بساط الرب والرقص ولعله اراد
به التحريك وعدم السكون في مقام التحقيق والتصفيق اي بالايدي لضيق الطريق
كما روي ان داود عليه السلام استقبل السكينة اي المذكورة في قوله تعالى اذ قال لهم
نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم الاية وان كان الضمير في
ملكه لطالوت الا انه كان سببا لنبوة داود بقتله جالوت بالرقص اي المناسب له

والروا

والرواية غير معروفة لا سيما الزيادة التي في نسخة فقالت له زوجته اترقص وانت
نبي فقال لها اتحكمين على قلبي وانت طالق وقد قال بعض اهل الكمال ان الرقص
من علامات النقص وعن عبد الله بن عروة ابن الزبير قال قلت لجدتي اسماء بنت ابي
بكر كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القران
قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تفيض اعينهم وتقشعر جلودهم قال فقلت لها
ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم خر احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان
والحاصل ان الانزعاج الذي يلحق المتواجد ممن ضعف حاله عن تحمل الدراء وذلك
لازدحام انوار اللطائف واسرار العوارف حول ارباب القلب الذي هو بيت الرب
فيلحقه دهش في جوانحه فينبعث بجوارحه ويسرع الى الصعقة والشهقة لغلبة الوجد
وقوة ما يرده واكثر ما يكون هذه الحالات لاهل البدايات واما اهل النهايات
فالغالب عليهم السكون والثبات لانشراح صدورهم واتساع قلوبهم للوارد
عليهم والنازل لديهم فهم في سكونهم متحركون وفي ثبوتهم متقلقلون كما قيل
لابي القاسم الجنيد ما لنا نتحرك عند السماع حال الاجتماع فقرا وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال اتينا
النبي صلى الله عليه وسلم اي حضرناه انا وزيد اي ابن حارثة وجعفر اي ابن ابي طالب
فقال لجعفر اشبهت خلقي بالفتح وهو صورته الظاهرة وخلقي بالضم وهو سيرته الباطنة
فحجل بفتح الحاء المهملة وكسر الجيم اي فتحرك واهتز فرحا اي لقوله عليه السلام
وقال لزيد انت اخونا اي في الدين ومولانا اي معتوقنا المنسوب الينا وذلك
لانه عليه السلام كان يقول له ابني وكذا الناس يقولون له ابن محمد حتى نزل قوله
تعالى ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين
ومواليكم الاية فحجل اي لذلك وقال لي انت مني وانا منك اي عترة قريبة كان بعضهم
من بعض فحجلت اي لذلك قال ابو عبيدة الحجل بفتحتين ان يرفع رجلا بكسر الراء وتقف
على الاخرى اي من الفرح كما في النهاية وفي نسخة وتنقز على الاخرى اي وثبت عليها

وقد يكون ذلك بالرجلين جميعا الا انه اى حينئذ قفز اى وثب وليس بمشى
قال بعض المحققين ما ابعد من استدل على اباحة الرقص المعروف بالنقص بهذا
الحديث وذلك لان المراد بالحجل هنا غاية الفرح ونهاية المرح بحيث لم يقدر صاحبه ان
يضبط بنفسه عن السكون فى مقامه والثبات فى حال قعوده بالميل الى قيامه ولعلهم
كانوا قائمين او فى ما حوله هائمين فليس فعلهم كمدعى زماننا علو الحال ولله در من
قال شعر لم يشرع المصطفى الهادى لامته • فعل المكاء لا رقصا وتصفيقا لو ان
قلب الفتى للرقص يصلحه • لاصبح القرد قطب الغوث تحقيقا • وقد صرح صاحب العوارف
انه لا يليق الرقص بالشيوخ ومن يقتدى به لما فيه من مشابهة اللهو ثم اعلم ان الحديث
كان فى عمرة القضا كما رواه اسحق بن راهويه عن على قال لما خرجنا من مكة اتتنا بنت حمزة
تنادى يا عم يا عم فتناولتها بيدها فدفعتها الى فاطمة فقلت دونك بنت عمك فلما قدمنا
المدينة اختصمنا فيها انا وجعفر وزيد بن حارثة فقال جعفر بنت عمى وخالتها عندى
يعنى اسما بنت عميس وقال زيد بنت اخى اى فى المواخات وقلت انا اخذتها وهى
بنت عمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت جعفر فاشبهت خلقى وخلقى واما
انت يا على فمنى وانا منك واما انت يا زيد فاخونا ومولانا والجارية عند خالتها فان
الخالة والدة فهذا الحديث كما ترى ذكر الحجل اصلا كما لا يخفى وعلى تقدير ثبوته ينبغى ان
يحمل على معنى التجريد بان يراد مجرد الفرح الشديد او على التشبيه المفيد للمبالغة و
التاكيد والمعنى انهم فرحوا فرحا لولا انهم كانوا فى مقام الثبات والتاييد لحجلوا وحركوا
ارجلهم على وجه التاييد وقد يحدث ان يطرؤ للمستمع اى حال اجتماعه فى خلال
سماعه شوق اى ذوق واشتياق الى ما يذكر اى فى ذلك المقام من انواع المرام
فيثب من مكانه اى ولم يثبت فى زمانه فعل من يريد الذهاب الى محبوبه اى وهو
مقيد فى قيد محجوبه فاذا علم ان لا سبيل اليه اى ولا يمكن الوصول لديه بالوثوب
عليه كور الوثوب مرارا اى فى حركاته وسكناته دفعا لمراداته وحراراته التى كانت
معه شائعا ويدور دورانا متتابعا اى كانه يطوف حول بيت ربه مشبها بالحائفين

حول

حول عرشه وذلك كله من ضيق الصدر وشدة الضجر وقلة الصبر وعدم التمكن
فى سياحة البر وسباحة البحر وقد قيل من منع عن النظر تسلى بالاثر وقد يكون
ذلك اى الوثوب هنالك من تردد وتظهر فى حال السماع بين الروح والجسد
اى الوثوب
اى من علاقة مناسبة الاجتماع وذلك لان الجسد سفلانى اى لكثافته خلق من التراب
اى هو معظم عناصره والروح روحانية بالفتح علوية اى للطافته خلقت من الفرح
اى من النور والسرور الناشئ من امر رب الارباب فهى تمر مر السحاب فالروح يعلو الى
فوق اى يميل الى الجهة العليا والجسد ينزل الى محله اى من مكانه ومكانته السفلى الا ان
يقع السكون اى سكون القلب واطمينانه بذكر الرب فيسكن ويطمئن الغالب وقد يكون
ذلك اى الوثوب وما تقدم هنالك على سبيل التفرح اى على طريق تكلف الفرح من
غير حقيقته وفى نسخة بالجيم اى على سبيل التنزه والتفكه والتفسح اى الرخصة
والتوسع والتطائب اى تطائب الاستماع فى حال السماع ويسمى مثل هذا
تواجد الا وجد كما فرقوا بين الزهد والتزهد وبين الصوفى والمتصوف والعارف
والمتعرف وليس اى هذا التواجد بمحظور اى بممنوع عند المبتدين والمقلدين
الا انه ليس من صفات المحققين وقد سمع سفيان الثورى قائلا يقول شعر
احن الى الذى اضحى وامسى • فؤادى يتقيه ويرتجيه • تشاغل كل مخلوق بخلق •
وشغلى فى محبته وفيه • فجعل سفيان يتواجد ويقول نعم الشغل بك لا بغيرك •
وقال ذو النون المصرى
وقال ذو النون المصرى كان موسى عليه السلام فى بنى اسرائيل يعظهم فزعق رجل
منهم فانتهره موسى فاوحى اليه يا موسى بطيبى صاحوا وبحبى راحوا وبوجدى
فاحوا وبقربى استراحوا وفى ميدان المعرفة زاحوا فلم تنكر على عبادى • وحكى ان
الشبلى سمع قائلا يقول شعر اسائل عن سلمى فهل من مخبر • يكون لها علم بها
ابن تنزل • فصاح وقال والله ما فى الدارين عنه مخبر وقد قال الشيخ شهاب
وقد قال الشيخ شهاب الدين السهروردى
الدين السهروردى المنكر بالسماع اما جاهل بالسنن والاثار واما مغتر بما خرمه
من احوال الاخيار واما جامد الطبع لا ذوق له فيصبر على الانكار وحكى عن ابى

عبدالله احمد بن عطاء الرودباری وهو من اکابر القوم انه قال سر الصادق
فی السماع ای المبرا عن صفة السمعة والریاء فی حال الاجتماع ثلاثة العلم بالله ای
بذاته وصفاته وافعاله فی انوار مصنوعاته واسراره فی مکنوناته والوفاء بما هو علیه
ای من حفظ اداب الشریعة واخلاق الطریقة واحوال الحقیقة وجمع الهمة ای بعدم
التفرقه المبعده عن الحضرة فالمکان الذی یسمع ای النشائد الطیبه یحتاج الی طیب
الروایح ای الظاهرة لیکون نور علی نور وسرور علی سرور وحبور علی حبور فان
الطیبات للطیبین کما فی الایة وقد ورد ان الله طیب یحب الطیب ولهذا لم یکن علیه حدیث
السلام یرد الطیب وکان یکثر من استعمال المسك حبا للمولی فدر ما کان یصیب
راس مال لا یاب الدنیا وحضور الوقار ای الثبات والسکون والاطمینان بالاذکار
والافکار وعدم الاضداد ای المنکرین والساعین بالفساد فیما بین العباد قال تعالی
یا ایها الذین امنوا اتقوا الله وکونوا مع الصادقین ورویة من یتلهی ای وعدم مشاهدة
من یشتغل عن المولی بالسوی لا سیما من الاحداث والنساء ومن تبسم ای فی الملاء الاعلی
لا سیما اذا کان من غیر موجب ولا باعث وسبب فانه یدل علی کثرة الغفلة وقلة
الادب ویسمع ای السالك علی ثلاثة معان المحبة وهی اعلا المرتبة والخوف ای من الحرقة
او الفرقة والرجاء ای للمثوبة او اللقاء والحرکة فی السماع علی ثلاثة انواع الطرب وهو الموجب
للنشاط والانبساط علی البساط والوجد وهو الباعث علی المراقبة والمشاهده
والخوف وهو السبب لحصول الهیبة والادب فی الحضرة فالطرب له ثلاث
علامات ای ولالات یظهر علی الاشباح الرقص وهو من علامات البعض
والتصعق وهو من ضیق الطریق والفرح ای شدة الفرح الذی یظهر اثره
علی الجسد والوجد له ثلاث علامات الغیبة ای فی بحر الشهود والاصطلام
ای فی طریق الوجود والصرخات ای الصیحات فی محبة المعبود والخوف له ثلاث
علامات البکاء ای بالدموع فی مقام التمکین والانین ای بصوت الحزین والزفرات
ای الصیحات فی حال التلوین والله المعین وان اردت الانبساط فی حاشیة هذا

البساط

تسمیة الکتاب

البساط فعلیك برسالتی التی کتبتهما فی حال النشاط احدیهما الاعتناء بالغناء
والاخری فتح الاسماع فی شرح السماع وسیاتی کلام الشیخ زیادة فی التحقیق
والله ولی التوفیق **فصل** ای هذا انتقال من نوع اصول الدین وما یترتب فصل من نوع اصول الدین
علیه نظامه ولذا قال واما فروع الدین واحکامه ای من العبادات والمعاملات
فقد اجمعوا علی وجوب تعلم ما لا یسع ای لا یجوز جهله من الاحکام الشرعیة
کمعرفة الطهارة والصلوة والسلام والصوم وهذا علی عموم المسلمین وکذا معرفة
الزکوة والحج بالنسبة الی اغنیاء المؤمنین وما یحل ویحرم ای من الماکولات والمشروبات
عموما والعقود فی ابواب المعاملات لمن ابتلی بتلك الحالات خصوصا لیکون العمل
ای عمل السالك موافقا للعلم ای باحسن المسالك فقد قیل او تجرد العلم عن العمل کان
عقیما ای لم ینتج امرا عظیما فان العلم بلا عمل واثر کشجر بلا ثمر وکسحاب بلا مطر واذا
خلا العمل عن العلم کان سقیما اذا لم یکن اساسه مستقیما وقد قال تعالی مثل الذین
حملوا التوریة ثم لم یحملوها کمثل الحمار یحمل اسفارا وفی الحدیث المتعبد بلا فقه کالحمار مطلب المتعبد بلا فقه کالحمار فی الطاحونة
فی الطاحونة ولذا قالوا ینبغی للسالك ان لا یشتغل بالعلم بحیث یمنعه عن العمل ولا
بالعمل بحیث یمنعه عن العلم فیکون عالما عاملا جامعا کاملا وقد اشار الامام مالك
الی ذلك حیث قال من تفقه ولم یتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم یتفقه فقد مطلب من تصوف ولم یتفقه فقد تزندق
تزندق ومن جمع بینهما فقد تحقق والمعنی من تعلق بظواهر الشریعة العلیة ولم یتصف
بالاخلاق الباطنة السنیة صار فاسقا لترکه بعض العلوم العینیة من معرفة الاخلاق
الحمیدة والدنیة وما یتعلق بهما من الاتصاف والاجتناب فانهما مدار الطریقة الصوفیة
ومن تعلق بالتصوف وما یترتب علیه من التعرف واصطلاحات کلمات المشایخ
الجلیة ولم یتعلم ما یجب علیه من الاعتقاد علی وجه الاعتماد فی ذات الله سبحانه
وصفاته البهیة وما یتعلق بالفروع الفقهیة فی المعاملات من الحرام والحلال وفی
العبادات من الصحة والفساد والکمال صار زندیقا اما باعتقاد فاسد فی حق الله
من الحلول والاتحاد او بتحریم حلال او تحلیل حرام ونحوهما فصار من الملاحدة الاباحیة

ومجمل ذلك ان العلم اس العمل فلا يصح العمل بدونه والعمل ثمرة العلم فلا ينفع علم
بلا عمل بل يضر وقليل العمل مع العلم خير من كثير العمل مع الجهل لان من عمل بلا علم
فساده اكثر من صلاحه وفي حديث رواه الطبراني قليل العمل خير من كثير العبادة
وكفى بالمرء فقها اذا عبد الله وكفى بالمرء جهلا اذا اعجب برايه وفي لفظ عبده
يسير الفقه خير من كثير العباده ويؤيده حديث لفقيه واحد اشد على الشيطان
من الف عابد رواه الترمذي وغيره وقال عليه السلام طلب العلم فريضة على
كل مسلم ومسلمة رواه ابن ماجه وغيره عن انس وقد علمت ان بعض العلوم من فروض
الاعيان كمعرفة الله باعتبار ذاته وصفاته وسائر باب الاعتقاد على وجه الاقتضا
اجمالا او تفصيلا اما تقليدا او تصديقا واما استدلالا او تحقيقا وكمعرفة الفرائض
العمليه وان بعضها من فروض الكفايه كما في العلوم الشرعيه وفي الجملة كسب العلوم
الدينية افضل من عبادات النوافل البدنيه فقد قال عليه السلام فضل العالم
على العابد كفضلي على ادناكم فتاملوا فان فيه مبالغة لا يخفاكم واختاروا اي الصوفيه — مطلب بيان
من المذاهب اي الاربعة وغيرهم مذهب فقهاء اصحاب الحديث اي الجامعين بين
الفقه والحديث بان يكون ماخذ كل مسالة من مسائله حديث بصحة اسناده ورجاله
وما يتعلق بدلائله واما ما ذكره شارح ان المراد به مذهب الشافعي فغير صحيح
اذ المشايخ الكبار وجدوا في كل مذهب من المذاهب الاربعة كشيخ الاسلام
احمد الجامي والشيخ زين الدين الخوافي وجميع اكابر مشايخ النقشبندية في الحنفية وغالب
الكبروية في الشافعية وشيخ الاسلام عبد الله الانصاري والقطب الرباني السيد
عبد القادر كيلاني في الحنبلية وكالشيخ ابو مدين المغربي وابو القاسم الشاطبي
وابو طالب المكي وابو عثمان المغربي في المالكية ثم اطلاق اصحاب الحديث اولى ان يكون
على الحنفيه لانهم يعملون باحاديث الصحابة الرضية ويقدمون الحديث الضعيف
على القياسات العقلية بخلاف الشافعية ثم لا شك ان الاولياء المتقدمين كانوا على مذهب
ابي حنيفة كابرهيم بن ادهم والفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وداود الطائي — مطلب على مذهب ابي حنيفة

و

وهو امام هذه الطائفة وراس سلسلة المشايخ من معروف الكرخي والسري السقطي
والجنيد البغدادي ومن بعدهم رضي الله عنهم وايضا ليس للمذهب وحلف
هذا التزب فكل من يكون في المتابعة اتم فهو الى الله اقرب وحكي ان ابا يزيد كان على مذهب
الامام جعفر والجنيد على مذهب ابي ثور النافي للقياس فالمدار على متابعة الكتاب
والسنة واجماع الامة بل المحققون من الصوفية يحتاطون في المسائل الفرعية فمثلا
اذا كان حنفيا يتوضا من مس ذكره ولمس امراته مراعاة للشافعية واذا كان شافعيا لم
يتوضا من القلتين ويتوضا من القيء وخروج الدم متابعة للحنفية وكذا يراعون
في مسائل الصلوة والزكوة وسائر الاحكام الشرعية حتى قيل هذا مذهب خامس
للصوفية ولا شبهة ان الخروج عن الخلاف مستحب بالاتفاق والعمل بما اتفق عليه
اولى مما اختلف فيه فخذ ما صفا ودع ما كدر ومن عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم
والله سبحانه اعلم هذا وقول الشارح ان احمد بن حنبل خطا فاحش لانه احد
المجتهدين في الاربعة المشهورين نعم فقال البخاري من المحدثين لا من الفقهاء المجتهدين
وكذا قوله ان صاحب قوت القلب تابعي فانه مالكي المذهب واما ليس بتابعي وكذا
سائر ارباب المذاهب الا ابا حنيفه فانه تابعي بلا خلاف على خلاف في ان له رواية عن
الصحابه ام لا وكذا قوله ان مذهب الشافعي احوط خطا ولا احتياط في التوضي
بالقلتين والاكتفاء في مسح الراس بشعرين وعدم الوضوء بخروج القيء والدم
ورفع اليدين في الصلوة ونحوها بل ولا يصلح حال الشافعيه في اكلهم وشربهم
وانكحتهم واخراج زكوتهم وفطرتهم الا بتقليد الحنفيه في مسالة المعاطاة ومصارف
الزكوة والولي والشهود المعروفة في الكتب الفقهية ولا ينكرون اي الصوفيه الاختلاف
اي الذي وقع بين العلماء في الفروع لان ادلتها ظنية وكلها راجعة الى الكتاب
والسنة لكن باختلاف الفهوم وتنامرت العلوم وذلك لقوله عليه السلام
اختلاف العلماء رحمة رواه جماعة من الائمة لكن بلفظ اختلاف امتي رحمة واما
الاختلاف في الاصول فهو مذموم لانه خروج من الكتاب والسنة واجماع الامة بسبب

الادلة العقلية التي اختارها المبتدعة كالخوارج والروافض والمعتزلة وذلك
لقوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وبقوله عليه السلام
افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة رواه
الاربعة عن ابي هريرة وفي رواية كلهم في النار الا واحدة وهي ما انا عليه واصحابي وسئل
بعضهم اي بعض العارفين عن العلماء الذين اختلافهم رحمة اي في فروع الدين من
هم فقال هم المعتصمون اي المتمسكون بكتاب الله كما قال تعالى واعتصموا بحبل
الله جميعا ولا تفرقوا المجاهدون اي المبالغون والمجدون في متابعة رسول الله
اي بتتبع احاديثه واخباره وذلك لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
وقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله المقتدون بالصحابة اي في افعالهم
واقوالهم سواء اتفقوا واختلفوا وذلك لقوله عليه السلام اقتدوا باللذين من
بعدي وقوله عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وقوله اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وهم اي علماء الدين على ثلاثة اصناف فما خرج
عنهم ليس منهم اصحاب الحديث وهم القائمون بمتن الحديث وضبطه وحفظه
وتحقيق الاسناد ورجاله وبيان صحته وحسنه وضعف حاله والفقهاء
وهم القائمون بمعرفة الاصول والفروع المأخوذة من الكتاب والسنة واجماع
الائمة وعلماء الصوفية وهم العباد والزهاد المتورعون عن الحرام المشتغلون
بذكر الله على الدوام المنقطعون عما يشغلهم من الانام المحاسبون لانفسهم
في الليالي والايام فاما اصحاب الحديث فانهم تعلقوا بظاهر حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي بضبط لفظه وقيد حفظه كما ورد نضر الله امرأ سمع
مقالتي فوعاها واداها كما سمعها وهو اساس الدين لان كلام الله مجمل يحتاج
الى التبيين كما اشار قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم على ان بيانه ايضا راجع
الى بيان الحق كما اومى اليه قوله فاذا قرأناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه وايضا
كما قال الشيخ لقوله تعالى وما آتاكم الرسول اي من الامر فخذوه اي واعملوا به وما نهيكم

عنه فانتهوا اي فاجتنبوه فمدار الدين وتمام نظامه على احاديث الرسول وكلامه واشتغلوا
اي اصحاب الحديث بسماعه اي اولا حتى صاروا كاملين ونقله اي ثانيا ليكونوا مكملين
وتدوينه اي تصنيفه وتاليفه ثالثا ليبقى اثر انوارهم على صفحة الدهر ابد الابدين
وتمييز صحيحه اي ثابته من مرسله ومرفوعه من سقيمه اي ضعيفه وموضوعه وهم
حراس الدين اي حفاظه في مقام اليقين من تحريف الغالين والملحدين فقد قال
عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيما واما الفقهاء فانهم
فضلوا اي رجحوا على اصحاب الحديث اي اذا تتبعوا الاحاديث كما يشير اليه قوله بعد
قبول علمهم وانما رجحوا بما حصل فيهم من الفهم والفقه اي من زيادة فهم المبنى
وفقه المعنى والاستنباط اي الاستخراج بالقياس والمفهوم من فقه الحديث
اي دلالته والتعميق اي المبالغة والاتساع والتحقيق بدقيق النظر اي التأمل والفكر
في ترتيب الاحكام اي من الصحة والجواز والحلال والحرام وحدود الدين اي المشار
اليها بقوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها كالزنى والقتل والربوا ونحوها
وكذا المومى اليها بقوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها من فرائض الصلوة
والزكوة والحج وغيرها والتمييز بين الناسخ اي الذي يجب العمل به والمنسوخ
اي الذي لا يعمل به ومنه قوله عليه السلام كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا
فزوروها فانها تذكرة للاخرة والمنسوخ انواع منها ان يكون منسوخ الحكم دون
اللفظ كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين وقوله عز وعلا فاصفح عنهم عكسه كاية ومنها صح
الرجم ومنها ان يكون منسوخ المبنى والمعنى والنسخ حق لقوله تعالى ما ننسخ من
اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وهو موجود في الكتاب والسنة كما هو مفصل
في محله والمطلق وهو ما دل على بعض افراد شائع لا قيد معه كرقبة والمقيد مقابل
له وهو الدال على مدلول المطلق بصفة زائدة نحو مؤمنة فهو المطلق يحمل على المقيد
فعندنا لا وعند الشافعي نعم والمجمل وهو ما اشتبه مراده لتزاحم المعاني فيه من غير
رجحان لاحدها فاحتاج الى الاستفسار وذلك كاية الربوا فهو ما ازداد وضوحا

والمفسر مقابل له

على النص من غير احتمال تاويل كقاتلوا المشركين كافة والخاص وهو ما وضع لمعنى
واحد معلوم على الانفراد جنسا كان كالانسان او نوعا كرجل او عينا كزيد والعام
وهو ما تناول افرادا متفقة الحدود على سبيل الشمول والمحكم وهو ما احكم المراد
به اى امتنع معناه عن احتمال النسخ والتبديل كالايات الدالة على وجود الصانع وصفاته
وكقوله عليه السلام الجهاد ماض الى يوم القيمة والمتشابه وهو مقابل المحكم وهو ما لم يرجع
بيان مراده لشدة خفائه كالمقطعات واحاديث الصفات ولكل واحد منها حكم مبين
وفى اصول الفقه معين فهم اى الفقهاء اصولا وفرعا احكام الدين واعلامه اى رسوما
وشروعا واما الصوفية اى الكاملون الجامعون بين الشريعة والطريقة الواصلون الى
مقام الحقيقة فاتفقوا مع الطائفتين اى من العلماء وهم المحدثون والفقهاء فى معانيهم
ورسومهم اى فى معرفة علومهم وفهومهم اذا كان ذلك اى ما ذكر من معانيهم ورسومهم
من مبانيهم مجانبا لاتباع الهوى اى هوى النفس من التعصب ومنوطا بالاقتداء
اى ومعلقا بالاقتداء بالكتاب والسنة واجماع العلماء لا بمجرد الادلة العقلية
او الادلة الضعيفة الوهمية من النقلية وهذا الذى ذكرناه حال الكمل من الصوفيه
علما وقالا وعملا وحالا فمن لم يحط من الصوفية علما مما احاطوا به اى الفقهاء يرجعون
اى الذين لم يحيطوا من الصوفية اليهم اى الى الفقهاء فى احكام الشرع اى فروعه الفقهيه
من العبادات وحدود الدين اى من المعاملات والعاقبات فاذا اجمعوا اى الفقهاء
فهم اى الصوفية على اجماعهم اى على اجماع الفقهاء مجموعون وعن الاتفاق معهم لا يتفرقون
واذا اختلفوا اى الفقهاء فيما بينهم اخذ الصوفية بالاحسن لقوله تعالى الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وهو ما يكون اظهر دليلا واشهر تاويلا او ما
يكون عليه الجمهور لقوله عليه السلام عليكم بالسواد الاعظم والاولى اى الاحوط فى
مقام التقوى والابعد عن متابعة النفس والهوى فان من وافقها ملك ومن خالفها
ملك وليس من مذهبهم اى المختار فى مشربهم طلب التاويلات اى البعيدة وركوب
الشهوات اى اى الغير السديده بل مذهبهم اكتساب العزيمات واجتناب الرخص

في غير

في غير الضرورات ثم انهم خصوا بضم اوله اى اختصوا بعد ذلك اى ما ذكر
من عموم علومهم وشمول رسومهم بعلوم عاليه اى لا يدركها الا فهو غالبه
واحوال شريفه اى مما يدل عليها مقامات منيفة وحالات لطيفة فصل المقام
ما يتعلق بالكسب والحال ما يتحقق بالرهب وقيل الحال ما يتحول احيانا وهولا رباب
التلوين والمقام ما يثبت وهو لاصحاب التمكين وتكلموا فى علوم المعاملات اى فى
اسرارها وحكمها وانوارها والمراد بالمعاملات هنا ما بين العبد ومولاه من مخالفه
نفسه وهواه واتقائه لله حق تقواه وعيوب الحركات والسكنات اى فى الجوارح
والجوانح والهيئات وشريف المقامات اى وظريف الحالات الكاملات مما لم يلتفت
اليه بعض الفقهاء مع ان معرفتها من فروض العين باجماع العلماء ومنشاء ذلك
فساد نيتهم وخراب طويتهم حيث كان غرضهم تحصيل المناصب الدنيوية التى
هى اسباب المتاعب الاخروية وذلك اى ما ذكر من علوم الخواص التى هى بواعث
الخلاص من الناس والنسناس فى مقام الاخلاص مثل التوبة وهى اول منازلهم
ومبدا مراحلهم وهى الرجوع من المعصية الى الطاعة ومن الغفلة الى الذكر ومن
التفرقة الى الجمعية ومن الغيبة الى الحضور وهى فريضة على كل مسلم ومسلمة قال تعالى
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
وفى الحديث كلكم خطاؤن وخير الخطائين التوابون وركنها الاعظم الندامة
من حيث كون الشئ مصيبة ثم القلع عنها ثم العزم على ان لا يعود اليها وتمامها
ان يتدارك ما فاته من حقوق الله وحقوق العباد ما لم يتب العبد على وجه اليقين
لم يدخل فى سلك المريدين والزهد وهو قلة الرغبة فى الدنيا الفانيه وكثرة التوجه
الى الاخرى الباقيه وفى الحديث ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى ايدى الناس
يحبك الناس والورع وهو كف النفس عن الحرام والشبهة ليترتب عليه طيب المعيشة
وتوفيق الطاعة قال تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقيل صلاح الدين
الورع كما ان فساد الدين الطمع وورد اعوذ بك من طمع فى غير مطمع وفى الحكم

مثل التوبة

والزهد

والورع

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون رواه احمد وابو يعلى
وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد

من ترغيب الترهيب
للامام المنذري

ما لسفت اغصان ذل الا على يد رطمع والصبر وهو حبس النفس عن المخالفة
بالثبات على اكتساب الطاعة والاجتناب عن السيئة وعدم الجزع والفزع في احبائه البلاء
وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا اي اصبروا على البلاء
وصابروا مع الاعداء ورابطوا القلب بالحضور مع الرب والرضاء اي بالقضاء اعم من
البلاء والنعماء والتوكل اي الاعتماد في جميع اموره على الله وعدم التفاوت الى ما سواه
والمحبة اي الموجبة لكثرة ذكره سبحانه فقد ورد من احب شيئا اكثر ذكره وفي الحديث
اذكروا الله حتى يقولوا مجنون واعلم ان المحبة اعلى المراتب واعلى المناقب كما يشير
اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه وقل ان كنتم تحبون الله الاية بل كل مقام وحال اما
مقدمة لها كالتوبة والزهد والورع ونحوها واما نتيجة وثمرة منها كالشوق والانس
والرضا وامثالها والخوف اي من العقاب والحجاب والرجاء اي في اللقاء والثواب
والمشاهدة وهي مقام الاحسان الذي فيه كمال الانسان بان يعبد الله كانه يراه
والطمانية اي بذكره وفكره لقوله سبحانه الا بذكر الله تطمئن القلوب واليقين
اي في مقامات الدين من غير تزلزل وتردد وتشكك من وساوس الشياطين
والقناعة اي بما قسم الله له وقدره فانها كنز لا يفنى وهي تيسير الحيوة الطيبة والصدق
اي باللسان والاخلاص اي في الجنان بانه لا ينوي في طاعته غير الله وان لا يحب ان
يطلع على عبادته سواه وعن الفضيل بن عياض العمل لغير الله شرك وترك العمل لغير
رياء والاخلاص ان يخلصك الله منهما والشكر اي على النعماء بل على المحن والبلاء
كما هو طريق اهل الولاء والذكر اي على وجه الدوام والفكر اي في التفكر صفاته ومصنوعاته
دون ذاته لقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والارض والمراقبة اي مراقبة احواله بمحاسبة اعماله ومحافظة
اقواله كما اشار اليه قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
واتقوا الله وهو ان مستحضرا بان الله ناظره وحاضره ومطلع على باطنه وظاهره
والاعتبار اي بموت الاقران وما يجري في حوادث الدوران في حق الابرار والفجار

والصبر
والرضاء
والتوكل
والخوف
والرجاء
والمشاهدة
والطمانية
واليقين
والقناعة
والصدق
والاخلاص
والشكر
والذكر
والفكر
والمراقبة
والاعتبار

لقوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار وقد ورد السعيد من اتعظ بغيره والوجل
اي الخوف الكثير الباعث على الحذر من التقصير وفي نسخة بدله بمعنى الحزن فان الله يحب
كل قلب حزين اذا كان في امر الدين وان الله لا يحب الفرحين المتنعمين والتعظيم اي
لامر الله تعالى والاجلال اي بالشفقة على خلق الله والندم اي الندامة على ما فاته من انواع
التقصير في الطاعات واصناف الغفلة في مرور الايام والساعات فقد ورد ليس
يتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها والحياء اي
باستحيائه من الله سبحانه حق الاستحياء بان لا يراه حيث نهاه والجمع اي جمع الخاطر
بذكره وفكره والتفرقة اي بحظوظ ما سواه وقصور نفعه وضره ومن دقائق كلامهم
قوله تعالى اياك نعبد تفرقة واياك نستعين جمع ولهم مقام اخر يسمى جمع الجمع
وهو ان لا يمنعه شهود الوحدة عن وجود الكثرة ولا يحجبه وجود الكثرة عن شهود
الوحدة وقع ذلك كل جمعية يخالف امور شرعية فهو زندقة وكل تفرقة لا يصاحبه
جمعية فهو غفلة وحماقة والفناء اي عن الحظوظ واللذات والبقاء اي ببقاء الله سبحانه
في جميع الحالات التي منشأها الصفات ومصدرها الذات وقد يقال الفناء عن حظوظ
السوى والبقاء هو دوام حضور المولى ومعرفة النفس اي اخلاقها وصفاتها الذميمة
والحميدة المركبة في طباعها وجبلاتها في المذمومة والمحمودة ومجاهداتها اي بمخالفاتها
ورياضاتها اي لاعتدال حالاتها واستقامة مقاماتها ودقائق الرياء فانها
اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء والشهوات الخفية
اي التي لم يميزها الا صاحب المقامات الجلية والشرك الخفي اي المعموس في طبع النفس
من النبي والولي كما قال تعالى حكاية ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ونعم ما
قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ومن جملة الشرك الخفي رؤية الضر والنفع
من الخلق وكذا مشاهدة الرجاء والخوف والعطا والمنع واليه اشار قولهم التوحيد
اسقاط الاضافات وكيفية الخلاص منها اي من افات النفس ووساوسها واحسن
انواع الخلاص منها الالتجاء الى صاحبها كما في الدعاء المأثور اللهم اني اعوذ بك

والوجل
والتعظيم
والاجلال
والندم
والحياء
والجمع
والتفرقة
والفناء
والبقاء
ومعرفة النفس
ومجاهداتها
ورياضاتها
ودقائق الرياء
والشهوات الخفية
وكيفية الخلاص

من شر نفسي واللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ولله در القائل اعط العوس باريها وهذا انما يكون بعد المجاهدة والمراقبة والمحاسبة والرياضات التي يضعفها عن المخالفة ثم اخر الداء الكي في المعالجة بحسم المادة وفي الجملة الحجب اربعة الدنيا والخلق والشيطان والنفس وهي اساس البلاء واعدى الاعداء ولذا قيل لابي يزيد في مقام المزيد حين قال الهي كيف الطريق اليك دع نفسك وتعال واما قول بعض ارباب الحال خطوتين وقد وصلت اراد به النفس والشيطان او الدنيا والعقبى كما يشير اليه قوله سبحانه فاخلع نعليك فعليك خلعهما عن قلبك حتى يصل الى كمال قربك وجمال حبك لربك ولهم اي للصوفية ايضا اي زيادة على ما ذكر مستنبطات مسائل مستخرجات من علوم مشكلة اي ملتبسة تلك العلوم على الفقهاء اي المحصودين بالرسوم مثل العوارض وهي الخواطر النفسانية واللمات الشيطانية والملكية والسبحانية والعوائق اي الموانع من العلائق التي هي القطائع عن اللوايح واللوامع والحقائق اي في معرفة الدقائق والاذكار اي النفسية في الحالات الخفية والمقامات الجمعية واليه الاشارة في قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت اي تركت حظك او نسيت نفسك او نسيت غيره ولذا قيل اذا نسيت ما دون الله فقد ذكرت الله فمن اشتغل بدنياه او عقباه ولم يذكر الله ولم يعط حق مولاه ومن هنا قال العارف ابن الفارض في الحال العايض ولو خطرت لي في سواك ارادة على خاطري سهوا كلمت ردني وقال ابو يزيد اذا خاطر ببالي الدنيا توضأت لانها محدثة وذكرها حدث واذا خطر ببالي الاخرة اغتسل لانها منبع الشهوة ومن هنا قيل لن يصل الى الكل الا من انقطع عن الكل وتجريد التوحيد اي بذاته وصفاته عن اشراك غيره به من ملاحظة مخلوقاته في جميع حركاته وسكناته ومنازل التفريد اي في مطالعة اصناف مصنوعاته وانواع مكنوناته وجنايات السر اي بالتفاته الى ملاحظة النعمة ومطالعة البر وتلاشي الحدث اي اضمحلاله واستهلاكه وفنائه بل العدم اذا قوبل بالقدم اي بوجوده وجوده وبقائه وملاحظة ماله من الكرم

من الكرم فان وجود السوى في مقابلة وجود المولى كالهباء في الهواء وكسراب بقيعة يحسبان الظمآن انه الماء ويشير اليه قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقوله عليه السلام اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل ومن هنا قال ليس في الوجود الا الله وليس في الدار غيره ديار اي في نظر ارباب الاعتبار لان الحادث عن القديم وان حقائق الاشياء غير ثابتة كما قال به الوجودية من اتباع ابن عربي من الصوفية فان هذا الاعتقاد اوجب الفساد فيما بين العباد من اهل البلاد وهو شر من اعتقاد النصارى فانهم حصروا ذهاب الناسوتية وبقاء اللاهوتية في المسيح الذي مظهر العجايب ومظهر الغرايب وهذه الطائفة الشنيعة خرجوا من اصل الشريعة حيث جعلوا جميع الاشياء عين خالق الارض والسماء فهذا منزلة الاقدام لكثير من الاعلام بناء على متابعة الحكماء الخارجين عن دائرة الاسلام فافرق بين الموحد والملحد في هذا المقام بتوفيق الملك العلام وعبور الاحوال اي باختلاف مقامات الرجال فان الانسان ليس له توقف في هذا الميدان فمن لم يكن في الزيادة فهو في النقصان واما ما وقع في نسخة شارح هنا وعيوب الاحوال فليس مناسبا لما نحن فيه من تحقيق المقال وجمع المتفرقات اي بملاحظة ان الكائنات كلها ترجع الى الله سبحانه في جميع الحالات فيكون نظره في صفات من خفض الارض ورفع السموات والاعراض عن الاغراض اي اغراض النفس ومقاصدها وترك الاعتراض اي فيما يرى من الامور المختلفة ويشاهدها ويعلم ان كل ما في الكون حق وصواب لانه صدر عن حكيم عليم لتدبر اولي الالباب وقد قال الشيخ ابو مدين المغربي شعر لا تنكر الباطل في طوره فانه بعض ظهوراته وقال الغزالي ليس في الامكان ابدع مما كان واعترض عليه من لم يصل فهمه اليه فهم اي الصوفية مخصوصون اي من بين الطوائف بالوقوف على مشكل ذلك اي بالاطلاع على مشكلات ما ذكر من العوارف واللطائف والمقامات الشرائف والحالات الطرائف بالمنازلة اي بسلوك منازل السائرين ودخول مراحل الطائرين

والمباشرة اى بذوق ارباب الحال وشوق اصحاب الاقوال لا بمجرد العلم والتعلم
من الرجال والهجوم اى المسارعة والاقتحام ببذل المهج بضم ففتح جمع مهجة
اى ببذل الارواح بعد ذوبان الاشباح عملا بما ورد موتوا قبل ان تموتوا
ويقول القائل شعر اقتلوني يا ثقاتي ۰ ان في موتي حياتي ۰ فهم شهداء في
الدنيا قبل ارتحالهم الى الاخرى وغيرهم موتى ولو في صورة الاحياء حتى طالبوا
من ادعى اى من المريدين حالا اى مقاما عاليا منها اى من الحالات العالية والمقامات
الغالية التي تقدم ذكر بعضها بدلائلها اى بعلاماتها الظاهرة والباطنة
المشيرة الى الحقق شمائلها كما ورد انه عليه السلام قال لحارثة كيف اصبحت
قال اصبحت مؤمنا حقا فقال عليه السلام لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك
فقال عرفت نفسي عن الدنيا فاظمأت نهاري واسهرت ليلي واستوى عندي ذهبها
وفضتها وحجرها ومدرها وكاني انظر الى عرش الرحمن بارزا وكاني انظر الى اهل
الجنة تزاورون والى اهل النار يتعادون فقال صلى الله عليه وسلم احببت فالزم
وتكلموا في صحتها وسقيمها اى بموازنتها على الكتاب والسنة فما وافقهما قبلوه
وما خالفهما تركوه فهم حماة الدين اى حفاظ اساسه واركانه واعوانه اى
معينوه في اظهاره وبيانه كما ورد لا تزال طائفة من امتي ظاهرين حتى ياتيهم امر الله
وهم ظاهرون رواه الشيخان عن المغيرة ورواه الحاكم عن عمر لا تزال طائفة من امتي
ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ورواه ابن ماجه عن ابي هريرة لا تزال طائفة
من امتي قوامة على امر الله لا يضرها من خالفها فبالجملة اجمع العالم على ان الصوفية
خير بني آدم ومنهم الاقطاب والابدال وجميع ارباب الاحوال واعيانه اى القائمون
بحفظ قواعده وضبط تمام شانه ومن هنا قال سفيان الثوري ان طلب علم
التقوى من زاد العقبى وقال غيره حدثنا باب من ابواب الدنيا ثم كل من اشكل
عليه علم اى مسالة علمية من العلوم الثلاثة اى المتقدمة من الحديث والفقه والتصوف
فعليه ان يرجع فيه الى ائمتها اى المشهورين في مقام معرفتها فمن اشكل عليه شيء

من علوم الحديث اى اصوله وفروعه من متنه وضبط مبانيه وتحقيق معانيه
ومعرفة الرجال اى اسانيده من صحته وحسنه وضعفه وما بنا فيه يرجع
فيه الى ائمة الحديث فانهم اهل رسول الله وتابعيه كما ان القراء هم اهل الله وخاصته
ومن اشكل عليه شيء من دقائق الفقه اى اصوله وفروعه وما يتعلق به من جائزه و
ممنوعه يرجع فيه الى ائمة الفقه اى موافقا لمذهبه ومطابقا لمشربه ومن اشكل عليه
شيء من علوم الاحوال اى احوال الرجال والرياضات اى من جهة محافظة الاقوال
والافعال ودقائق الورع اى في باب الاجتناب عن الشبهات ومقامات المتوكلين
اى في عدم الالتفات الى وجود الاسباب وفقدها في جميع الحالات يرجع الى
ائمة الصوفية اى علمائهم القائمين بوظائف العبودية ومراسم المعرفة المتعلقة بالصفات
الربوبية لا الى غيرهم وهذا ناظر الى كلهم فمن فعل غير ذلك اى بان راجع من لم يبلغ
مقامه هنالك فقد اخطأ اى الطريق ووقع في سجن الضيق وقد قال تعالى قد علم كل
اناس مشربهم وعلى هذا المنهاج عرف كل قوم مذهبهم وسبحان من اقام العباد فيما
اراد وكل ميسر لما خلق له في زاد المعاد والجامع لهذه المباني المشتملة على جميع المعاني
عزيز الوجود في دائرة الشهود لكن شعر ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم
في واحد قال تعالى ان ابرهيم كان امة اى جامعة لخصال لم يوجد في العادة الا في جماعة
وكذا كان اكابر الصحابة والتابعين جامعين بين انواع العلوم الشرعية من القراءة والتفسير
والحديث والفقه والعربية ودقائق معارف الصوفية ولما ضاق حوصلة المتاخرين
من اتباع التابعين فاختلفوا في مقامات التحقيق واليقين فبعضهم اشتهروا بكونهم
من القراء المعتبرين وبعضهم من المفسرين المتبحرين وبعضهم من الفقهاء المعظمين
وبعضهم من الصوفية المكرمين وبعضهم من النحاة واللغويين بحسب ما غلب عليهم من
بعض العلوم وان كان لهم مشاركة في سائر مقامات الفهوم ثم ادركنا زمانا نبذوا
كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون وتركوا قراءة الاحاديث والاخبار فكانهم
يحسبون ان غيرهم بها مكلفون وتوجهوا بكليتهم الى ربع المعاملات مع تضييعهم

ربع العبادات التى هى اهم المهملات واتم المقامات وانكبوا على تحصيل المناصب
الدنيوية واعرضوا بالكلية عن المقامات العلية التى هى فى الكتب الصوفية الموافقة
للكتاب والسنة السنية والشريعة الرضية والطريقة البهية نفعنا الله بعلومهم
وانوارهم وافاض علينا من بركات اسرارهم **فصل** فى ذكر اقاويلهم فى التصوف اى

فى ذكر اقاويلهم فى التصوف

وما يترتب عليه من انواع التعرف وادابه اى وفى اداب التصوف واخلاق اصحابه وفى
نسخة وادابهم وهو ظاهر ثم قيل التصوف من الصفاء فمن صافى وصوفى فهو الصوفى
الا ان المادة مختلفة لكن اراد القلب محتمله وقيل من تصوف لبس الصوف فان الغالب
عليهم لباس الصوف فهذا صار لقبهم المعروف وقيل مأخوذ من اهل الصفة وهم
فقراء الصحابة ولعل فيه ادغام من شذوذ اللغة وقيل ليس لوصفهم شاهد من
العربية لا من الوجوه القياسية ولا من القواعد الاشتقاقية لانهم من العلماء الربانية
وعلمه سبحانه ايضا خارج عن حد الاشتقاق وقواعد القياس كما حققه بعض
اهل الاستئناس اختلف اجوبة المشايخ فى التصوف اى فى معناه لاختلاف
الاحوال اى التى اقتضاه فكل اى من المشايخ اجاب اى السائل على حسب حاله
اى وفهم مقاله او على قدر ما يحتمل مقام السائل اى فى تحسين حاله وتزيين ماله
وروى كلم الناس على قدر عقولهم فان كان اى السائل مريدا اى مبتديا اجيب على
ظاهر المذهب من حيث المعاملات اى الرياضات والعبادات والمجاهدات
من التوبة والزهد وترك الشهوات واللذات واختيار العزلة والخلوة ووظائف
الصوم والصلوة وان كان متوسطا اى مستقيما على الطاعات فى الافعال
اجيب من حيث الاحوال اى احوال الرجال ليميل الى مراتب الكمال من الذوق والشوق
والقبض والبسط والحيرة والهيبة وامثالها من الاقوال وان كان عارفا ارباب
اى منتهيا فى المعرفة اجيب من حيث الحقيقة وهى المرتبة الجامعة بين الشريعة والطريقة
واظهره اى اجمع ما قيل فيه اول التصوف علم اى مجرد من غير ضم كمال عمل واوسطه
عمل اى وفق علم واخره موهبة اى حالة منشاها الجذبة فالاولان كسبيان والاخر

وهبى

وهبى من فيض الرحمن فالعلم يكشف عن المراد اى مراد المريد من سلوك الطريق
والعمل يعين على الطلب اى طلب التوفيق والموهبة تبلغ غاية الامل اى نهاية الرجاء
الى ادراك مقام اليقين والتحقيق ومن هنا قيل الجذبة من جذبات الحق توازى
عمل الثقلين واهله اى اهل التصوف على ثلاث طبقات مريد طالب اى لمراده واقف
فى تحصيل زاده ومتوسط سائر اى فى طريق معاده ومنتهى واصل اى فى ان مقصوده
حاصل فالمريد صاحب وقت اى حافظ اوقاته فيشتغل بما هو اهم فى وقته والمتوسط
صاحب حال اى مراعى حالاته وملازم صحة انتقالاته والمنتهى صاحب نفس
اى ملاحظة انفاسه وساعاته والاظهر ان يكون تعريف المريد والمتوسط عكس
ما ذكره الشيخ اذ المقرر فى كتب القوم ان صاحب المقام الشعر للتمكين اعلى من صاحب
الحال الدال على التلوين فالانسب ان يكون المتوسط ابن الوقت كما ان المنتهى هو ابو
الوقت والفرق ان الاول مغلوب وقته لوصوله الى مقام التمكين وافضل الاشياء

مطلب افضل العبادات دوام الذكر

اى الاحوال فى مقامات الكمال عد الانفاس اى محافظتها بالذكر ودفع الوسواس
فقد ورد ليس يتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله
فيها والحاصل ان افضل العبادات والطاعات هو دوام الذكر فى الاوقات والساعات
وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا وموقوفا فى تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وعن بعض
العارفين هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازات عليها وقال
الثورى حق تقواه ان لا يرى فى قلبك شئ سواه ولله در ابن الفارض فى نظم الفائض
ولو خطرت لى فى سواك ارادة على خاطرى سهوا حكمت بردتى فالمريد معقوب فى طلب
المراد لانه لم يتلذذ بالتعب والطلب والمتوسط مطالب باداب المنازل اى وتحصيل
اسباب تحسين الشمائل وتزيين الفضائل وهو صاحب تلوين اذ ليس له مقام تمكين لانه
يرتقى من حال اى ادنى الى حال اى اعلى منه واغلى وهو فى الزيادة اى زيادة السعادة فى
درجات العبادة الى ان يصل الى مقام اليقين ويحصل له الثبات التام فى التمكين والمنتهى

الواصل اى الى نهاية مقامات ارباب الكمال محمول اى عنه كلفة الانتقال فى الاحوال
لاستغاله بمطالعة صفات الجمال والجلال فقد جاوز المقامات اى وتعدى عن
اطوار الحالات وهو فى محل التمكين اى فى قرار مكين على قدم الاستقامة واليقين
لا تغيره الاحوال لكمال ثباته ولا يوثر فيه الاهوال اى لربط قلبه الى حب ربه من
جميع جهاته كما قيل عن زليخا اى عن كمال محبتها وثبات مودتها لما كانت صاحبة تمكين
فى شان يوسف عليه السلام اى فى مقام محبته على وجه التمام والدوام لم يوثر فيها رؤية
يوسف اى حين خروجه من وراء ستره عن الانام كما اثرت اى رويته فى اللواى اى
النساء اللاتى قطعن ايديهن اى فى ذلك المقام وان كانت اى زليخا اتم اى حالة فى
حبه من جميع الاحكام ومن هذا القبيل قول الصديق الاكبر لما راى الباكى يبكى
عند قراءة القران هكذا كنا حتى قست قلوبنا اى تصلبت وادمنت سماع القران و
اثاره والفت انواره واسراره فى استغربته حتى يتغيرا وعن حاله الاول يتكدر
المجاهد ووصل الى مقام المشاهده غرب عن نفسه واحوالها
ومعاملاتها واهوالها وكان كالمد هوش الغائص فى بحر الوجود والخائض فى لجة عين
الشهود الذى يضاهى حال النسوة التى قطعن ايديهن فى مشاهدة جمال يوسف
حين برز لهن حتى بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية
بانه فنى عن نفسه فهو عن غيره افنى فكانه فنى عن كل شئ الا عن الواحد المشهود
وفنى ايضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد
فقد غفل عن المشهود وهذا المقام الذى يسمى فناء الفناء واكمل منه البقاء بعد الفناء
الذى هو مقام الانبياء والكمل من الانبياء فاستمع هذا الفناء ليذهب عنك العناء
فمقام المريد المجاهدات والمكابدات اى بالرياضات وكثرة العبادات فيكون نومه
غلبة واكله فاقه وكلامه ضروره وتجرع المرارات اى بالصبر على الطاعات وعن
السيئات وفى المصيبات ومجانبة الحظوظ اى متاركة الشهوات واللهوات واللذات
وما للنفس فيه منفعة اى ولله فيه خدمة وحكمة ومطلبه وفى نسخة متعة اى لذة ومنفعة

وفى نسخة ان زليخا

ومقام

ومقام المتوسط ركوب الاهوال اى تحملها باختلاف الاوقات والاحوال فى طلب
المراد اى من زاد المعاد ومراعات الصدق فى الاحوال اى من الاقوال والافعال واستعمال
الادب فى المقامات اى مقام ارباب الكمال ومقام المنتهى الصحو اى بعد السكر والمحو
والتمكين اى بعد التفرقة والتلوين واجابة للحق من حيث دعاه اى الى علم اليقين او
عين اليقين او حق اليقين قد استوى فى حالة الشدة والرخاء اى البلاء والولاء
لقوله تعالى والصابرين فى الباساء والضراء والمنع والعطاء لقول ابن عطاء ربما
منعك فاعطاك وربما اعطاك فمنعك والجفاء والوفاء فان حقيقة المحبة لا تزيد
بالعطاء ولا ينقص بالمنع والجفاء كما قال قائلهم شعر اريد وصاله ويريد هجرى
فاترك ما اريد لما يريد اكله بجوعه اى بحكم امره كما ورد اجوع يوما فاصبر واشبع
يوما فاشكر ونومه كسهره اى وفق قضائه وقدره فاذا نام قال باسمك ربى وضعت
جنبى وبك ارفعه ان امسكت نفسى فاغفر لها وارحمها وان ارسلتها فاحفظها
بما يحفظ به عبادك الصالحين واذا استيقظ قال الحمد لله الذى احيانا بعد ما
اماتنا واليه البعث والنشور ويذكر قيامه عن القبور والى الكل يشير قوله تعالى
حكاية ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين قد فنيت حظوظه
اى برياضة نفسه وبقيت حقوقه اى برياض روحه وانسه ظاهره مع الخلق اى بحسن
الخلق وباطنه مع الحق اى فى كمال الصدق وقد يعبر عنهما بان الصوفى كائن بائن
اى كائن مع الخلق ظاهرا وبائن عن الخلق باطنا وقد يقال غريب قريب ويقال عرشى
وفرشى باعتبار روحه ونفسه فى كمال روحه وانسه كما يشير اليه قوله عليه السلام
انى لست كاحدكم ابيت عند ربى يطعمنى ويسقين وقوله تنام عيناى ولا ينام
قلبى او ظاهره مع الخلق من حيث الشريعة والطريقة وباطنه مع الحق باعتبار النظر الى
الحقيقة وكل ذلك اى ما ذكر منقول من احوال النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه لكن
كان اولا جسم من غير اسم فبقى اليوم اسم بلا جسم كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم
سيأتى على الناس زمان لم يبق من الاسلام الا اسمه ورسمه او له اى اول حالة عليه

مطلب

السلام وفى الابتداء كان يتجلى فى غار حراء اى معتزلا متعبدا على قدم الصدق
ثم صار مع الخلق اى ولكن بامر الحق حيث نزل عليه ما يشعر بنبوته اقرأ باسم ربك
الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم ثم نزل عليه ما يشير الى رسالته قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر
والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فانتقل من التوحيد الصرف الى مقام
الجمع واختلف فى كيفية عبادته فى زمان خلوته فقيل على دين ابرهيم واسمعيل وهو
الظاهر وقيل دين عيسى وقيل انها غير معلوم على انه معصوم بالاجماع عن الكفر وعبادة
الصنم ونحوه والاظهر انه كان قبل الاربعين فى مقام الولاية ويلهم اليه ما اراده الله
منه طريق العباده من الذكر والفكر وسائر انواع الطاعة فلا فرق عنده اى حينئذ
بين الخلوة والجلوة حيث لا يمنعه الكثرة عن الوحدة ولا يحجبه الوحده عن الكثرة وكذلك
اصحاب الصفة اى فى اول حالهم من التلوين كانوا ضعفاء وفقراء صاروا فى حال التمكين
امراء ووزراء فكانوا يلبسون الكتان بعد لبس الجلود ويأكلون الدجاجه وانواع الثمر
بعد اكل ورق الشجر فان المخالطة اى بعد تحقق العزلة لا تؤثر فيهم وانما تؤثر الخلطه
للمبتدين لكونهم فى مقام التلوين ولم يصلوا الى مرتبة اليقين ودرجة التمكين والله المعين

فصل فى بيان احكام المذهب اى الذى ترتب عليه احكام المشرب ثم ان للمذهب
اى المشرب المهذب ظاهرا وباطنا فى المورد الاعذب فظاهره استعمال الادب اى
بحسن الخلق مع الخلق اى ابتغاء لرضاء الحق وهذا مقام الشريعة والطريقة وباطنه
منازل الاحوال اى الاخلاق والمقامات اى مقامات ارباب الكمال فى الافعال والاقوال
وهو مقام الحقيقة مع الحق اى على قدم الصدق لانهما اذا اجتمعا صار الامر نورا على
نور وسرورا على سرور كما قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الا ترى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الى كلامه وفوق مقامه وفى نسخة ان رسول
الله لما نظر الى المصلى اى الذى كان يعبث فى صلاته اما بثوبه او بلحيته قال اى فى
حقه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ايماء الى ان الاصل هو خشوع القلب فانه كما ورد

في بيان احكام المذهب

اذا

اذا اصلح صلح الجسد كله واذا فسد فسد وقد قال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم
فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون وقد ورد من حسن اسلام المرء
تركه ما لا يعنيه اى واشتغاله بما يفيده وينفعه مما يثبته وينفيه ولما قال
الجنيد لابى حفص الحداد اى حيث وقف اصحابه حوله متأدبين بين يدى الحداد
وكانوا ساكنين سامعين فى مقام الارشاد لا يقعدون الا باشاره ولا يتكلمون
الا باجازه ادبت اصحابك اداب السلاطين يعنى وهذا ليس من داب الفقراء والمساكين
قال لا يا ابا القاسم اى لم يكن قصدى التجبر والتكبر الذى يصدر عن وساوس الشياطين
لكن حسن ادب الظاهر عنوان حسن ادب الباطن وفى الشريعة الى ذلك بعد الا شارة
المسمه حيث رتب مراتب الايمان على تصديق الجنان واقرار اللسان وعمل سائر الاركان
ليصل الى مقام الاحسان فلا تصل ايمان بلا اسلام كما لا يقبل اسلام بلا ايمان وقال
السرى وهو شيخ الجنيد حسن الادب اى فى القول والفعل ترجمان العقل اى يستدل
بظاهره على باطنه فمن لم يتكلم بلسانه لم يظهر تفاوت شانه ومراعات الادب اى قولا
وفعلا فيما بينهم اقدم على غيره اى من الاداب لتقدم حقوق العباد على حق الله سبحانه
لكرمه وعدم مسامحة خلقه الا ترى كيف مدح الله تعالى اهله اى اهل الادب
مع رسوله وشرف محلهم اى مرتبهم بقوله ان الذين يغضون اى يخفضون
اصواتهم عند رسول الله اى فى حضوره كابى بكر فانه كان لا يكلم رسول الله
الا كاخى السرار وكعمر فانه ما كان يحدثه حتى يستفهمه من كمال خفض صوته
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم اى اختبرها واخلصها واعتبرها للتقوى اى
لاعلى مراتبها واغلى مناقبها لهم مغفرة اى عظيمة لسيئاتهم واجر عظيم لطاعاتهم
وقال ابو عبد الله بن خفيف اى الشيرازى وهو احد من سمى شيخ الاسلام
فى الصوفية الاعلام قال لى رويم بالتصغير وهو امام كبير يا بنى تصغير
اشفاق ومحبه واضافة تشريف ومودة اجعل عملك ملحا اى يسيرا وادبك
دقيقا اى كثيرا والمعنى ان الادب القليل لا يفى مع العمل الجليل بخلاف العكس فى

مقام التبجيل ومن هنا قيل ادب النفس خير من ادب الدرس وقيل وفى نسخة
وقال اى رويم التصوف كله ادب اى فى الظاهر وهو اداب الشريعة من تحسين
الاقوال والافعال وفى الباطن وهو اداب الطريقه من تزين الاخلاق والاحوال
ولكل وقت ادب اى بذلك الوقت انسب ولكل حال ادب اى مامنه مهرب
ولكل مقام ادب اى هوله مطلب فمن لزم الادب اى فى جميع الاحوال بلغ مبلغ
الرجال اى فى مراتب الكمال ومن حرم الادب بصيغه المجهول اى منع شئ من الاداب
فهو بعيد اى من الباب من حيث يظن القرب اى من جانب رب الارباب ومردود
من حيث يرجو القبول اى ويطمع القرب والثواب وهذا كله مبنى على نسب الاسباب
فمن ترك الاداب رد على البساط الى الابواب وحرم عن الجناب بالحجاب وقيل من حرم
الادب اى فى جميع الاوقات والحالات فقد حرم جوامع الخيرات اى وفاته مواسم
المبرات وقيل من لم يتادب الوقت اى بمقتضاه فوقته المقت اى اشد الغضب
الذى يحرم معه رضاه وعن ابن المبارك من تهاون بالادب عوقب بحرمان السنة
ومن تهاون بالسنة عوقب بحرمان الفريضة ومن تهاون بالفريضة عوقب بحرمان
المعرفة وسوء الخاتمة وقيل اداب الناس ان تعرفها الخير اى لتعلمه اولا وتحثها عليه اى
لتعمله ثانيا وتعرفها الشر ليكون عليه من الحذر وتزجرها عنه اى لئلا يقع فى الخطر
حال السفر والحضر وقد قال تعالى فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد
خاب من دسيها وقال بعضهم العبد يصل بطاعته الى الجنة وبادبه فى طاعته
الى الحضرة وقيل الادب سنة الفقراء اى دابهم وعادتهم وفى رواية سندهم
اى مستندهم وزين الاغنياء اى زينتهم وبهجتهم والمعنى انه لا يستغنى احد
من الادب لا من العجم ولا من العرب ولذا قيل الادب خير من الذهب والناس فى الادب
على ثلاث اى من المراتب والمناقب اهل الدنيا اى الذين اختاروها على العقبى واهل الدين
اى الطاعة والعبادة للمولى واهل الخصوصية من اهل الدين اى الذين هم فى مقام اليقين
فاما اهل الدنيا فاكثر ادابهم فيها الفصاحة والبلاغة كالشعراء والخطباء وكتبة الامراء

والوزراء

والوزراء وحفظ العلوم اى الغير الشرعية من دقائق اللغة وحقائق الهيئة و
خواص الاشياء كالاطباء والحكماء واخبار الملوك اى وتواريخهم ووقائعهم
وما وقع لهم من مدحهم وذمهم فى عطائهم ومنعهم كما فى الندماء والجلساء
واشعار العرب اى وشواهد كلامهم وفق مرامهم فى حال الابتداء والانتهاء
واما اهل الدين اى الثابتون فى مقام التمكين فاكثر ادابهم مع العلوم اى الشرعيه
من الاصلية والفرعيه رياضة النفوس اى فى تخليه الاخلاق الرديه وتحليه الاحوال
الجليه وتاديب الجوارح بالعبادات البدنيه وتهذيب الطبايع بالاداب السنيه
وحفظ الحدود فى المعاملات والمعاشرات وترك الشهوات اى وما يتبعها من
اللهوات واللذات والمسارعة الى الخيرات والمسابقة الى المبرات واما اهل الخصوصية
فادابهم حفظ القلوب لمطالعة اسرار علام الغيوب ومراعات الاسرار لئلا يخلطها شئ
من العيوب واستواء السر والعلانيه بل اهتمامهم بتحسين السرائر من تزين العلن لقوله
عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم
والمريدون يتفاضلون اى على غيرهم بالعمل اى بزيادة الاعمال والمتوسطون بالادب
اى فى الاحوال والعارفون بالهمة اى الغالبة فان همة الرجال تهد الجبال و
وقيل الهمة ما يبعثك من نفسك اى ما يهيجك منها على طلب المعالى اى والارتفاع
من مقامات الاسافل والادانى وقيمة كل امرئ همته اى فامرؤ اوهمته بطنه وآخر
وهمته فرجه وامرؤ همته لبسه وامرؤ همته جاه الدنيا وامرؤ همته ثواب الاخرة
وامرؤ همته رضا المولى وقد سمع الشبلى قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من
يريد الاخرة فقال آه اين من يريد الله فقلت فى الجواب بلسان العبارة انه داخل فيمن
يريد العقبى لانها مقام لقاء المولى وببيان الاشارة ان من يريد الله ليس منكم بل منا
لانه باق بنا وفان عن غيرنا ثم لا يظن ان بعض الصحابة كانوا يريدون الدنيا لذاتها
بل كانوا يطلبونها ليصرفونها فى طريق الاخرة وتكميل لذاتها وبعضهم كانوا يرون
تركها بالكليه اولى مانعة عن الحضور مع المولى ولذا قال عيسى عليه السلام يا

طالب الدنيا النبر تركك للدنيا ابر وقال بعضهم تركت الدنيا لقلة بقائها وكثرة
عنائها وسرعة فنائها بها وحسة شركائها واما اهل الدنيا فليس بمنهم في نهمتهم
الا انهم يأكلون كما تأكل الانعام ويذهبون طيباتهم في الليالي والايام ولله در
العز زرق حيث قال في مقام تحقق دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم
الكاسي والحاصل ان مجرد الهمة الكاملة مع التقعد في العتبة السافلة لا تفيد كالمتخلف
وراء القافلة فلا بد من المجاهدة ليكون وسيلة الى مقام المشاهدة ولله در من قال
شعر لولا المشقة ساد الناس كلهم • الجود يفقر والاقدام • فقال سئل ابو بكر
الواسطي احد اجلاء المشايخ عن مالك بن دينار وداود الطائي ومحمد بن واسع
وامثالهم من العباد اي من طبقة التابعين واتباعهم من الزهاد فقال اي الواسطي
القوم اي المذكورون ونحوهم ما خرجوا من نفوسهم اي حظوظهم الدنيوية من
الشهوات الفانية الا الى نفوسهم اي حظوظهم الاخروية من اللذات الباقية تركوا
النعيم الفاني للنعيم الباقي يعني فهذا امر سهل في باب الاعتناء فاين هم عن الفناء والبقاء
اي حيث لم يتركوهما طلبا للرضاء واللقاء وفيه الايماء الى قوله سبحانه لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ولذا قيل في حديث اكثر
اهل الجنة البله حيث قنعوا بالجنة عن المولى كما يفيد زيادة في الحديث وهو قوله وعليون
لاولي الالباب حيث كان غاية همتهم نهاية نهمتهم مشاهدة رب الارباب بل قيل
من يعبد الله لمجرد خوف العقاب او طمع الثواب ما خرج عن مقام الاحتجاب ولا
وصل الى عتبة الباب حيث اخطا طريق الصواب وفي بعض النسخ فاين حال الفناء والبقاء
اي الاصل هو الفناء عن الوجود وخطوط البقاء بالشهود وحقوقه مدبرا وبالفناء
كونه فانيا عن صفات النفس الدنية وبالبقاء كونه باقيا بالتخلق بالاخلاق العلية
كما يشير اليه قوله سبحانه في الحديث القدسي لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه
فاذا احببته كنت سمعه وبصره الحديث وسئل الجنيد عن قوله تعالى اي تفسير
لا يسألون اي الفقراء المهاجرون من اصحاب الصفة وغيرهم الناس اي الاغنياء

الاغنياء الحافا اي الحاحا والمراد نفي القيد والمقيد فالمعنى لا يسألون غير الله
اصلا بل كانوا يكتمون احوالهم عن الخلق راسا كما يشير اليه قوله تعالى يحسبهم
الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم اي انت بنور فراستك في منقلبهم
ومثويهم فقال الجنيد بمنعهم علو هممهم عن رفع حوائجهم الا الى مولاهم وفي
قوله سبحانه اياك نستعين ايماء الى ذلك وقد ورد سل من ربك حتى ملح عجينك
وشسع نعليك وفي دعاء الامام احمد بن حنبل اللهم كما صنت وجهي عن سجود
غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك وله معنيان احدهما انه لا يسأل عن غير مولاه
وثانيهما انه لا يطلب ما سواه وقال الحصري بضم الحاء وسكون الصاد المهملتين
وهو من اكابر الصوفية في حكاية اذا زفرت اي في بيان رواية اذا صاحت جهنم
زفرة اي صيحة عظيمة كما يشير اليه قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا قال اي الحصري كل اي من اهل الحشر يقول نفسي نفسي اي اريد خلاص
نفسي ولا ابالي الغير والتكرار للمبالغة والتاكيد لهول الوعيد ويدل عليه قوله
سبحانه يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ
شأن يغنيه وقوله عز وعلا يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها الا الحق اي يستوي
فيه الاعظم في المقام الاعلى والادنى اي الواقف في المقام الاقصى الا محمدا صلى الله
عليه وسلم وهو المصطفى المرتضى فانه يرجع اي عن مطالبه نفسه لكماله مع رتبة
في مقام انسه الى حد الشفاعة اي الكبرى وهي المقام المحمود والصغرى وهي نشر اللواء
الممدود فيقول امتي امتي اي خلاصهم همتي كما اقتضاه عموم رحمتي فلا يبقى نفس
احد اي من اهل ملة بلا علة فاما هي نفسه وحاله واما امته وآله فيقول ربي ربي اي
حسبي في امري ليعلم ان محل الحوادث اي مقام المخلوقات لا يخلو عن العلل اي في جميع الحالات
وحاصل كلامه وخلاصة مرامه ان مقامه عليه السلام ايضا لا يخلو عن منقصة وهذا
مخالف لاجماع الائمة ان هذه الحالة منه عليه السلام اعلى منقبة واعلى مرتبة فانه ترك
حظ نفسه ونهمته وتوجه الى تخليص الخلق عموما وتخصيص امته مما وقع فيه كل

احد فى عامة مشقته واما قوله فيقول ربى ربى فليس فى محله او كل احد ينادى
بلسان القال او بيان الحال يا ربى يا ربى سواء يقول نفسى نفسى وامتى امتى
هذا وروى ان عمر بن الخطاب قال لكعب خوفنا قال يا امير المؤمنين والذى نفسى
بيده لو وافيت القيمة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات وانت لا يهمك
الا نفسك وان لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى منتجب الا وقع جاثيا
على ركبته حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا اسالك الا نفسى وان تصديق
ذلك الذى انزل الذى عليكم يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها كذا فى تفسير
البغوى والظاهر ان بدايه قيام الساعة فى نهاية من الشدة والعظاء ثم يكون الشفاعة
للانبياء والاولياء وارباب الطاعة **فصل** واجل خصالهم اى اعظم احوالهم
اخلاقهم اى حسنها فى اقوالهم وافعالهم ويشهد له قوله تعالى لرسوله الكريم
وانك لعلى خلق عظيم سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت كان خلقه القران اى العمل بما فيه من اوامره وترك ما بنافيه
من زواجره ونواهيه وفى كلامها ايماء لطيف الى مقام شريف وهو انه عليه السلام
متخلقا باخلاق ربه من صفات الجلال والاكرام ويؤيده حديث حسن الخلق خلق
الله الاعظم رواه الطبرانى عن عمار بن ياسر وانما ابهمتها عائشة رضى الله عنها
استحياء من سبحات الجلال وستر الحال بلطف المقال قال الله تعالى اى خطابا له
خاصة ولامته عامة خذ العفو اى عنهم وامر بالعرف اى بالمعروف فيهم واعرض
عن الجاهلين اى الغافلين منهم قال جعفر الصادق امر الله نبيه عليه السلام بمكارم
الاخلاق وليس فى القران اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الاية وفى البخارى ان الله
بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال وقيل فى تفسير هذه الاية
هو ان تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وقال عليه السلام
الا اخبركم استفهام دخل على النافية اى الا اعلمكم باحبكم الى اى باكثركم محبة عندى
واقربكم منى مجلسا يوم القيمة اى عند ربى قالوا بلى اى اخبرنا يا رسول الله قال

واجل خصالهم اخلاقهم

احسنكم

احسنكم اخلاقا ولافادة التعميم اطلقه اطلاقا الموطئون اكنافا اى اللينون
اكنافا الهينون اطرافا الذين يالفون اى الخواص من الناس ويؤلفون اى فى مقام
الاستيناس رواه البيهقى عن ابن عباس فى الصحيحين خياركم احاسنكم اخلاقا
وفى رواية الحاكم وصححه اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقال
عليه السلام كما رواه الخطيب عن عائشة سوء الخلق شوم اى وصاحبه مذموم
واشراركم اسوئكم اخلاقا وفى الحديث اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا رواه احمد
وجماعة عن ابى هريرة وزاد فى رواية الترمذى وخياركم خياركم لنسائهم اى
لضعفائهم وذلك لان انواع النعمة انما يحصل من حسن الخلق واصناف المحنة من
سوء الخلق وموجب الاول نظره الى الحق وباعث الثانى احتجابه عن الخلق بالخلق
وقال ابو بكر الوراق التصوف كله خلق اى مداره على تحسين الاخلاق والاحوال
بعد تزين الاقوال والافعال فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف
وترتب عليه زيادة التقرب والتعرف ومن اخلاقهم اى المتميزين بها عن غيرهم
الحلم وهو التحمل وعدم الخفة بالعجلة فى العقوبة والحليم من اسمائه الكريم ومنه
قوله تعالى انه كان حليما غفورا وقد ورد الحليم سيد فى الدنيا سيد فى الاخرة
رواه الخطيب عن انس لان الحلم فرع العلم والتواضع اى مع الفقراء اذا ورد التكبر
على المتكبر صدقة ومن تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه وقد ورد من تواضع لله
رفعه الله رواه ابو نعيم فى الحلية عن ابى هريرة والنصيحة وهى كلمة جامعة يعبر عنها
بارادة الخير للمنصوح له وقد ورد الا ان الدين النصيحة ثلاث مرات قيل لمن
يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم
والشفقة اى المرحمة على الكافة وعلى الصالحين خاصة ومن كلام الصوفية ان مدار
الامور الدينية على شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وقد ورد لا
تنزع الرحمة الا من شقى رواه البخارى فى الادب وغيره وفى الصحيحين من لا يرحم
الناس لا يرحمه الله وفى رواية البزار لا يدخل الجنة الا رحيم اى مبالغ فى الرحمة

من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه

والنصيحة

والشفقة

قيل يا رسول الله كلنا نرحم قال ليس ان يرحم احدكم صاحبه انما الرحمة ان يرحم
الناس اى عموما يعنى ليكون من اتباع رحمة للعالمين الذى هو مظهر ارحم الراحمين
والاحتمال اى احتمال الاذى وتحمله عن اهل الردى بترك الغضب مع القدرة — والاحتمال
على امضائه فقد روى الاصبهانى فى ترغيبه حديث لا يستكمل العبد الايمان
حتى يحسن خلقه ولا يشفى غيظه والموافقة اى حال المرافقة من دون المخالفة و — مطلب الموافقة ضد المخالفة
والمضايقة لكن بشرط ان يكون وفق الشريعة والطريقة والا فالافضل حينئذ
المنافسة والمنازعة فقد قال بعضهم الصوفية بخير ما تنازعوا والاحسان اى مع — والاحسان
جنس الانسان او مع كل شئ فان الله يحب المحسنين وان الله يأمر بالعدل و
والاحسان وقد ورد اذا قتلتم فاحسنوا القتل واذا ذبحتم فاحسنوا
الذبحة واحسن انواع الاحسان هو الذى يكون بعد تحقق كمال الاسلام
وجمال الايمان كما ورد ان تعبد الله كانك تراه فان لم يكن تراه فانه يراك والمداراة — والمدارات
بالهمز وقد يبدل الفا وهى المسامحة والمساهلة ومنه قول القائل شعر
ودارهم ما دمت فى دارهم وارضهم ما دمت فى ارضهم وقد قيل راحة الكونين
فى هذين الامرين المروة مع الاحباء والمدارات مع الاعداء ومنه قوله تعالى ويدرؤن
بالحسنة السيئة قيل معنى الاية يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافؤن الشر
بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا
واذا قطعوا وصلوا وقد ورد ليس الواصل بالمكافى ولكن الواصل الذى اذا انقطعت
رحمه وصلها رواه البخارى وغيره عن ابن عمرو وورد بعثت بالمداراة الناس داراهم
ومن جهلهم ما داهم وراس المداراة ترك المماراة والايثار ومنه قوله تعالى ويؤثرون — رواه البيهقى جابر وقال محمد بن سمك من عرف الناس ح
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وايثار الانصار فى هذا الباب معروف خاصة — والايثار
والخدمة اى خدمة الاصحاب والاحباب فقد قيل من خدم خدم وورد سيد القوم
خادمهم رواه ابن ماجه عن ابى قتاده وزاد ابو نعيم فى الاربعين الصوفية عن انس — والخدمة
وسابقهم اخرهم شربا وفى رواية الحاكم والبيهقى سيد القوم فى السفر خادمهم

فمن

فمن سبقهم بخدمة لم يسبقوه بعمل الا الشهادة وقال بعضهم الهمة تبلغ
كمال المرتبة وقال بعضهم الخدمة تبلغ جمال الرتبة لكن اقول الخدمة من جملة الهمة
له لا خدمة له والالفة اى التألف فى الصحبة مع الرفقة وقد ورد المؤمن يألف — والالفة
ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف رواه الدارقطنى عن جابر وروى
احمد وغيره عن ابن عمر بلفظ المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل
من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وقد قال تعالى حكاية عن
لقمان يا بنى اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك — والبشاشة
ان ذلك من عزم الامور والبشاشة اى طلاقة الوجه وقد ورد ان الله يحب
السهل الطليق رواه البيهقى عن ابى هريرة وان الله يبغض المعبس فى وجوه اخوانه — والكرم
رواه الديلمى عن على والكرم اى الجود بكل الوجود روى احمد انه قيل يا رسول الله
ما الايمان قال الصبر والسماحة وروى الترمذى حديث خصلتان لا يجتمعان — والفتوة
فى مؤمن البخل وسوء الخلق وهما متلازمان فى غالب الانسان والفتوة وهى قوة
القلب والاعتماد على الرب وقد يعبر عنه بالشجاعة والسخاوة والخدمة والحرمة — وبذل الجاه
وبذل الجاه لما ورد فى الاربعين ان الله فى عون العبد ما دام فى عون اخيه المؤمن
وفى الشمائل للترمذى من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله — والمروه
قدميه يوم القيمة والمروة وهى كمال الرجولية وجمال الفتوة وقيل هو ان يتزين — والتودد
كامناله فى نحو اللبس والمشى وسائر افعاله والتودد وهو التحبب والتلطف
مع الاصحاب بحسن التردد وقد يقال معناه اظهار المودة والمحبة فيستحب لمن
احب احدا ان يقول له انى احبك فيجيبه بقوله احبك الله كما احببتنى له كما فى
الحصن وقد ورد تهادوا تحابوا وفى الحديث افضل الاعمال بعد الايمان التودد
الى الناس رواه الطبرانى فى مكارم الاخلاق عن ابى هريرة وفى نسخة التودة وهى — والموده
المهملة فى الامور وضدها والمودة اى دوام المحبة للصالحين كما ورد انه عليه السلام — العجلة ع
اذا دخل بلدا قال اللهم حببنا الى اهله وحبب صالحى اهله الينا والجود اى السخاوة — والجود

للفقراء والعفو عن ذنب الاصحاب والصفح اى الاعراض عن العتاب لقوله تعالى
واعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ولقوله عز وجل والعافين عن الناس اى
المتجاوزين عنهم التاركين عقوبة من يستحقها منهم وفي الحديث ان هؤلاء فى امتى
قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت والسخاء وهو والكرم والجود
متقاربات ويمكن المغايرة بينها بادنى التفاوت فالسخاء هو العطاء بعد السؤال
والكرم اعطاء المنازل من ابتداء الحال والجود اعم منهما فى الوجود وفي الحديث
السخى قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد
من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل السخى احب الى الله من العابد البخيل
رواه الترمذى وغيره وروى مسلم عن انس ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم
فاعطاه غنما بين جبلين فاتى قومه فقال يا قوم اسلموا فوالله ان محمدا ليعطى اعطاء
رجل لا يخاف الفاقة ومنه قوله عليه السلام انفق بلال ولا تخش من ذى العرش
اقلالا وكانه اشار الى قوله تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه والى قوله سبحانه
ما عندكم ينفد وما عند الله باق ويقال فى الامثال انفق ما فى الجيب يأتيك ما فى
الغيب والحياء وقد ورد الحياء شعبة من الايمان رواه الشيخان وفي رواية الحياء
والايمان مقرونان لا يفترقان الا جميعا وفي رواية الحياء خير كله وفي اخرى الحياء
هو الدين كله وفي رواية ان من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت
واقل الحياء من الله ان لا يراك حيث نهاك وروى الترمذى عن ابن مسعود انه صلى
الله عليه وسلم قال استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيى والحمد لله قال
ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان يحفظ الراس وما حوى والبطن
وما وعى وان يذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحى حق الحياء والوفاء
ضد الجفاء قال تعالى اوفوا بالعقود وقال يوفون بالنذر وابرهيم الذى وفى
ومن اوفى بعهده من الله والتلطف وهو اظهار اللطف وترك التعسف ومنه قوله
تعالى وليتلطف وفي نسخة بدله والعطف وهو البر واللطف والبشر بكسر الموحده

والعفو
والصفح
والسخاء
والحياء
والوفاء
والتلطف
والبشر

اى اظهار السرور على البشرة مع عامة البشر والاتيان بالبشارة لقوله عليه السلام
بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا حديث متفق عليه والطلاقة اى طلاقة الوجه عند
المواجهة لقوله عليه السلام خالق الناس بخلق حسن والسكينة وهى سكون القلب
تحت قضاء الرب ومنه قوله تعالى هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين
الاية والوقار وهو الطمانينة بالاذكار والتحمل تحت الاوقار واصله العظم الغاية
فى المقدار ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا والدعاء
وقد ورد الدعاء مخ العبادة رواه الترمذى وفي رواية الدعاء هو العبادة والثناء
اى على الله بالصفات الحسنى والاسماء العليا وحمد الله بلسان القال وبنيان
الحال فى جميع الاوقات والاحوال وحسن الظن اى بالله سبحانه وقد ورد فى
الحديث القدسى والكلام الانسى انا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء
وزاد فى رواية ان ظن خيرا وان ظن شرا وقد ورد حسن الظن من حسن العبادة
وفي رواية لمسلم وغيره لا يموتن احد منكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى
اى يرجو ان يرحمه ويغفر له ويقبله وفي حديث جابر من استطاع منكم ان يموت
الا وهو حسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلا هذه الاية وذلكم ظنكم الذى ظننتم
بربكم ارديكم وكان ابن مسعود يحلف بالله تعالى ما احسن عبد ظنه بالله تعالى
الا اعطاه ذلك اى لان الخير كله بيده فاذا اعطاه حسن الظن به فقد اعطاه
ما يظنه لان الذى حسن الظن به هو الذى اراد ان يحققه وعن ابى هريرة مرفوعا
ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله وفي الحكم لا يعظم الذنب عندك عظمة
تصدك عن حسن الظن بالله فان من عرف ربه استصغر فى جنب كرمه ذنبه
وتصغير النفس اى تحقيرها فى معرض الميدان لانها الامارة بالسوء ابتداء واللوامة
انتهاء وتوقير الاخوان اى تعظيمهم وتكريمهم لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وفي
الحديث لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وتبجيل المشايخ اى تقديمهم
وتفخيمهم وقد ورد الشيخ فى قومه كالنبى فى امته والترحم على الصغير والكبير وقد ورد

والطلاقة
والسكينة
والوقار
والدعاء
والثناء
مطلب حسن الظن حسن العبادة
وتصغير النفس
وتوقير الاخوان
وتبجيل المشايخ
والترحم على الصغير والكبير

من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا رواه البخاري في الادب والاستصغار
ما منه اي احتقار ما يصدر منه بالنسبة الى الخالق والخلق ليخلص من العجب والغرور
والمن والكبر واستعظام ما اليه اي من نعم الله عليه واحسان الخلق لديه
بحديث من لم يشكر الناس فهذه الاخلاق السعيدة والاحوال العديدة التي قاربت
الاربعين شمة من اخلاقهم وشائبة من احوالهم ثم كل واحدة منها لها ضد تناسبها
من الاخلاق الدنية والاحوال الرديه التي يجب على طائفة الصوفية تخلية بواطنهم
عنها ابتداء ثم تحليتها بتحصيل الاخلاق الصفية انتهاء واختلف في ان الاخلاق
هل هي خلقية جبلية او وهبية والصحيح ان اصلها خلقية كما يدل عليه حديث اذا
سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا واذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا
فانه يصير الى ما جبل عليه رواه احمد عن ابي الدرداء مرفوعا واما تحسينها
وتزيينها بتبديلها ان تغلب على اضدادها او ينقلب وفق مرادها فقد يكون
بالكسب كما في السالك المجذوب وقد يكون بالوهب كما في المجذوب السالك ومما
يؤيد ما قررنا ويحقق ما حررنا قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين حيث
لم يقل والعادمين الغيظ وقوله عليه السلام اللهم كما حسنت خلقي فحسن
خلقي واللهم اهدني لاحسن الاخلاق والاعمال لا يهدي لاحسنها الا انت
واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت تحقيق هذا الكلام يحتاج الى
بسط في المقام وهو خروج عن ما نحن في صدده من اختصار المرام وسئل سهل
بن عبد الله اي التستري عن حسن الخلق اي المشتمل على جميع الاخلاق الحسنة
فقال ادناه الاحتمال اي احتمال الاذى عن الخلق وترك المكافاة اي المجازاة
المجازاة له من جانب الحق كما قال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقال
تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله والرحمة للظالم
اي حيث ابتلي بالظلم الموجب للظلمة يوم القيمة والدعاء له اي بالخلاص من ظلمه او
بان لا يواخذه بالنسبة الى حقه وقد قال تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة هذه

مطلب
الاخلاق الذاتية لا تبدل

اي المذكورات ونحوها اخلاق المتصوفين اي الكاملين المكملين والعارفين
المتصرفين لا ما قاله المدعون اي باللسان وارتكبه المتشبهون اي بالصوفية
في اعمال الاركان فانهم اي المتشبهين قد خرجوا عن دائرة المتصوفين حيث
بدلوا اقوالهم وغيروا اعمالهم فدخلوا في عموم زمرة من قال الله فيهم فبدل
الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اذ قيل لهم قولوا حطة ومعناها حط عنا
ذنوبنا لتصلوا الى مقام المحبة فقالوا حنطة حيث كان قلوبهم حب الحنطة الناشئة
من طمع نفوسهم كذلك هؤلاء المتشبهون في الصورة لا في السيرة سموا الطمع
زيارة اي للاغنياء والامراء وخرجوا عن طريق العلماء والفقراء حيث قالوا نعم
الامير على باب الفقير وبئس الفقير على باب الامير وقالوا صلاح الدين الورع كما
ان فساده الطمع من ان الطمع هو الفقر الحاضر والذل الحاضر مع توهم تحصيل
شيء في الخاطر ولم يدروا ما ورد في الحديث ان ما اخطاكم لم يكن ليصيبك وما اصابك
لم يكن ليخطيك وما جاء في التنزيل قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقد ورد ان
الرزق ليطلب العبد اكثر مما يطلبه اجله ويشير اليه قوله تعالى الله الذي خلقكم
ثم رزقكم ثم يميتكم وسوء الادب اخلاصا اي اذا وقع منهم سوء ادب مع الرب
او الخلق تعللوا بانهم فعلوا ذلك لاجل الملامة وتحصيل السلامة من الرياء والسمعة
ليكون عملهم اخلاصا في الدنيا وخلاصا في العقبى ولم يدروا ما قال فضيل بن
عياض ان العمل لاجل الخلق شرك وترك العمل لاجلهم رياء والاخلاص ان يخلصك
الله منهما ثم الاخلاص حال كريم ومقام عظيم ولذا قال تعالى في وصف انبيائه
وخواص اصفيائه انه من عبادنا المخلصين وقد قرئ بفتح اللام وكسرها في السبعة
والفتح في هذا المقام اكمل فتامل والحاصل ان الخلق كلهم هلكى الا العالمون
والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون
في خطر عظيم والخروج عن الحق اي عن طريق الحق من ظاهر الشريعة او باطن الطريقة
شطحا اي يعدونه شطحا يقع من الكمل في حال المحو والسكر صدور كلمات لا يفهم

وقد ورد بسند حسن انه
روى الحسن عن ابيه عن الحسن
عن جده الحسن ان احسن
الحسن الخلق الحسن

حقيقة معناها ويكون كفريات في ظاهر مبناها كما وقع من ابا يزيد سبحاني ما اعظم
وليس في جبتي سوى الله وكما صدر عن منصور حيث قال انا الحق في المقام المطلق
والتلذذ بالمذموم اي شرعا وعرفا طيبه اي مزاحا ومطايبه بل بعد ونهاجيوة
طيبه واتباع الهوى اي وترك متابعة الهدى ابتلاء ويزعمون ان هذا من باب
اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ولم يفرقوا بين الابتلائين ان بينهما
بونا بينا فلا يقاس الملوك بالحدادين والرجوع الى الدنيا اي الى طلب المال المنيع
والجاه الوسيع والمناصب الدنيويه وما يتبعها من المناعب الاخرويه وصولا اي
الى الله والى اعلى المناقب العليه واغلى المراتب الجليه ولم يدروا ما قال الجنيد النهايه
هي الرجوع الى البدايه وسوء الخلق اي باطالة اللسان مع الخلق صوله اي حمله
للحق وجوله للصدق وحدة في الطريق وحمية في التحقيق وهذا كله لعدم التوفيق
والبخل نكادة اي عسرة مع الضيق وبذاءة اللسان اي جامع افراد الانسان
ملامة اي ويطلبون بها سلامة وما كان هذا اي المذكور من الاخلاق الذميمة
طريق القوم اي الذين كانوا على الجادة المستقيمة والطريقة القويمة من اتباع اداب
الشريعة المستديمة حكي ان ابا يزيد البسطامي المسمى بسلطان العارفين قال
لبعض اصحابه اي المريدين الحاضرين قم بنا اي حتى تمشي معنا الى هذا الذي
شهر نفسه بالزهد اي في الدنيا والرغبة في العقبى على زعمه وفكره لننظر محافظة
احواله فيستدل بها على قدره وعظم امره فقصداه اي الى محله فوجداه اي حال كونه
خارجا من داره الى المسجد اي متوجها الى محل عبادة ربه فنظر ابو يزيد اليه اي ليطلع
عليه ويظهر له بعض ما لديه وقد رمى نخامته الى جانب القبلة اي ولم يراع الادب
في المسالة حيث ينبغي ان لا يتنخم الا الى جانب يساره او تحت قدمه عند عمارة
كما ثبت في احاديث عليه السلام واخباره وهذا انما صدر عن جهله او غفلته
عند عمله وكل منهما نقص في حقه فقال اي ابو يزيد لصاحبه وهو مريد المزيد هذا
اي المدعي المقامات الرفيعة والحالات المنيعة ليس بمامون اي محفوظ على اداب

من اداب الشريعة اي التي هي من الامور الظاهرة فكيف يكون مامونا على ما
يدعيه من مقامات الاولياء اي وحالات الاصفياء من حقائق الطريقة ودقائق
الحقيقة فرجع اي عن توجهه اليه ولم يسلم عليه اي حيث لم ير مقصوده لديه ولعل
حال المدعي كان مكشوفا عند ابي يزيد وانما اراد بذلك ظهوره عند المريد لينفتح له
باب المزيد **فصل** فاما المقامات وهي مختلفة الدرجات فانها مقام العبد
فاما المقامات فانها مقام العبد
اي الواحد باختلاف الاوقات او مقام العبيد بين يدي الله في العبادات اي
باختلاف الطاعات وتفاوت الحالات قال الله عز وجل اي حكاية عن الملائكة
الصافات الزاجرات التاليات وما منا الا له مقام معلوم وتمامه وانا لنحن
الصافون وانا لنحن المسبحون وقد قال سبحانه ايضا هم درجات عند الله
واولها اي اول مقامات اولياء الله الانتباه اي من نوم الغفلة عن خدمة مولاه
ويسمى مقام اليقظة لاستماع الموعظة وفي قوله سبحانه قل انما اعظكم
بواحدة ان تقوموا لله اشارة الى هذا الانتباه وقد ورد واعظ الله في قلب
كل امرئ مسلم وهو خروج العبد عن حد الغفلة اي عن الطاعة والعبادة
والدخول في الحضور نفتح باب السعادة ثم التوبة وهي الرجوع اي من المعصية
والغفلة الى الله تعالى اي الى طاعته والحضور في عبادته من بعد الذهاب
اي وبعده عن باب رب الارباب مع دوام الندامة اي فانها طريق السلامة
وقد ورد الندم توبة اي هو معظم اركانها كحديث الحج عرفة وكثرة الاستغفار
اي بالاسحار وفي اطراف النهار من ارتكاب الاوزار واكتساب الاحرار ثم
الانابة وهي الرجوع من الغفلة الى الذكر ومنه قوله الله يجتبي اليه من يشاء
ويهدي اليه من ينيب وهي اخص من التوبة وفي معناها الاوبة ومنه قوله
تعالى فانه كان للاوابين غفورا وقال في وصف اكابر الانبيا انه اواب وقيل
التوبة للمبتدين والانابة للمتوسطين والاوبة للمنتهي وقيل التوبة لعامة المؤمنين
قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون والانابة للاولياء

والصالحين قال تعالى وجاء بقلب منيب والاوبة للانبياء والمرسلين قال تعالى
نعم العبد انه اواب وقيل اي في الفرق بين التوبة والانابة التوبة الرهبة اي باعثها
الخوف من الحرقة والحجاب والانابة الرغبة اي سببها الميل في القربة والثواب وقيل
التوبة في الظاهر اي من الذنوب والانابة في الباطن اي من العيوب وهذا اكمل
لانه منظر علام الغيوب ثم الورع اي الذي هو من اعلى درجات التقوى
وهو ترك ما اشتبه عليه اي الطالب او التائب بحديث دع ما يريبك الى
ما لا يريبك وحديث الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا
يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن
حمى حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم محاسبة النفس اي مراقبتها وهي تفقد
زيادتها اي زيادة حالها من نقصانها اي وكمالها وما لها اي وما للنفس ان
يكسبها من الاحوال وعليها اي وما يجب عليها ان يجتنبها من الاعمال وقد قال
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما
تعملون وفي الحديث حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ثم الارادة وهي ترك العادة و
الدخول في العبادة لطلب السعادة وهي كما قال الشيخ استدامة الكد اي بالمجاهدة في
طريق الموافقة وترك الراحة اي راحة النفس بالمخالفة وعدم الموافقة ثم الزهد وهو ترك
الحلال اي من الجاه والمال من الدنيا اي مما يؤدي الى لذاتها ولهواتها والعزوف اي
الاستنكاف عنهما وعن شهواتها اي بسرعة فنائها وقلة بقائها وشدة عنائها
ووحشة شركائها وكثرة بلائها قال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف
اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار
وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وقد ورد ازهد في الدنيا يحبك الله
وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس رواه ابن ماجه وغيره وفي رواية البيهقي ازهد الناس
من لم ينس القبر والبلى وترك افضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا
من ايامه وعد نفسه في الموتى ثم الفقر اي الافتقار في جميع الاحوال الى المولى لقوله تعالى

مطلب نعم العبد انه اواب

الناس

والله الغني وانتم الفقراء عن المحتاجين اليه بالايجاد في الابتداء وبالامداد في
الانتهاء وهو عدم الاملاك اما حقيقة كما قيل الصوفي لا يملك ولا يملك واما
مجازا فانه لا ينظر الى املاكه بل يعتمد على مالكه المتصرف في افلاكه وتخلية القلب اي
عن ذكر غير الرب مما خلت عنه اليد بل ومما حلت عليه اليد ايضا فقد ورد ليس الغنى
عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس متفق عليه وقد قيل ايضا الذي في يدي ما
اعرف نصيب من والذي نصيبي ما اعرف في يد من فالنصيب نصيب من بعيد
او قريب ثم الصدق اي مع الحق والخلق وهو استواء السر اي في مقام الايمان والاحسان
مع الاعلان بان يكون ظاهره وباطنه يستويان فقد قال تعالى الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية حيث يكونون صادقين في احوالهم على
بينة ثم التصبر اي طلب الصبر وحرارته وهو حمل النفس على المكاره اي على مشقات
تكليفاته من اكتساب طاعاته واجتناب سيئاته وتجرع المرارة اي في شدة حالاته
وهو اخر مقامات المريدين اي باعتبار بعض مقامات والا فقد قال تعالى لسيد
انبيائه وسند اصفيائه وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ثم اعلى من هذا المقام
ما خوطب به عليه السلام بقوله واصبر وما صبرك الا بالله كما يشير اليه حديث
لا حول ولا قوة الا بالله وهو معنى قوله ثم الصبر اي على الادنى وهو ترك الشكوى
اي الى غير المولى لقوله تعالى انما اشكو بثي وحزني الى الله ثم الرضا اي بجميع القضا
وهو اي كالة التلذذ بالبلوى اي بانواع البلاء كما يتلذذ اهل الدنيا بالنعماء
ولقد قال بعض ارباب الولاء لما فتح له باب من البلاء يا رب هذا الطعام فاين
الادام وكان بعض العارفين اذا رأى في مطبخه اسباب المعيشة حزن وضاق
عليه الحال وقال اليوم يشبه مطبخنا مطبخ فرعون ونحوه من اعداء الله واذا
قل شئ فيه او عدم فرح وقال الحمد لله يشبه اليوم مطبخنا مطبخ سيد الانبياء
وعامة الاصفياء والاولياء وذلك لما ورد اخوفكم في الدنيا اشبعكم في العقبى وايضا
ففي البلاء كفارة السيئات ورفع الدرجات والتحقيق الذي نوع فيه من التدقيق ان

الدنيا طلسم حيث فيها اسم ولاجسم فالمحن بها منح والمنح محن كما يشير اليه
لفظ البلاء فانه مشترك من النعمة والنقمة كما جاء تفسيرهما فى قوله سبحانه وفى ذلكم
بلاء من ربكم عظيم وذلك ان البلاء بمعنى الامتحان فعنده يكرم المرء ويهان قال
عز وعلا ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ثم الاخلاص اى الذى
سبب الخلاص وباعث الوصول الى مقام الخواص وهو اخراج الخلق عن معاملة
الحق اى فعلا وتركا كما افاد الفضيل لقوله ترك العمل للخلق رياء والعمل لهم
شرك والاخلاص ان يخلصك الله منهما يعنى من رؤية الخلق بمشاهدة الحق
ثم التوكل على الله فقد قال تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون متى لا على غيره وقال
عز وجل وتوكل على الحى الذى لا يموت وهو الاعتماد عليه اى على الله بازالة الطمع
عما سواه لان من توكل عليه كفاه وعن غيره استغناه وعن السيد ابى
الحسن الشاذلى انه قال له بعض الفقراء علمنى علم الكيميا فقال له هذا امر سهل
عند الاولياء وهو مركب من شيئين من الاشياء اولها اطرح الخلق عن نظرك
وثانيهما اقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم لك فصل واما
الاحوال اى احوال ارباب الكمال واصحاب الجمال فانها معاملات القلوب اى
بتصفيتها من الذنوب والعيوب لمنازلات مشاهدة علام الغيوب وقيل
الاحوال من جملة المواهب المقامات ببذل المجهود والمقام من جملة الاعمال والحال
من جملة الافضال وهى ما يحل بها اى ينزل بالقلوب من صفاء الاذكار فانها صقالة
القلوب الابرار ومزيلة لها عن صدا واغبار الاغيار وباعثة على ضياء الاسرار
واحاطة الانوار فى اطراف الليل واناء النهار قال الجنيد الحال نازلة اى حالة
حادثة بادرة وواقعة ساطعة نادرة ينزل بالقلب اى بتجلى الرب ولا تدوم
اى بل يكون كالبرق الخاطف فانها عبارة عن التوحيد الصرف الصارف عن
مقام جمع الجمع المعبر عنه بالفناء والبقاء والمحو والصحو فيكون وجودها
حال شهودها ولعله عليه السلام اشار الى ذلك المقام بقوله لى مع الله وقت

واما الاحوال فانها معاملات القلوب

والمقامات من جملة المكاسب فهو لا الاحوال من عين الجود ووصول
٤

لا يسعنى ملك مقرب ولا نبى مرسل واراد بالنبى المرسل نفسه الاكمل فان النفس
فى حد ذاتها حاجبة عن دركها كما لا يخفى كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب
فمن ذلك اى من جملة ما ذكر من احوال الرجال المراقبة اى مراقبة القلب فى مشاهدة
الرب فى جميع الاحوال وهى النظر بصفاء اليقين الى المغيبات اى فى عالم ملكوت
الارض والسموات من السفليات والعلويات والكليات والجزئيات ثم القرب
اى الى الرب بالترقى فى مقام القلب وهو جمع الهم بين يدى الله اى عند مراقبة
الله بالغيبة عما سواه اى وبالحضور فى مقام السرور المعبر عنه بمقام لى مع الله
وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والاخرة ثم المحبة
اى دوامها وتمامها وهى موافقة المحبوب اى مطلقا فى محبوبه ومكروهه اى
سواء يحبه العبد او يكرهه فما ينفعه او يضره ثم محبة العبد فيما زانه نتيجة
محبة الله سبحانه كما يشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله وقد يقال محبة العبد لله سبحانه اثر محبة الله للعبد كما يومى اليه
قوله يحبهم ويحبونه والاصل محبة الله للعبد فانها ازلية كاملة لا عن علة
ولذا قدمت فى الاية واما محبة العبد فحادثة ناقصة لا تخلو عن علة زائلة ثم
الرجاء اى فى حالتى السراء والضراء والنعماء والباساء وهو تصديق الحق اى علما
وحالا فيما وعد اى للخلق من المثوبة والقربة ثم الخوف اى ولو كان السالك فى مقام
الاولياء الاصفياء وهو مطالبة القلب اى عند مشاهدة اسباب غضب الرب
لسطوات الله ونقماته اى انواع عقوباته واصناف حجاباته وحاصله الخوف من الحرقة
والفرقة ثم الحياء اى بعدم النشاط فى طرف البساط وهو حصر القلب عن الانبساط
اى لملاحظة لمعان الاسواط ودوران الاشواط لتقصيره فى البساط وذلك اى جميع
ما ذكر من الاقوال لان القرب يقتضى هذه الاحوال اى بخلاف من يكون فى مقام تحصيل
الاعمال وتزيين الاحوال فمنهم اى من هؤلاء الرجال الواقفون فى مقام الكمال من ينظر
فى حال قربه اى من ربه وحضرته الى عظمة الله اى ذاته وهيبته اى من جهة صفاته فيغلب

عليه الخوف اى على اولى الالباب من الحجاب والبعد عن الباب او الحياء اى لكونه فى
مقام يحب رعاية غاية الاداب ملاحظة لقولهم ما للتراب ورب الارباب ومنهم من
ينظر الى لطف الله اى رفقه وامتنانه وقديم احسانه اى للعبد مع حقارة شانه فيغلب
على قلبه المحبة اى حتى لا يبقى محبة لغيره ولا حبه والرجاء اى بالالتجاء اليه والاعتماد
عليه والتسليم لديه ثم اعلم انه سبحانه لفرط قربه بك لا تراه ولغاية بعدك
عنه ترى شيئا سواه وهذا تمام لمن يطلب معرفة مولاه وانما يصح الطلب لمن خاف هواه
وقد قال تعالى وهو معكم اينما كنتم وقال عز وعلا ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وما احسن قول بعض طلاب فتح ابواب المزيد ومن العجايب والعجايب جمة قرب
الحبيب وما اليه وصول كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول
ثم الشوق اى الذى اثره الذوق وهو هيجان القلب اى اضطرابه فى حالة المغلوب
عند ذكر المحبوب كتغير سر العاشق بسماع اسم المطلوب ثم الانس اى الذى هو
مطلوب الجن والانس وهو السكون الى الله اى بوصف الاطمينان والحضور
والاستعانة به اى بطلب العون او الغوث وفى نسخة الاستكانة اى التضرع والمسكنة
فى جميع الامور لقوله تعالى والى الله ترجع الامور فى جميع الدهور ثم الطمانينة
اى بذكره وفكره وهى السكون اى بوصف الوقار والافتقار الى الله تحت مجارى
الاقدار فانه كما قال بعض الابرار ليس فى الدار غيره ديار ثم اليقين اى العلمى وهو
التصديق مع ارتفاع الشك اى بحيث لا يتزلزل بشبهة ولا ينقلب بريبة حيث
تجاوز عن مقام التقليد ووصل الى مقام التحقيق والتابيد ومنه لما قال تعالى
فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال عليه
السلام فى مقامه الاكمل لا اشك ولا اسال واما قول ابرهيم عليه السلام ولكن
ليطمئن قلبى فمن باب الترقى من علم اليقين الى عين اليقين ثم المشاهدة اى التى
اثر الجذبة او نتيجة المجاهدة ومنه لما قال تعالى فان كنت فى شك وهى فصل اى فاصلة
بين رؤية اليقين اى العلمى ورؤية العيان اى العينى لقوله عليه السلام اى اشارة

الى هذا المقام اعبد الله كانك تراه فان لم يكن تراه فانه يراك فالاول رؤية العيان
والثانى رؤية اليقين ويكون فى الاخرة حق اليقين وهى اى المشاهدة اخر الاحوال
اى احوال المريدين الى يوم الدين ثم يكون اى فى الدنيا والاخرى فواتح جمع فاتحة وهى
وهى التى لام الاحوال فاتحة ولوائح جمع لائحة وهى التى للارواح رائحة ومنائح
جمع منيحة وهى عطايا غادية ورائحة ليس فيها خاسرة بل كلها رابحة تخفو العبارة
عنها اى تعجز العبارة عن طوالع مبانيها وتقصر الاشارة عن لوامع معانيها وان
تعدوا نعمت الله لا تحصوها اى لا تطيقوا عدا سا ميها فضلا عن القيام بما يجب
فيها **فصل** فى ذكر اختلاف المسالك اى تعدد طرق المجذوب والسالك
المقصود واحد اى سوى فيه الموحد والملحد والجاحد واللاحد لان الواجد هو
الماجد ومما يدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله سبحانه
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولهذا كل حزب
بما لديهم فرحون حيث ظنوا انهم به اليه واصلون والمقاصد مختلفة اى وان
كانت المراصد مؤتلفة كاختلاف القافلة فى طريق مكة من السابلة برا وبحرا وشرقا
وغربا ويمينا وشمالا وركابا ورجالا ونساء ورجالا وذلك لاختلاف
القاصدين فى بداياتهم ومقامات السالكين فى نهاياتهم ومن قيل الطرق
الى الله بعدد انفاس الخلائق وقال بعض ارباب الحقائق عدد الانفاس فى اليوم
والليلة اثنا عشر الف نفس والحاصل ان كل شئ من الموجودات له علم بباريها
حسب ما يناسبها من المقامات والحالات كما يشير اليه قوله سبحانه وان
من شئ الا يسبح بحمده وقوله وان منها لما يهبط من خشية الله وفى الحديث
احد جبل يحبنا ونحبه فمنهم من سلك طريق العبادة اى قبل الجذبة او بعدها
طالبا لمزيد السعادة ولازم الماء اى للطهارة والمحراب اى للطاعة واشتغل
بكثرة الذكر اى من تلاوة القران والتسبيح والتهليل والتكبير ونحوها من
اذكار اللسان والنوافل اى من الصيام والقيام مما ورد فى حقهما الفضائل

فى ذكر اختلاف المسالك

مطلب حديث

وواظب على الاوراد اى داوم عليها لزاد المعاد ومن هنا قال بعض علماء
الدين لما قدم عليه بعض الغربا من المريدين اما كان فى بلدك ماء ومسجد اشارة
الى ان الانسان خلق للعباده كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وايماء الى قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله ما لم يعلم ومنهم
من سلك طريق الرياضات اى رياضات النفس بالمجاهدات والمكابدات
اى تحمل المشقات الزائدات وقهر النفس اى غلبتها وكسرها فى المخالفات اى
بترك اللذات والشهوات والمرادات لقول بعض اهل الكمال ودع نفسك وتعال
فانه راس العبادات ومنهم من سلك طريق الخلوة اى بقلة الخلطة وعدم الجلوة والعزلة
لان من اختار العزلة الا ان العزلة بدون عين العلم ليكون الزلة وبدون زاى الزهد
يبقى العلة طلباً للسلامة من المخالطة اى مخالطة اهل الملامة وهنا مقامان احدهما طلب
سلامته من شر الخلائق والاخر طلب سلامة الخلق من شر نفسه وما يتعلق بها من العلائق
والعوائق وهذا اتم عند ارباب الحقائق واصحاب الدقائق ومنهم من سلك طريق
السياحة والاسفار كسفر الغزو والحج والاعتماد وزيارة الاحياء والاموات من
المشايخ الكبار والعلماء الابرار لقوله تعالى التائبون العابدون السائحون وقوله
سيروا فى الارض فانظروا وقوله فاعتبروا يا اولى الابصار والاغتراب عن البلدان اى
بالاجتناب عن الاوطان لقوله عليه السلام موت الغريب شهادة رواه ابن ماجه
وقوله كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وقوله فطوبى للغرباء وخمول الذكر
اى وعدم الشهرة فيما بين الاخوان والاقران وفى الحديث ان اغبط اوليائى عندى
المؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلوة احسن عبادة ربه واطاعه فى السر
والعلانيه وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافاً فصبر
على ذلك رواه الترمذى عن ابى امامه مرفوعاً والمراد بخفيف الحاذ قليل العيال وما يمنعه
من الاشتغال بعبادة ذى الجلال ومنهم من سلك طريق الخدمه اى خدمة العلماء والمشايخ
والفقراء والضعفاء والغرباء فى السراء والضراء وبذل الجاه اى ما يقدر عليه من الاعانة

والاغاثة

والاغاثة للاخوان اى لاخوانه فى الدين لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين وادخال السرور عليهم اى اما بالاحسان اليهم واما بخدمة الابدان
لديهم ومنهم من سلك طريق المجاهدات اى فى زيادة نوافل الاعمال وركوب الاهوال
اى رجاء الاصلاح الآمال ومباشرة الاحوال اى ليدرك غاية المقصود ونهاية المنال
ومنهم من سلك طريق اسقاط الجاه عند الخلق وهم الطائفة الملامتية الا انه يجوز
لمباشرة المخالفة للامور الشرعيه بل ينبغى ان يستوى قبول الخلق وعدمه لديه لان مدار
الامر على رضا الحق عليه كما يشير قوله تعالى اليه ولا يخافون لومة لائم لان كل واحد منهم
فى بيداء محبة الحق هائم دائم وقلة الالتفات اى وعدم الاعتماد عليهم وترك
الاشتغال بخيرهم وشرهم اى وعدم المبالات بنفعهم وضرهم اذ لا خير فى اكثرهم
فلا فائدة فى خبرهم عن سفرهم وحضرهم ومن جملة الخلق نفسك الخلق ومنهم
من سلك طريق العجز اى الافتقار لقول بعضهم العجز عن درك الادراك ادراك
والانكسار اى فى مقام الاضطرار لقوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه والظاهر
انه اراد الشيخ بالعجز والانكسار فى هذا المقام الاعتراف بالتقصير فى طاعة الملك
العلام ليناسب قوله كما قال تعالى اى اخبارا عن الثلاثة الذين خلفوا واخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً اى بعمل صالح واخر سيئاً اى بمقابلة حسنا عسى الله
ان يتوب عليهم اى يوفقهم للتوبة او يقبل توبتهم الاية تمامها ان الله غفور رحيم
اى لمن تاب واناب فآب الى حسن المآب ومنهم من سلك طريق التعلم والمسائلة اى
وتحمل المطالعه والمقابلة ومجالسة العلماء اى من القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء
وسماع الاخبار اى من المشايخ الكبار وما اشتهر عنهم من الابرار وحفظ
العلوم اى اولا وضبطها بالفهوم ثانيا وهذا اعلى مرتبة من كل ما تقدم لمزيد
المزيد الا ان كل احد ليس له هذه القابليه وسبحان من اقام العباد فيما اراد وكل
ميسر لما خلق له من زاد المعاد وكل موقف اى من هذه المواقف يحتاج فيه الى موقف
اى الى شيخ مميز يكون موافقا لتبيين العوارف وتحسين المعارف ودليل اى من

الكتاب والسنة وكلام اهل الخبره باخذ به فيه اى ويعمل بما فيه ليسلم من الحيرة
اى التحير فى لجة نهاية بحر التوحيد اى فى بداء بداية التفريد والتجريد ليتم له طريق
التوفيق بالتحقيق والتأييد وقيل لبعض المشايخ ان فلانا اى من المريدين
رجع اى من سلوك طريق الدين فقال لما اراه بضم الهمزة اى ان ما اظنه الا لوحشة
الطريق وكثرة التضيق من قلة سالكيها اى من عدم الرفيق وقلة التوفيق ولم يدر
هذا المسكين كون اكثر الناس مشركين غير موحدين كما قال تعالى وما اكثر الناس ولو
حرصت بمؤمنين لقلة وجود الخلاص وقلة شهود الخواص وقد قال تعالى الذين امنوا
وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقال وقليل من عبادى الشكور وكانوا قليلا من
الليل ما يهجعون وقليل من الاخرين وفى جواب الشيخ ايماء الى انه انما رجع من رجع
من الطريق لعدم وصوله الى مقام التحقيق اذ من لم يذق لم يعرف ومن بحر المعرفة
لم يغرف واما اذا دخل الايمان القلب امن السلب كما يشير قوله سبحانه فمن استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها اى لا انقطاع بها فلا يكون انفصال الا قبل الوصال
هذا وقد قال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وقال بعضهم من كفر
بعد ايمانه نقض عهد الاسلام فى الظاهر ومن رجع الى احكام العاده بعد سلوكه
طريق الاراده نقض العهد فى السر فهو مرتد جهرا وهذا مرتد سرا فالمرتد جهرا
عقوبته قطع راسه والمرتد سرا عقوبته قطع رأسه فصل فى ذكر قولهم
فى فضل العلم اى مما ورد فى الكتاب والسنة واخبار اهل الحلم وعن الحكيم الترمذى
ان العلم معرفة الاشياء بظواهرها والحكم معرفتها بسرائرها وقال ابو بكر الوراق
العلم معرفة مضرة الاشياء ومنفعتها والحكمة اجتناب المضرة واجتلاب المنفعة
قال الله تعالى شهد الله اى بينه واظهره فيما عينه من اثار الصفات فى عوالم
العلويات والسفليات وانوار الايات البينات من الافاق وانفاس المخلوقات
انه لا اله اى معبود وموجودا ومشهودا الا هو اى وحده لا شريك له والملائكة
اى من اهل الارض والسموات شهدوا بوحدانيته فى الذات وفردانيته فى الصفات

في ذكر قولهم في فضل العلم

واولوا

واولوا العلم من الرسل والانبياء والاصفياء شهدوا ايضا بلسان القال
وبيان الحال قائما اى حال كونه سبحانه ثابتا دائما بالقسط اى بالعدل فى قسط
كل احد ونصيبه ووفق عمله وعمله وكسبه بدا بنفسه اى من مقام الشهادة
العظمى وثنى بملائكته اى المقربين من الملاء الاعلى وثلث باهل العلم اى من ذوى
النهى والتقى ولعل تقديم الملائكة لتقدمهم وجودا وشهودا ولكونهم كلهم
معصومين وان كان فى اولى العلم من يكون افضل منهم الا انه قليل ما هم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى فى حديث طويل وفيه ان فضل العالم
على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ثم قال العلماء ورثة الانبياء رواه
ابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابى الدرداء مرفوعا بزيادة ان الانبياء
لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذه بحظ وافر وزاد ابن النجار
يحبهم اهل السماء ويستغفر لهم الحيتان فى قعر الماء اذا ماتوا الى يوم القيمة وفى رواية العلماء
مصابيح الارض وخلفاء الانبياء وورثتى وورثة الانبياء رواه ابن عدى عن على واما
حديث علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل فلا اصل له وقال النبى صلى الله عليه وسلم
اى فيما رواه الترمذى عن ابى امامه الباهلى وفيه انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلان احدهما عابد والاخر عالم فقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلى على
ادناكم وفيه مبالغة لا يخفى اولو قال على اعلاكم لكفى فضلا وشرفا ثم قال صلى الله
عليه وسلم ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة والحوت ليصلون على
معلم الناس الخير ثم تلا هذه الاية انما يخشى الله من عباده العلماء والمراد بالعالم القائم
بالعلوم الشرعية مع القيام بفرائض العبودية وبالعابد المتجرد للعبادة البدنية بعد تحصيل
ما يجب عليه من العلوم الدينية والا فلا خير فى عالم غير عامل ولا فى عابد جاهل فالقصد
ان صرف زيادة الاوقات من الفرائض علما وعملا الى التعلم والتعليم اولى من صرفها الى
تحصيل النوافل فى الدين القويم وذلك لان العلم اما فرض عين واما فرض كفاية وهو
افضل من عبادة يكون نافلة فقد ورد طلب العلم فريضة ولفقيه واحد اشد على

حديث

الشيطان من الف عابد ويؤيد ما قررنا ما رواه الدارمي عن الحسن مرسلاً قال
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين كانا في بني اسرائيل احدهما كان عالما
يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير والاخر يصوم النهار ويقوم الليل ايهما افضل
فقال عليه السلام فضل هذا العالم الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على
العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل كفضلي على ادناكم وفي رواية فضل العالم على
العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقد ورد عن الحسن انه قال العلم
علمان فعلم في القلب فذاك العلم النافع وعلم اللسان فذلك حجة الله عز وجل على ابن
ادم رواه الدارمي ثم العلم قد يراد به اليقين في امر الدين الا ترى ان الصحابة كانوا افضل
من التابعين مع ان بعض التابعين كانوا اعلم منهم في علم الفتوى واحكام القضاء وحاصل والحاصل صح
ان العلماء بالله افضل من العلماء باحكام الله فالاولون هم الاولياء والاخرون هم الفقهاء
وقال النبي صلى الله عليه وسلم الناس اي الذين ينبغي ان يقال لهم الناس حيث
وصلوا الى مقام الايناس رجلان اي جنسان فيهما وصفان عالم اي منته ومتعلم
مبتد وسائرهم اي بقية الناس همج اي نسناس يشبه الناس لكونهم في مقام العلم
من اهل الافلاس واصل الهمج جمع همجة وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على
وجوه الغنم والحمير واعينهما وفي رواية الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا ولفظه الناس
رجلان عالم ومتعلم ولا خير فيما سواهما ويقرب منه في المعنى وان اختلف في المبنى قوله
عليه السلام الناس ثلاثة سالم وغانم وشاحب اي متغير اللون خائب والسلامة
للمتعلم والغنيمة للمعلم والخيانة والخسارة لغيرهما وورد العالم والمتعلم شريكان
في الخير وسائر الناس لا خير فيهم رواه الطبراني عن ابي الدرداء وقيل العلم اصل والعمل
فرع اي كالشجرة والثمرة لتوقف شهود الثاني على وجود الاول ولان العلم قد
ينفع بدون العمل حيث لا يحتاج اليه واما العمل فلا ينفع به بدون العلم وتقدمه عليه
وقد ورد فضل في علم خير من فضل في عبادة رواه البيهقي وورد عن ابن عباس تدارس
العلم ساعة من الليل خير من احيائها اي بالعبادة رواه الدارمي وقد فضل الجمهور من

مشايخنا

مشايخنا اي الكاملين من علماء العاملين العلم وهو ادراك الجزئيات والكليات
على المعرفة وهي يختص بالجزئيات والعقل اي التعقل والتصور وما يترتب عليه من
اثار التفكر والتبصر ولانه في الحقيقة الة للعلم والمعرفة بمنزلة الجارحة للسمع والبصر
والقدرة لان الله تعالى يوصف بالعلم اي ولا يوصف بالمعرفة والعقل ولان العلم
اي الحقيقي الذي عليه مدار النقل من الكتاب والسنة واجماع الامة حاكم على العقل
اي فلا يلتفت الى انه يقبله اولا يقبله على ما هو مذهب اهل السنة والجماعة ولا
حكم للعقل على العلم اي كما قالته المعتزلة وسائر المبتدعة وقيل لا ينفع العلم الا بالعقل
وهذا ظاهر لان المجنون ليس له تعلم حيث لا عمل له وكذلك العقل لا ينفع الا بالعلم
والمعنى انه لا يستغني احدهما عن الاخر كحدقة العين وعين البصر لكن المقصود بالذات
هو العلم الذي ينفع في معرفة الذات والصفات وقيل لبعض الحكماء اي الذي كان
كاملا فيما بين الادباء متى يكون الادب اي وجوده اضر اي اكثر ضررا من عدمه قال
اذا كان العلم انقص والمعنى ان الاليق الذي فيه النفع اكثر زيادة العلم على العمل
المعبر عنه بالادب بحيث ما نقص العلم المتعلق بعمل وادب وجود ذلك الادب
اضر فانه اما فاسد واما ضايع او كاسد وقد ورد افضل الاعمال العلم بالله ان
العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره وان الجهل لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره
رواه الحكيم الترمذي عن انس وفي الحكم نافل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل
برز من قلب راغب وقيل الادب اي الظاهر الناشي من علمك صورة عقلك اي
الباطن في ضميرك فحسن عقلك كيف شئت اي ترى بقدره بتحسين ادبك
وفضلك ومن فضل العلم اي واعتباره ان الهدهد مع قلة خطره اي وظهور
احتقاره اجاب سليمان عليه السلام مع علو مرتبته اي في مقام النظام
بصولة العلم اي بجملة وجوده وقوته اي وقدره شهوده في قوله احطت بما لم
تحط به اي علمت ما لم تعلمه وقد غبت عن خدمتك بسببه وجئتك من سبأ
بنبأ يقين الابيات مع قلة الاكثرات اي المبالات بتهديده ووعيده اي حيث

فى ذكر ادابهم فى محاوراتهم

قال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتينى بسلطان مبين اى بحجة ظاهرة
وبرهان من يقين فصل فى ذكر آدابهم فى محاوراتهم اى مخاطباتهم ومكالماتهم
فى محاوراتهم ومنه قوله تعالى قال له صاحبه وهو يحاوره الاية وهو اى من جملة
ادابهم مع اصحابهم ان يقصد اى كل واحد من الشيخ والمريد بكلامه النصح اى النصيحة
لا الفضيحة لعامة العباد والارشاد اى تحصيل زاد المعاد وطلب النجاة اى الخلاص
من الفرقة والحرقة والفوز بالقربة والمثوبة وما يعود نفعه على الكل اى جميع الحاضرين
من عموم المؤمنين ولا يكلم الناس اى التفاوت مراتبهم فى حضورهم وذنوبهم
الا على قدر عقولهم بل بعبارات متداولة لهم تالفا بهم وقال النبى صلى الله عليه
وسلم اى فى هذا المقام الاتم الذى نفعه اعم امرنا معاشر الانبياء اى انا وسائر
الاصفياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم اى ليكون سببا لوصولهم الى مقام
حصولهم والحديث له طرق منها رواه الديلمى عن ابن عباس رفعه ومنها الدار
قطنى فى الافراد عن عائشة مرفوعا بلفظ عاقبوا ارقاءكم على قدر عقولهم بل عند
البخارى فى صحيحه عن على موقوفا حدثوا الناس بما يعرفون اتحبون ان يكذب الله
ورسوله وفى مقدمة صحيح مسلم عن ابن مسعود قال ما انت بمحدث قوما حديثا لا
تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة وفى معناه حديث امرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم اخرجه مسلم فى مقدمة صحيحه تعليقا بلا اسناد
فقال ويذكر عن عائشة قالت امرنا وذكره ووصله ابو داود فى سننه وابن
خزيمة فى صحيحه والبزار وابو يعلى فى مسنديهما وغيرهم فهو حديث حسن
ولا يتكلم مسالة لا يسال عنها اى بل ان سئل نفع وان لم يسال استغنم بما
انتفع اذ الاشتغال بالحق احق من الاقبال على الخلق وكانوا يعدلون ابتداء الكلام
قبل السؤال عن القضية من الشهوة الخفية واذا سئل اجاب على قدر السائل اى
مقدار مقام القائل من الجاهل والعاقل والكامل وعلى مراتب مقاماتهم وتفاوت
حالاتهم فى عباداتهم ومعاملاتهم فقد حكى عن الجنيد انه قيل له يسالك السائل

مسالة

مسالة فيجيبه اى السائل عنها ثم يسالك اخر عن تلك المسالة اى بعينها فيجيبه بجواب
اخر اى مع ان المسالة واحدة فكيف يتصور فقال على قدر السائل اى مقامه
وحاله يكون الجواب اى طبق مناله ومآله بل ربما يكون السائل واحدا فى المسالتين
ويختلف جوابه باعتبار اختلاف حاله فى المرتبتين ومن جاء بعض الاخبار بظاهرها
متعارضة الاثار كقوله عليه السلام فى بعض الاحوال افضل الاعمال الكسب من الحلال
رواه ابن لال عن ابى سعيد وفى بعضها افضل الاعمال الحب فى الله والبغض فى الله
رواه ابو داود عن ابى ذر وفى بعضها افضل الاعمال الايمان بالله وحده رواه الطبرانى
عن ماعز وفى بعضها افضل الاعمال الصلوة فى وقتها وفى بعضها افضل الاعمال ان
يدخل على اخيك المومن سرورا او تقضى عنه دينا او تطعمه خبزا رواه ابن ابى الدنيا
فى قضاء الحوائج والبيهقى فى شعب الايمان عن ابى هريرة وكذا اطباء القلوب يختلف
اجوبتهم فى شفاء العيوب فسائل مائل الى المال فيقال له الزهد ترك المال واذا
كان متوجها الى الجاه وعلو المراتب فيقال له الزهد ترك الخلق والمناصب واذا
سال لا يسال الا عن مقامه اى وعن كشف مرامه بعض الروايات انه عليه السلام
نهى عن الاغلوطات وفى رواية قال رجل حدثنى يا رسول الله عن غرائب العلوم
فقال عليه السلام ما اعددت للموت فالجواب على اسلوب الحكيم ولا يتكلف ما لم
يبلغه اى مقامه وحاله ولا يتكلم فيما لم يبلغ استعماله اى احترازا من ان يتوهم ان
هذا مقاله ومناله وقد قيل يجوز ذلك اى مما منع من الكلام فقد قال النبى عليه الصلوة
والسلام رب حامل فقه الى من هو افقه منه والحديث رواه الترمذى وغيره عن زيد
ابن ثابت مرفوعا بلفظ نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب
حامل فقه الى من هو افقه ورب حامل فقه ليس بفقيه وهذا كما ترى لا يظهر دليلا
على المدعى فانه بيان مراتب ارباب الرواية ومناقب اصحاب الدراية كما لا يخفى ولا يبذل
العلم الا لاهله اى القابلين والواصفين فى محل النادين ان يعملوا به ويعلموا غيرهم
لاعلاء كلمة الله ودينه لا ليجعلوا وسيلة للدنيا وذريعة لتحصيل الهوى وتذود

عن انس مرفوعًا طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير اهله كمقلد
الخنازير الجوهر واللؤلؤ رواه ابن ماجه وغيره وفى رواية آفة العلم النسيان واضاعته
ان تحدث به غير اهله وعن عبد الله بن مسعود موقوفًا قالوا ان اهل العلم صانوا
العلم ووضعوه عند اهله لسادوا به ولكنهم بذلوه لاهل الدنيا لينالوا به من دنياهم
فهانوا عليهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم همًا واحدًا هم آخرته
كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم احوال الدنيا لم يبال الله فى اى اوديتها
هلك رواه ابن ماجه وقد قيل ابذل العلم لاهله اى من الراغبين فى العقبى ولغير
اهله اى من الطالبين للدنيا فالعلم امنع جانبًا اى ارفع مقامًا واعلى مرامًا من ان
يصل الى غير اهله وذلك لقوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض
بغير الحق ولقول بعضهم طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله ففى الجملة
العلم خير من الجهل وقد يكون الامر بالعكس كما جاء النقل ففى الحديث اشد الناس
عذابًا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات
فقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون يشتمل وعدًا شديدًا
ووعيدًا شديدًا ومنه قيل فساد العالم فساد العالم وصلاح العالم صلاح
العالم ولله در القائل يا معشر القراء يا ملح البلد اذا الملح فسد وقد قيل ايضًا
موت العالم موت العالم ولا يتكلم اى المريد بين يدى من هو اعلم منه اى فى
مقام المزيد سئل ابن المبارك بحضرة سفيان الظاهر انه الثورى ويحتمل
انه ابن عيينة وهما تابعيان جليلان وامامان عظيمان فقال ان لا اتكلم
عند الاستاد اى فان التيمم لا يجوز عند وجود الماء فى البلاد وقد ثبت
ان سفيان الثورى اذا حضر فى صحبة ابى حنيفة وسئل عن مسألة لم يجبه
واشار الى الامام وكذا صح عن ابى موسى الاشعرى انه قال لا تسألونى مادام
هذا الحبر فيكم يعنى ابن مسعود وقال بعضهم لا يحسن هذا العلم اى علم التصوف
الذى مداره على التعرف الا لمن يعبر عن وجده اى عن حصول وجده ووصول

بجده وينطق عن فعله اى عن اعماله واحواله ليكون قاله مطابقًا لحاله المشير
الى بلوغ كماله وحصول مناله فى مآله والمعنى انه لا يقتصر على ذكر مقامات غيره وحالات
شيخه فقد قيل كن متصفًا لا وصافًا او محترفًا لا حرافًا فقد قال بدوى لولده يا ولدى
ليس شئ احلى من خبز البر فقيل له أكلته انت فى هذا البر قال لا الا ان جدى
رأى انه يأكله واحد من اهل البر وقيل من لم ينتفع بسكوته اى فى مقامه لم ينتفع
بكلامه وفى الحكم لا يصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله وفى
الحديث اولياء الله الذين اذا رؤا ذكر الله فلم ينتفع برؤيته لا ينتفع بموعظته
فلا خير فى صحبته والمراد بالرؤية رؤية مؤثرة فانها معتبرة قال تعالى وتريهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون وقد قال الفضيل بن عياض كان العلماء ربيع الناس اذا نظر
اليهم المريض لم يسره ان يكون صحيحًا واذا نظر اليهم الفقير يود ان يكون غنيًا وقد
صاروا فتنة للناس قال هذا وهو فى قرن التابعين فكيف لو ادرك زماننا وقد
عمت الفتنة للناس اجمعين ومن الادب ان لا يتكلم فى العلم وهو اعم من التدريس
والفتوى والموعظة وكلام القوم قبل اوانه وهو ظهور استعداده فى مكانه
ورفعة مرتبته وشانه وعدم وجود من هو اعلم منه من مشايخه واقرانه فيقوله
عنه آفات تعطله عن الفوائد اى ويمنعه عن الترقى وتحصيل الزوائد ويحذر اى
يحترز ويحترس ان يطلب الجاه وهو المنصب الدنيوى والمنزلة اى المرتبة ولو
فى الامر الاخروى عند الناس لقوله تعالى من كان يريد العزة فان العزة لله جميعًا
وحطام الدنيا اى الزيادة على قدر الحاجة من اموال الدنيا واما طلب مقدار الكفاية
من الله سبحانه فهو من وسائل درجات العقبى واما اذا كان حاله بخلاف هذا
الهدى من متابعة الهوى فيكون ممن لا ينفعه الله بعلمه وقد تقدم ان اشد الناس
عذابًا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقد استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم
من علم لا ينفع اى لاصحابه او من علم غير نافع فى بابه ففى مسند احمد وغيره اللهم
انى اعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ومن هؤلاء

الادبع ومن الحكم العلم النافع الذى ينبسط فى الصدر شعاعه ويكشف عن القلب
قناعه وقال مالك بن انس ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يقذفه الله
تعالى فى القلوب وقال الجنيد العلم من تعرف ربك ولا تعدو قدرك وهذه عبارة
وجيزه واشارة عزيزه وقال النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه الترمذى عن كعب
ابن مالك من طلب العلم فيمارى به العلماء اى ليجادلهم فى المناظرة ويجارى به
السفهاء اى ليسابقهم فى المحاربة او يصرف به وجوه الناس اليه اى يعظمهم
له واقبالهم عليه فليتبوأ مقعده من النار اى فليهيئ مكانه من دار البوار مع الكفار
والفجار وفى رواية ادخله الله النار ويجهد فى استعمال ما يسمعه اى من
الاقوال ويتعلمه اى من الافعال حتى ينفعه الاستعمال فى حسن المآل فقد قيل
كل من سمع شيئا من علوم القوم اى التى يتوقف على عملهم فعمل به اى صار
له به صار ذلك حكمة فى قلبه اى وثمره فى شجرة لبسه وينتفع به السامعون
له اى فى مجلسه من وعظه ودرسه وكل من سمع اى شيئا من علم القوم وغيره
ولم يعمل به او ولم يكن متصفا بسببه كان ذلك حكاية اى مجرد حكاية ورواية
يحفظها اياما اى من غير دراية ثم ينساها فى عاقبة امره وغاية دهره فالواجب
عليه ان يبادر الى الاعمال على اى حال كان وان يغتنم فرصة الامكان قبل
مفاجات الموت وحلول الفوت وقيل الكلام اذا خرج من القلب اى قلب القائل
العامل به وقع فى القلب اى وقع تاثيره فى قلب السامع له فمن لم ينفع نفسه
لم ينفع غيره وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون
الكتاب افلا تعقلون وقال كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ولذا
قيل عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس واذا خرج اى الكلام من اللسان
اى خاليا عن حضور الجنان لم يتجاوز الاذهان وهذا لغة اختارها مراعاة
للسجع وحسن البيان وفى نسخة لم يتجاوز عن الاذنين واصل هذا الكلام ما رواه
الحافظ ابو نعيم عن سعيد بن عاصم قال كان قاص يجلس قريبا من مجلس محمد بن واسع

فقال

فقال يوما وهو يوبخ جلساءه ما لى ارى القلوب لا تخشع وما لى ارى العيون لا تدمع
وما لى ارى الجلود لا تقشعر فقال له محمد بن واسع يا عبد الله ما ارى القوم اتوا
الا من قبلك ان الذكر اذا خرج من القلب وقع على القلب حكى ان رويما بالتصغير
قال للجنيد وهو استاد المشايخ والائمة كم تنادى على الله بين يدى العامة اى
وانما يليق بك ان تخص بمناداتك الخاصة فقال انا انادى على العامة بين يدى الله
والمعنى ان الاول يشير الى حضور الخلق وغيبة الحق والثانى يومى الى حضور الحق وغيبة
الخلق وهذا يدل على كمال عرفانه وجمال احسانه المترتب عليه ان لسانه تابع لجنانه
وفيه ايماء الى قولهم العارف كائن معهم بائن عنهم وقال اى الجنيد ايضا قوم
افنوا اسرارهم بالحظوظ اى بالشهوات وابصارهم باللحوظ اى بالنهوات
انى لهم الى ذكر الحق سبيل اى طريق فى حال المراقبات ومقام المشاهدات ومن الحكم
حظ النفس فى المعصية ظاهر جلى وحظها فى الطاعة باطن خفى ومداواة ما يخفى
صعب الا من هو طبيب خفى واما اللحوظ فانه تارة يكون الى المحرمات وقد قال تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وتارة الى المباحات وقد قال تعالى لا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه وقيل للنورى بضم
النون لم لا يتكلم اى بعوارف اليقين على اخوانك اى فى الدين من المريدين المتقين
فقال لانهم فى سفر الوحشة اى غائبين وليسوا بحاضرين وذلك لانهم بقوالبهم
فى المساجد والمعابد وبقلوبهم فى الاسواق والمشاهد وينبغى ان ينعكس القضية
بل ان يحضروا بظاهرهم وباطنهم فى الحضرة الجمعية وفى نسخة لانى فى سفر الوحشة
يعنى فليس لى مع احد الالفة وحكى ان الشبلى قال فى مجلس الجنيد اى فى حضرته الله
اى برفع صوته فقال له ان كنت حاضرا اى بالله فهو ترك الحرمة اى الاحترام والاحتشام
فانه لا ينادى احد من الكرام وهو حاضر ذلك المقام وان كانت غايبا اى عن الله فالغيبة
حرام اى فلا وجه لتصايحك الله مع انه ليس فى الكون سواه وهذا مقام الانتباه عن
حال الاشتباه وسأل الشبلى مسألة عن ابى القاسم الجنيد فقال اى فى الجواب

يا بابكر بين اكابر الناس اى ممن ارتقى الى مقام الاستينا بين عشرة الاف مقام
اى وسقرع الوف احوال كرام اولها محو ما بدات به اى واخرها صحو ما وصلت
بسببه وكانه اشار الى ان النهاية هى الرجوع الى البداية وان مقامات الاولياء و
حالات الاصفياء لا غاية لها ولا نهاية وكانه اشار الى ما رواه ابو الشيخ بسند
ضعيف ان الله سبعين الف حجاب من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
كلما ابصره والطبرانى بسند جيد بلفظ حجابه النور **فصل واما الشطحات المحكية**
اى كما فى الفتوحات المكية عن ابى يزيد وغيره اى من ارباب المزيد فذلك اى
صدورها عن هؤلاء الرجال عند غلبة الحال وقوة السكر اى المحو وقلة الصحو
الذى هو نقصان فى مرتبة الكمال وغلبات الوجد اى ونفحات المجد فلا قدح
لها اى لمخالفتها ظاهر الكتاب والسنة ولا رد اى لورودها فى مقام الغلبة و
حالة الجذبة التى تقارب الجنون المسقط للكلفة واما ما يوجد فى تصانيف
ابن عربى من الفصوص والفتوحات ما هو مخالف لنصوص الايات فيجب الرد
عليه وعدم الالتفات اليه فانه صدر عنه فى وقت شعوره اذ لم يتصور التصنيف
فى حال عدم حضوره وقد الفت رسالة مستقلة وذكرت بعض ما صدر عنه من
الزلل قال سهل بن عبد الله اى التسترى العلوم اى علوم القوم ثلاثة اى انواع
علم من الله اى لعباده وفق مراده وهو علم الظاهر اى المسمى بعلم الشريعة كالامر
اى وجوبا وندبا والنهى اى حرمة وكراهة والاحكام اى فى معاملات اهل الاسلام
والحدود اى لتاديب الفسقة والظلمة اعتبارا للانام وهذا العلم يحتاج اليه
فى بعض الاوقات وعلم مع الله اى لا بد من وجوده فى جميع الحالات وهو علم الخوف
اى من عقابه وحجابه والرجاء اى الى قرب بابه وثوابه فى مآبه والمحبة اى من الموجبة
لدوام ذكره وتمام فكره والشوق اى الى حصول لقائه والذوق الى وصول رضائه
ويسمى الباطن وعلم الطريقة وعلم بالله وهو علم بصفاته ونعوته اى باسمائه الدالة
على صفات ذاته وهذا اشرف العلوم لانه يعرف به اشرف المعلوم ويسمى

ف واما الشطحات المحكية

مطلب كلام ابن العربى مخالف حسب الظاهر

ع

علم الحقيقة واما معرفة ذاته فمحال من مكنوناته او الحادث من العدم يتلاشى فى
جنب ملاحظة القدم كما يشير اليه قوله تعالى ولا يحيطون به علما وقوله عليه السلام
لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقد ورد تفكروا فى كل شئ ولا
تتفكروا فى ذات الله فان بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة الاف نور وهو فوق
ذلك اخرجه ابو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس وفى رواية عنه ايضا تفكروا فى الخلق ولا
تتفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره وفى رواية عن ابى ذر تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا
فى الله وذلك لانه اذا تفكر فى ذات الله سبحانه وتصور فى باطنه شيئا شانه اضر
اسلامه وايمانه ولذا قالوا ما خطر ببالك والله وراء ذلك ومن اجل هذا التفكر والتصور
وقعت جهلة الصوفية فى العقائد الكفرية من الحلول والاتحاد والانفصال والالحاد
ونحوهما مما فى كلام الوجودية وقيل علم الظاهر وهو علم الشريعة علم الطريق
اى علم ما يفعله السالك فى طريق التحقيق ويسمى علم المعاملات وعلم الباطن
علم المنزل اى الوصول الى مقام التوفيق ويسمى علم المكاشفات ونظيره طريق الكعبة
وما يتعلق بها فانه من قبيل علم الظاهر الذى لم يتصور الى وصول علم الباطن الا بطى
مقاماته وسلوك حالاته ثم وصوله الى القبلة واستلام ركنه بالقبلة هو علم الباطن
الذى كان مخفيا عن اهله وحصل الانكشاف عن محله حال وصله وقيل علم الباطن
اى الاشارات مستنبط من علم الظاهر وهو العبارات فلا تخالف بينهما فى المقصودات
فعلم الوراثة ماخوذ من الدراسة وكل باطن لا يقيمه ظاهر اى لا يوافقه ولا يخففه فهو
باطل اى وعند اهل الحق عاطل وقد جاء عن كثير من اكابر القوم كالجنيد والجيلانى
وغيرهما ان كل حقيقة تخالف شريعة فهو زندقة فيجب على السالك ان يعرض خوا طره
على ميزان الكتاب والسنة او على احد من علماء الامة فان طابقت يقبلها والا
فيردها وقيل من سمع باذنه حكى اى بلسانه ومن سمع بقلبه وعظ اى بجنانه
قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومن عمل بما
سمع اى باذنه او قلبه اهتدى اى بربه وهدى اى غيره بعمله قال تعالى فمن اتبع

مطلب مهم

هدا اى فلا يضل ولا يشقى وقيل العلم اى الاكمل يهتف بالعمل اى يخبر وينادى ليحصل
الامل قبل نزول الاجل فان لم يجبه اى بالفعل ارتحل اى عنه انتقل والى غيره ممن يحبه اتصل
وفى الحكم اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك ليكون لهذا
الحق مجيبا ومن حضرته قريبا وقيل العلم ادراك الشئ على ما هو به اى من حقيقته وحقيقة ماهيته
والعقل بصيرة وقوة فى القلب اى بمنزلة آلته ومرآة صقالته منزلته اى مرتبة المعلم من
القلب اى الذى محل معرفة الرب منزلة البصر وهو الرؤية من العين اى الجارحه يفرق
بها اى بالجارحه لكن بقوة البصر اللائحة بين الحق والباطل من الاصول والعقائد والحسن
والقبيح اى من الفروع والفوائد وقيل العلم ما نشا هدته خبرا وهو ما يكون الا تقليدا او
حدسا والمعرفة ما نشاهدته حسا اى تحقيقا وانسا وقيل العالم نعتدى به اى باقواله
وافعاله والعارف يهتدى به اى باخلاقه واحواله وقيل الورع بكسر الراء وهو المتورع
لا يخدع اى الناس بالرياء والسمعة والعاقل اى الكامل لا ينخدع اى لا ينخدعه احد
بالمكر والحيلة وقيل العقل ما تباعدك عن مواقع الهلكات اى ويمانعك عن مراتع الشبهات
ومواضع الظلمات وقيل اصل العقل الصمت اى السكوت السكون الناشى عن الوقار
ولله در المحقق احفظ لسانك لا يقول فتبتلى ان البلاء موكل بالمنطق وعجز البيت
حديث صحيح وتصمن صريح وقيل المريد ناطق والعارف اخرس فقيل من عرف الله
كل لسانه وقيل من عرف الله طال لسانه فالاول للعارف بالذات والثانى بالصفات
او من عرف الله بصفاته الجمال طال لسانه ومن عرف الله بنعوت الجلال كل لسانه
او من غلب عليه الرجاء طال لسانه ومن غلب عليه الخوف كل لسانه او من ذاق شراب
الوصل طال لسانه ومن ذاق شراب الهجر كل لسانه او من دخل بحر المحو كل لسانه ومن
كان فى ساحل الصحو طال لسانه وباطنه كتمان الاسرار اى للاغيار فان قلوب الاحرار
قبول الاسرار وظاهره الاقتداء بالسنة اى بالاخبار وآثار الابرار وقد قال
الفقهاء ان من اوصى الى العقلاء يصرف الى الزهاد من العلماء فانهم رفضوا الدنيا
ورغبوا فى العقبى وطلبوا رضى المولى وقيل اذا غلب الهوى اى هو النفس على متابعة

الهدى نوادى العقل اى اختفى خوفا من المولى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هى الماوى وقيل اذا اردت ان تعرف العاقل من الاحمق اى
الجاهل بالحق فحدثه بالمحال اى بالذى وجوده لا يتحقق فان صدق اى فان قبله
كما فى نسخة فاعلم انه احمق اى فان عقل ارباب الكمال لا يجوز وقوع امر المحال وقيل
من احتجبت الى شئ من علومه اى من العلماء الظاهر او الباطن فلا ينظر الى
عيوبه اى عيوب اعماله او اخلاقه فان البشريه لا تخلو عن القصور بالكليه فيجب
عليك ان تنتفع بكلامه وتاخذ منه خلاصة مرامه ولا تنظر الى قصور من مقامه ومن
الحكم تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك اى ما حجب عنك
من العيوب فان نظرت فى عيوبه اى وعميت عما خفى عنك من غيوبه حرمت بركة
الانتفاع بعلومه اى ومنعت بركة الاتباع بفهومه وذلك لما ورد من الحديث القدسى
والكلام الانسى اوليائى تحت قبائى لا يعرفهم غيرى اى تحت قباب البشرية وحجاب
الفطرية ولهذا كانت الكفرة يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى
فى الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له
جنة ياكل منها فكان الجواب الصواب فى حال الاذواق والاشواق عنها قل لا
اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا
ما يوحى الى وقال فى موضع اخر قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى والحاصل ان الانبياء
والاصفياء لم يمتازوا من الخلق الا بالوحى الجلى او الخفى فى مقام الاصطفاء فصل
فى ذكر آدابهم فى حال البداية اى من تصحيح البداية وتزيينها ليحصل النهاية وتحسينها
فان من علامات النجح فى النهايات الرجوع الى الله تعالى فى البدايات كما فى الحكم
وهو لا يكون الا بتصحيح النيات وتحسين الطويات وفى الحكم ايضا من اشرقت
بدايته اشرقت نهايته اول ما يلزم المريد اى الطالب للمزيد بعد الانتباه من غفلته
اى والرجوع بالتوبة عن معصيته وبالندامة عن التقصير فى طاعته ان يقصد
شيخا اى مرشدا كاملا بان يكون عالما عاملا من اهل زمانه اى وهو افضل عصره

فى ذكر آدابهم فى حال
البداية

واوانه لما قيل من ليس له شيخ فشيخه الشيطان مونثا على دينه اى معتمدا على ديانته
معروفا بالنصح اى بالنصيحة لاهل صحبته والامانة اى على اسرار صاحبه فى غيبته
عارفا بالطريق اى بطريق اهل التوفيق من الشريعة والطريقة وما يتعلق بكل منها على
وجه التحقيق فيسلم نفسه بخدمته اى كالعبد الرقيق ليكون هو كالاب الاشفيق
او الاخ الرفيق ويعتقد ترك مخالفته اى لاعتقاد حقية موافقته ويكون الصدق
حالته اى فان فى الصدق نجاته ويعلى درجاته وقد ورد الشيخ فى قومه كالنبى
فى امته ثم يلزم للشيخ ان يعرفه كيفية الرجوع اى فى مقصده الى سيده ويدله
على الطريق اى طريق سلوكه بهمته ومدده ويسهل عليه سلوكها اى ويذهب
عنه وساوسها وشكوكها ويعلمه شرايع الاسلام مماله وعليه اى من جميع الاحكام
فان من العيوب عند العقلاء ان يقف الاولياء على باب الفقهاء لاجل الاستفتاء
فيما لهم وعليهم من انواع الابتلاء وقد ورد ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذه
لعلمه ما يشاء كيف ما يشاء واولى الاشياء به اى اهمها واتمها بالمريد اذا كان طالبا
للمزيد تصفية المطعم والمشرب والملبس اى فى تخليتها عن الحرام البتة وعن الشبهة
بقدر الوسع والطاقة لان بذلك يجد الزيادة فى حاله اى ويجد السعادة فى
افعاله ولذة العبادة فى اعماله وقد ذكر صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر
اى فى الغزو والحج ونحوهما اشعث اغبر ويقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه
حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب له وايضا من لم يجتنب عن الحرام
ما كمل له شريعة الاسلام فكيف له فى الدخول فى طريق الاولياء الكرام فقد قيل
لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا من قبايح الافعال و
ومصابح الاحوال اربعين سنة وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم طلب الحلال — مطلب الحلال فريضة
فريضة اى بعد الفريضة كما فى نسخة كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود مرفوعا
وفى رواية الديلمى عن انس طلب الحلال واجب على كل مسلم وفى رواية القضاعى
عن ابن عباس وابى نعيم عن ابن عمر وقال بعضهم اى من المشايخ طلب الحلال

فريضة

فريضة على الكل اى على جميع المسلمين عامة وترك الحلال فريضة على هذه الطائفة
اى الصوفية خاصة الا على حد الضرورة اى قدر القوت والكفاية وذلك لان زيادة
الدنيا سبب نقصان فى العقبى اذ فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب ثم
اى بعد اكل الطيبات الذى عليه مدار العبادات قضاء ما ضيع من الفرائض
اى صلوة وصوما وزكوة وحجا وتضييعا اما بترك ذاتها واما بفعلها لا بشرائطها
واركانها وواجباتها فلا ينبغى للسالك اذا كان عليه قضاء شىء منها ان يشتغل
بنوع من النوافل ولو ورد فيها بعض الفضائل فان من ضيع الاصول حرم من
الوصول وفى الحديث من ادرك رمضان وعليه من رمضان شىء لم يقضه فانه
لا يقبل منه حتى يصومه رواه احمد عن ابى هريرة ثم رد المظالم اى من حقوق العباد
على اهلها اى ولو بعد بعدهم فى البلاد بل ينبغى ان تقدم حق العبد لفقره وعدم
حلمه على حق الله لاستغنائه ووفور عفوه وكرمه لقوله عليه السلام رد دانق
اى على صاحبه بكسر النون وفتح وسدس الدرهم من حرام اى بان يكون اصله
حراما او بقاؤه فى يده حراما يعدل عند الله سبعين حجة مبرورة اى من
النوافل لان رد الحرام فرض وفعل النوافل سنة او من الفرائض بالنذر لما
تقدم من ان ترك حقوق الله اقرب الى عفو الرب فاداء حق العبد انسب
واوجب وفى الحديث ردوا المخيط والخياط من غل مخيطا او خياطا كلف يوم
القيمة ان يجئ به وليس بجاء رواه الطبرانى عن المستورد وقد قال الحافظ العسقلانى
حديث رد دانق على اهله خير من عبادة سبعين سنة ما عرفت اصله قال — حديث ما عرف اصله
السخاوى تلميذه وانما قال يحى بن عمر بن يوسف بن عامر الاندلسى الفقيه المالكى
حين ليم على ارتحاله من القيروان لقرطبة ليرد دانقا لبقال عليه انتهى وذكر
ابن جماعة فى منسكه الكبير بلفظ الشيخ المؤلف عن النبى صلى الله عليه وسلم
مرفوعا فدل على ان له اصلا ولو لم يسند نقلا فما كان عليه اى حقا على المريد
من قطع او ضرب اى ونحوهما من قتل وغيره من حقوق العباد فالقصاص اى

فيجب فيه المماثلة في المقابلة او العفو او قبول الدية وما كان من غيبة بالكسر
اي مذمة في غيبة وقد ورد في تفسير قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضًا
هي ان تذكر اخاك بما يكرهه وفيه تنبيه الى كمال المؤمن حيث جاء في الحديث
لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه رواه
احمد وغيره او شتيمة اي سب ولعن او نميمة اي رمي فتنة فالاستحلال اي واجب
من صاحبها في الحال او في الاستقبال ان تيسر الاجتماع به ولم يترتب زيادة
الفتنة بسببه والا فالاولى ان يكون استحلاله اجمالا وتلويحًا لا تفصيلا
وتصريحًا والاستغفار لصاحبها اي ان لم يتيسر الوصول اليه بان لم يكن
موجودًا بان كان ميتًا او مفقودًا وكذا اذا اغتاب لاحد وما وصل اليه فيفيد حينئذ
الاستغفار والترحم عليه بشرط الندم على ما صدر لديه ثم معرفة النفس
اي مما لها وعليها من الامور العادات والعبادات في مقامات البدايات والنهايات
وتاديبها بالرياضات اي بانواع من المخالفات قتلها بسيوف المعارضات
ولها صفتان اي للنفس حالتان لازمتان منهما الانهماك في الشهوات
واشار الى الثانية بقوله والامتناع عن الطاعات اي عن قبول اكتساب المامورات
واجتناب المنهيات فيروضها بالمجاهدات فان المعالجة باضدادها من الحالات
وهي اي المجاهدات فطم النفس عن مالوفاتها اي قطعها عما الف بها وتعلق
بحبها من لهواتها واشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله شعر والنفس
كالطفل ان تهمله شب • على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم • وحملها على
خلاف اهويتها اي فانه انفع ادويتها لمرضها وبليتها ومعالجتها ومنعها
من الشهوات اي بالكلية وياخذها بالمكابدات اي المشقات في طرق العبادات
وتجرع المرارات اي في القضايا الدينية والاخروية وبكثرة الاوراد اي لزاد
المعاد فان من لا ورد له لا ورد له واستدامة الصوم فانه انفع رياضات القوم
والنوافل من الصلوات تكثير لرفع الدرجات وتحصيل الصلات في مقام القربات.

وقد

وقد ورد لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه
وبصره فبي يسمع وبي يبصر مع الندم على المخالفات اي مع الندامة في جميع الاوقات
والساعات على تقصيره في الطاعات وفي سائر المعاملات فقد ورد حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا وروي الدنيا ساعة فاجعلها طاعة ونقلها عن قبيح
العادات اي الى احسن العبادات فان الارادة ترك العادة وبه يحصل كمال
العبادة ويجهد ان تعوض عن النوم سهرًا فان النوم اخو الموت وبه ينقص العمر
ولم يتدارك الفوت وعن الشبع جوعًا فانه طعام العارفين وبه يرتفع مقام
الواقفين روي جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس وقد ورد اجوعكم في الدنيا
اشبعكم في الاخرى والمراد جوعًا وسطًا جامعًا للسرور وحاويًا للنور لا
مفرطًا مانعًا عن الحضور فقد ورد واذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف
وجرعة من ماء القراح وقل على الدنيا واهلها مني الدمار رواه البيهقي وابن عدي
عن ابي هريرة وقد استعاذ عليه السلام من شدة الجوع بقوله اعوذ بك من الجوع
فانه بئس الضجيع وذلك لانه يمنع القلب عن الذكر والفكر والحضور اللازم بسبب
ورود الالم ولذا قيل قرب مخمصة شر من التخم وعن الرفاهية اي التنعم في
اللبس وغيره بؤسًا اي شدة فقر وفاقة وقطع تعلق عن الخلق ياسًا فيكون
حينئذ اي اذا كان موصوفًا بهذه الاوصاف المذكورة والنعوت المسطورة من
جملة التائبين المخصصين بمحبة الله لانه غيرة بمحبة من سواه قال الله تعالى ان
الله يحب التوابين اي عن الذنوب ويحب المتطهرين من العيوب او يحب التوابين
باطنا ويحب المتطهرين ظاهرًا او يشير اليه حديث الوضوء على الوضوء نور على
نور وفي تقديم التوبة على الطهارة ايماء بان الاهتمام باحوال القلب اهم من
اعمال القالب كما يشير اليه قوله عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم و
لكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله
اي محبوبه ومراده ومطلوبه وذلك لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له رواه

ابن ماجه عن ابن مسعود وزاد القشيرى فى رسالته وابن النجار عن انس واذا
احب الله عبدا لم يضره ذنب لانه اما يعصمه ويحفظه من الوقوع فى المعصية واما
يوفقه للتدارك بالتوبة واما يغفر له ما عدا الشرك فانه تحت المشية فيغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ويكون اى حينئذ
ايضا من الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات حيث قال تعالى الا من امن وعمل
صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحوا بالتوبة سوابق معصيتهم
ويثبت مكانها لواحق طاعتهم او يبدل فى نفوسهم ملكة المعارضة والمخالفة بملكة
الموافقة والمؤالفة او بان يثبت له بدل كل عقاب نزل ثواب فيمحوا من ديوانهم
الزلات والسيئات ويكتب بدلها الخيرات والحسنات ويؤيده قوله روى
ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليتمنين اقوام انهم
اكثروا من السيئات قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات
رواه الحاكم فى مستدركه ويكون اى حينئذ ايضا من جملة المختصين بدعوة حملة
العرش يعنى الملائكة المقربين لقوله عز وجل حكاية عن دعائهم بعد تقديم
ثنائهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الى قوله وذلك هو الفوز العظيم
وتمام الاية الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
للذين امنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من
ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق
السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم فلقد عظمت اقدارهم
اى اقدار التائبين ومقدارهم اذ جعلت حملة عرشه واعين لهم اى بالرحمة وسائلين
لهم فى المغفرة لمثل هذا اى المقام العالى فليعمل العاملون اى فى الحالات الاسافل
والاعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون اى ليرغب الراغبون بتوفيق الملك
المتعالى والتوبة فرض على جميع المؤمنين اى ولو كانوا فى مقام التائبين الموصوفين

لقوله

لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون اى لعلكم تفلحون وانما عم الخطاب
لانه لا يخلو احد من التقصير فى هذا الباب فمنهم من يجب عليه التوبة من المعصية
الى الطاعة ومنهم من يجب عليه الانابة من الغفلة الى الحضرة ومنهم من يجب عليه الاوبة
من خطور الغير فى حضور العين حتى رفع حجاب نفسه من البين شعر ولذا قيل
وجودك ذنب لا يقاس به ذنب فيصل الى مقام الفناء ومرام اللقاء ولان رؤية
التوبة والاعجاب بها يحتاج الى التوبة فى اذهابها ولذا قالت رابعة العدوية
استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
اى العاصون اما الكافرون واما الفاجرون واما الغافلون وظاهره يشمل وجوب
التوبة للانبياء مع تحقق العصمة اذ جوز منهم وقوع الزلة على سبيل الندرة
كما يشير اليه قوله تعالى كلا لما يقض ما امره اى لم يقض الانسان حق امره سبحانه
الا ان حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا توجيه مغفرة الانبياء والمرسلين
وقد ورد انى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة وفى رواية مائة مرة وفى
الحديث كلكم خطاؤن وخير الخطائين التوابين وقال بعض المشايخ غفلتك توابون
عن التوبة لذنب ارتكبته اشر من ارتكابه لان الانسان مشتق من النسيان
ولم يعصم من العصيان فلا بد له من ان يقع فى الذنب الا انه يجب عليه الرجوع
الى الرب اذ هو مغلوب فى العمل الاول حسب ما قدر له فى الازل ومطلوب منه
الرجوع لتحقيق الامل الى اخر الاجل وقد ورد لو تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون
فيغفر لهم رواه احمد وذلك لان القابلية الجامعة للطاعة الناشئة من تجلى
نعت الجمال والحالة اللامعة للمعصية البادية من تجلى وصف الجلال من خواص
افراد الانسان على وجه الكمال كما يشير اليه قوله سبحانه انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وتوضيحه ان الملائكة من مظاهر الجمال وقد

خلقوا من النور فلا يتصور منهم غير الطاعة والحضور والشياطين من مظاهر
الجلال وقد خلقوا من النار فيتعين لهم ان يكونوا من الكفار ولا يمكن ان يقع
منهم عمل الابرار وهذا وجه ابتلاء الانبياء والاصفياء ببعض الزلات في هذه
الدار المستلزمة لان لا يكون خالية من الاكدار ومن اخرته المنية قبل التوبة
اي من قطعة الموت عن تدارك الفوت فامره الى الله اي في غير الشرك بالله لقوله
سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهذه الاية
من المحكمات وقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا من جملة المتشابهات واما
قوله الوارد في التنزيل وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع كفرهم و
جهلهم وفسقهم فلا بد من التأويل بان يقال المراد في الدنيا لانه رحمته فيها يتعلق
بالخلق عامة وفي الاخرة بالمؤمنين خاصة ودفتها باق ما لم تبلغ الروح الحلقوم
لحديث ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر رواه احمد وغيره وذلك لانه يشاهد
حينئذ بعض احوال العقبى فيحصل له اليأس من الحيوة في الدنيا والمطلوب من العبد
ان يكون توبته غيبته لا عيانيه وهذا معنى قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما رأوا بأسنا وقوله سبحانه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم
يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان
ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما او يات اي او لم يات
وقت غلق باب التوبة اي لقوله سبحانه يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وهذه الاية من المشكلات
واوضحتها في رسالة سميتها البينات وحاصلها ان المراد ببعض الايات طلوع
الشمس من مغربها كما جاءت الاحاديث المصرحة بها ثم اي بعد تحقق التوبة
والثبات عليها في باله يلازم الورع في جميع احواله اي من ماكوله ومشروبه و
ملبوسه وعلمه وعمله وجمع ماله وسائر اماله الى انقضاء اجاله ويعلم ان

البينات في فضائل بعض الايات

الله

الله سبحانه يحاسبه على الاستقصاء اي استيفاء الاشياء الا ان بعضهم
يحاسب حسابا يسيرا وبعضهم يناقش كثيرا حتى يصير الامر عليه عسيرا فقد
ورد من نوقش في الحساب عذب واما غيره فعرض عليه عمله وهذب قال
الله تعالى اي في بيان الاستقصا وان كان اي الفعل مثقال حبة من خردل وهو اصغر
بذرة اتينا بها اي احضرناها صورة او معنى وجازينا صاحبها بها وكفى بنا حاسبين
اي محيطين بجزئيات الاعمال وكلياتها وظواهر الاحوال ومطوياتها وهذه الاية
موجزة مجملة واية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره مفصلة وكل واحدة في بابها مكملة مجملة فاذا صح له مقام التوبة والورع
اي بترك المحرمات والعفة عن الشبهات والشهوات وشرع في مقام الزهد
اي بعدم الالتفات الى اللذات والشهوات ولو من المباحات فقد آن له اي جاز
وحان وصلح لبس المرقعة اي الدال على انه تجاوز تلك المقامات واتصف بسني
الحالات في العبادات والمعاملات وان رغب فيها اي ان مال في لبسها بشرط
عدم ارادة لبسها فليراع ما يلزمه في لبسها اي من فناء صاحبها عن حظ نفسه
بها وعدم قصد الرياء والسمعة في كسبها لئلا يصير اي في هذا اللباس عند الناس
هجينا اي معيبا مهينا بان يكون ظاهره مخالفا لباطنه او يخرج اي عن الطريق
بدون الرفيق بهرجا اي زيفا مردودا في مقام التحقيق وقد وهنت هذه القاعدة
اي ضعفت رعاية قاعدة لبس الخرقة وارتفع التمييز اي بين ارباب الخرقة واصحاب
المرقعة حتى يشتبه على العامة احوال هذه الفرقة واختل النظام اي اختل نظام
احكام الاسلام حيث يدعي كل احد من الانام انه من المشايخ العظام لاسيما
من يكون له نسب اولياء الكرام فيكتفي من الاحوال الفخام بمجرد الاطعام للعوام
سواء كان من الحلال والحرام ولذا قال بعض الكبراء الاعلام من ادعى المشيخة فهو اما
افضل اهل الدين واما اجهل الملحدين واليه اشار الشيخ بقوله ووقع الرضا من
جنبة الاتباع اي جوانب التلوين بالارفاق اي بجميع الارزاق على وجه الاتساع

ومن جنبة المتبوعين بالاتباع اى بكثرة الاتباع فى مقام الاتباع ومن ذلك
ينتشر الفساد اى فى البلاد ويظهر العناد اى فيما بين العباد فلابس المرقعة يجب
ان يكون قد اوب نفسه بالاداب اى من شروط العبادات واركان المعاملات
وتحسين الاخلاق فى المجاملات وراضها بالمجاهدات والمكابدات اى المشقات
وتحمل المشاق وتجرع المرارات اى فى مخالفة النفس عن تتبع الشهوات واللهوات
وقد جاوز المقامات اى وترقى عن الحالات وتادب بالمشايخ الذين يصلحون
للاقتدا اى بان يكونوا من العلماء بالكتاب والسنة واقوال الفقهاء وصحب
رجال الصدق اى الذين لهم قدم صدق عند ربهم ومن الثابتين على دين
الحق كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وعرف احكام الدين وحدوده اى فيما يتعلق
بالعقائد الدينية واصول المذهب وفروعه اى من الاحكام الشرعية ومن لم يكن
بهذه الصفة اى بصفة ارباب الصفة واصحاب السعادة فحرام عليه التصدى
اى التصدر والتعرض للمشيخة او الارادة اى بل وللارادة التى هى من اول
مقامات طلبة الزيادة وقيل من لم يتادب برؤية عيوب احواله ورعونات
نفسه اى فى اقواله وافعاله والعمل فى ازالتها بجده اى بكده وجده لم يجز
الاقتداء به وهذا متوقف على معرفة العبادات وتمييز الاخلاق السنية
من الاحوال الردية ومن هنا قال سيد الطائفة من لم يحفظ القران ولم يكتب
الحديث فلا يصلح للاقتداء معنى لانه يتوقف عليهما بيان الاهتداء فى الابتدا
والانتها وليس يوجد احد من الاولياء يستغنى عن متابعة الانبياء واعلم ان
ما اشتهر بين بعض الصوفية من اعطاء الخرقة لبعض المريدين وكذا تلقين الذكر
للمبتدين فليس له اصل صحيح ولا نقل صريح وكذا ما يذكر من وصية الخرقة النبوية
لاويس القرنى وتلقين على للحسن البصرى لا يصح اصلا بل ولا اجتمع الحسن مع
على وانما يرويه عنه مرسلا فالمدار على متابعة النبى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا

مطلب بيان الخرقة النبى صلى الله عليه وسلم

وعملا

وعملا ثم اى بعد ذلك ياخذ نفسه بالمحاسبة حتى نفسه بالمراقبة فقد ورد
ليس يتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وتفصيل
المحاسبة يتوقف على تحقيق المراقبة بان يراقب الله فى جميع ساعاته وانفاس
اوقاته بارتكاب الطاعات واجتناب السيئات وبهذا يرتفع الدرجات فى المقامات
وتفقد زيادتهما من نقصانهما اى وملاحظة ربحهما من خسرانهما كما قال الشيخ
ابو الفتح البستى شعر زيادة المرء فى دنياه نقصان ٭ وربحه غير محض الخير
خسران ٭ وقال بعضهم من لم يكن فى الزيادة فهو فى النقصان ٭ اذا لم يوجد التوقف
فى طور الانسان فاما ان يميل الى عليين بالنسبة الى ملائكة المقربين واما ان
ينقلب الى اسفل سافلين ومصاحبة الشياطين وما لهما وعليهما اى تامل
ما لهما من المبادر وما عليهما من المضار او ما لهما من الثواب وما عليهما من العقاب
ويعرض حاله على شيخه فيما يعرض له وعليه فى كل وقت اى من ليل او نهار اذ لو
صح عنده دليل فان راى الطبيب عليل فقد قيل ليس باللبيب اى العاقل الصادق
من لم يصف ما به الى الطبيب اى الحكيم الحاذق سواء يكون من الامراض الظاهرة
او من العيوب الباطنة الساترة حكى عن الشيخ ابى محمد بن سلمة وهو احد الاجلة
المكرمة المسلمة انه قال كل مريد لا يصبح له فى كل يوم كذا وكذا مسالة اى عددا
كثيرا من السؤال فى مقام التحقيق فانه لا يسلك الطريق اى لانه حينئذ محروم
من التوفيق وقد ورد كل يوم لا ازداد فيه علما لا بورك لى فيه ويشير اليه قوله
تعالى وقل رب زدنى علما ومن دعائه عليه السلام رب زدنى علما ولا تزغ
قلبى بعد اذ هديتنى وحكى ان جماعة من المريدين حضروا عند الشبلى فوجدهم
غفلة بالحركة اى غافلين عن امر الدين لم يذكروا مسئلة بالنقل اى مسالة من مسائل
اليقين فانكر عليهم فى جنانه ثم انشد اى مناسبا لشانه حسب ما جرى على لسانه
كفى حزنا بالواله الصب ان يرى منازل من يهوى معطلة فقرا الحزن بفتحتين
لغة فى الحزن بضم فسكون وقرئ بهما فى السبعة قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا

والواله المتحير والصب العاشق ويهوى بفتح الواو يحب وقفرا اى ذات
قفر يعنى امكنه خالية والمعنى كفى المتحير فى اودية المحبة والعاشق فى ميدان
المودة من جهة الحزن والحسرة ان يرى مراحل الطائرين المحبوبين ومنازل السائرين
المطلوبين معطلة من اثارهم وخالية عن انوارهم ثم اى بعد ذلك يطالب نفسه
بمنازل المقامات اى المذكورة فى تحقيق الحالات على ترتيبها اى وفق تهذيبها
فلا ينتقل من مقام اى ادنى الى مقام اى اعلى الا بعد تصحيح ادابه اى فى ذلك
المقام ولا يشتغل بالزهد الا بعد الفراغ من الورع وما اشبه ذلك اى فلا
يشتغل بالورع التام الا بعد التوبة من الحرام وهكذا فى سائر الاحكام بحيث
يرتفع ظواهر الذنوب الى ان يصير المعاملة الى القلوب والحاصل انه لا بد اولا
من مراعات الشريعة ليصح له الدخول فى مكاسب ابواب الطريقة الموصله
الى مواهب الحقيقة ومن اراد تفصيل مقامات السالكين فعليه بكتاب منازل
السائرين لشيخ الاسلام نديم البارى عبد الله الانصارى وقال بعض ارباب
الفضائل للك منازل فى القلوب منازل وقال بعضهم اى من المحققين فى امر
الدين العمل بحركات القلوب اى وبازاله ما فيها من العيوب اشرف من الحركات
بالجوارح اى بارتكاب الطاعات واجتناب الذنوب لحديث ان الله لا ينظر الى
صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم وقد ورد تفكر ساعة خير من عبادة
سنة وقال النبى صلى الله عليه وسلم لو وزن ايمان ابى بكر اى بعد ايمان الانبياء
وملائكة السماء بايمان اهل الارض اى من جميع العلماء والاولياء لرجح اى لغلب
فى ميزان الاصطفاء وذلك اما لقوة ايمانه وغلبة اثباته بالنسبة الى غيره من افراده
او لانه لما سبق غيره فى تحقيق التصديق فله شركه فى ثواب ايمان من تبعه من
اهل التوفيق والحديث اخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث ابن عمر مرفوعا ورواه
اسحق بن راهويه والبيهقى فى الشعب بسند صحيح عن عمر موقوفا وفى هذا دليل
على افضلية الصديق كما عليه اهل التحقيق وقال ايضا صلى الله عليه وسلم

مافاق

مافاق ابو بكر اى على اهل الافاق بكثرة الصيام والصلوة وكذا بكثرة الانفاق
بالانفاق ولكن اى فاق اقرانه وغلب اخوانه بشئ كان فى قلبه اى من زيادة
معرفة ربه وشدة حبه والحديث ذكره الغزالى بلفظ ما فضل ابو بكر الناس
بكثرة صلوة ولا بكثرة صوم ولكن بشئ وقر فى قلبه اى سكن فيه وثبت
واستقر وقال العراقى فى تخريج الاحيا لم اجده مرفوعا وهو عند الحكيم الترمذى
فى النوادر من قول بكر بن عبد الله المزنى ولهذا اى لما ذكرنا من الحديثين ظهر
من حاله بعد وفاة صلى الله عليه وسلم اى من قوة باله ما لم يظهر من حال
غيره اى حيث اضطرب احوال الصحابة واله فى امره عليه السلام من جهة
انتقاله فان بعضهم اقعد فى مكانه وبعضهم اسكت فى لسانه وبعضهم
قال ما قال مات محمد ضربته بالسيف تعظيما لشانه الى ان جاء الصديق
واخبر بموته على التحقيق وبكى وابكى من لاقاه قائلا وانبياه واصفياه ثم
قبل جبهته وقال طبت حيا وميتا ثم قرأ انك ميت وانهم ميتون ثم اظهر
هذا الامر للعوام حتى صعد المنبر اى منبر النبى عليه السلام فحمد الله اى على
ما اسدى اليه واثنى عليه بما حقق لديه ثم قال اى موحدا من كان منكم يعبد
محمدا اى فرضا وتقديرا فان محمدا قد مات اى تحقيقا وتقريرا ومن المعلوم
ان الميت حالا ومآلا لا يصلح ان يعبد الها ومن كان يعبد رب محمد اى بان
كان من اهل التحقيق والتأبيد لا من الواقف فى مقام التقليد فان رب محمد حى
لا يموت اى والحى الذى لا يموت هو المستحق ان يعبد كما قال تعالى وتوكل على
الحى الذى لا يموت فان الذى يموت عبادته تضيع وتفوت ثم قرأ وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن
ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين فتنبه الصحابة
بسماع هذه الايات على لسانه كانهم ما عرفوا نزولها فى حق موته عليه السلام
وانتقال شانه وافاد الاستاد ابو القاسم القشيرى فى تفسيره حال بيانه

لما توفى المصطفى صلى الله عليه وسلم سقمت البصائر فى التحقيق الا بصيرة
الصديق فايده الله بقوة السكينة والرعاية وافرغ عليه قوة التولى فى مرتبة
الولاية فقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات فصار الكل مقهورين
تحت سلطان قالته لما انبسط عليهم من نور حالته كالشمس بطلوعها
تندرج انوار الكواكب فى شعاعها وقاتل اى ابو بكر بعد ذلك المقام اهل الردة
حتى حفظ الاسلام اى بجميع الاحكام على وجه الاحكام وقال بعض المشايخ اى
من اولياء الكرام اذا صارت المعاملات اى من الاخلاق والحالات منقلبة الى
القلوب اى التى محل الاسرار ومنزل الارواح استراحت الجوارح اى الاعضاء
من التعب والنصب فى الاشباح والحاصل ان المريد فى الابتداء تغلب عليه اعمال
الظواهر وفى الانتهاء ينقلب الى غلبة احوال الضمائر والسرائر لا انه ترك العبادات
الظاهرية بالكلية كما هو طريقة الملاحدة وبعض الوجودية فحينئذ اى حين
وصوله الى عمارة القلوب بعد حصول خروجه عن ظواهر الذنوب والعيوب
يشتغل بعمارة الباطن اى مع مراعات عمارة الظاهر حسب ما يجب عليه دون
الزيادة من النوافل المرتبة لديه ومباشرة الاحوال اى مع تحسين الافعال
وتزيين الاقوال ومراعات الاسرار اى مع محافظة الاخبار وعد الانفاس
اى فى مقام الاستيناس بذكر الله والغفلة عن الناس كما قيل عبادة الفقير
نفى الخواطر اى المانعة عن ذكر الملك القادر كما قال العارف الفايض ابن الفارض
شعر ولو خطرت لى فى سواك ارادة ٭ على خاطرى سهوا حكمت بردتى
اى بارتدادى وابعادى عن علو مقام ودادى واسعادى واصفادى
وليحذر اى المريد كل الحذر اى عما فيه من عظيم الخطر ان لا تفسد بدايته اى
المبنى عليه نهايته بقول المثنين اى بالثناء عليه فى علمه او عمله او زهده او ورعه
ومدح المادحين اى بكرمات او مقاماته او حالاته ولا بتقبيل يديه ولا هو
بالقيام اليه والاجتماع لديه بل يرجع الى ما يعرف من نفسه اى من اعمال يومه

وامسه

وامسه كما قيل ليس سماع الالفاظ كمشاهدة الالحاظ وهو معنى ما ورد ليس
الخبر كالمعاينة ونعوذ نفسه صيام النهار اى ان لم يمنعه عن مداومة الاذكار
وقيام الليل اى اكثره خصوصا اوقات الاسحار وخدمة الاخوان اى من الخلان
الابرار قال الجنيد كل مريد لا يعود صيام النهار وقيام الليل فكانه تمنى ما لا يصلح له
اى لان الدين ليس بالتمنى وانما هو بالجد والتعنى قال تعالى فى هذا الباب ليس
باما نيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون نقيرا وقد ورد الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله رواه احمد ثم يراعى اى المريد اوقاته
اى انفاسه وساعاته بضرب من الخير اى بنوع من عباداته وطاعاته فان الوقت
اى من الاوقات اذا فات لا يدرك اى لا يتدارك الى الممات وذلك لان
الواجب فى كل وقت ان يقوم بحقه نعم قد يقدم الاهم مما فات عن محله ومن هنا
قيل الوقت سيف قاطع والصوفى ان الوقت ومن لم يحفظ الوقت ادركه
المقت ونعم ما قيل ما مضى فات والمؤمل غيب ذلك الساعة التى انت فيهما
ومن هنا قيل وفيك بين النفسين نفس مضى ونفس لقى فالماضى قد فات والمستقبل
يحتمل انه آت فليس لك الا الحال من بين ساعات من الاوقات روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال ينبغى للعاقل ان لا يكون ظاعنا اى مرتحلا مترددا
وفى نسخة شاخصا اى قائما مجتهدا الا فى ثلاث اى ثلاث خصال لا يتعدى
عنها ابدا مرمة لمعاش اى دنيوى ضرورى او تزود لمعاد اى من امر دينى
واخروى او لذة فى غير محرم اى بان صدر عن اذن شرعى والحديث لا اعرفه
لكن فى شمائل الترمذى برواية الحسن بن على انه كان اذا اوى الى منزله جزا دخوله
ثلاثة اجزاء جزءا لاهله وجزءا لنفسه وتفصيله فى شرحه وقال على بن ابى طالب
رضى الله عنه ينبغى للمؤمن اى الكامل المؤمن ان يكون له من النهار اربع ساعات

اى اوقات مصروفة فى طاعات ساعة يناجى فيه ربه اى بالصلوة والتلاوة والاذكار
والادعية ونحوها والا بسبب ان يكون تلك الساعة اول النهار وساعة يحاسب
فيها نفسه اى فيما لها وعليها من اكتساب اوامرها واجتناب زواجرها ليتدارك
ما فاته بالقضاء او الاداء او بالتوبة والاستغفار فى ما وقع له من الاوزار والاولى
ان يكون تلك الساعة اخر النهار وساعة ياتى فيها العلماء يبصرونه بامر الله
اى حال كونهم يعرفونه بما امر الله ونهاه وينصحونه اى فى امر دينه ودنياه ويرجعه
عن متابعة نفسه وهواه ويدلونه على ما فيه موافقة هداه ومرافقة مولاه فى
اخريه وعقباه وهذه الساعة يلائم ان يكون بين الظهر والعصر وساعة يخلى
بين نفسه ولذاتها فيما يحل اى من حالاتها ويجمل اى من اكتساب معانيها
المقوى لزاد معادها وهذه الساعة يليق ان يكون ما بين الاشراق الى الزوال
والله اعلم بحقائق الاحوال حكى عن الجريرى انه قال دخلت على الجنيد وهو مهتم
اى معه هم وغم فقلت له مالك اى ما حالك قال فاتنى شئ من وردى اى
من صلوة او تلاوة فى وقت من اوقاتى فقلت اعده اى بالقضاء فى وقت اخر
من الصباح او المساء فقال كيف وهى اوقات معدودة اى كيف يتصور قضاء
ما فات من الاوراد والاوقات معدودة محصورة وكل يتعين فيه ان يفعل شئ
من امر المعاش او المعاد فما فات فى الاوقات الماضية لا يمكن تداركه فى الساعات
الاتية وقد ورد ان ما فاته صوم يوم من رمضان فلم يقض عنه صوم الدهر
كله وعلى هذا القياس الصلوة ونحوها وقال تعالى داود عليه السلام لم يبكى يا داود
وقد غفرت لك وارضيت خصمك وقبلت توبتك فقال الهى الوقت الذى كان
لى رده الى فقال هيهات يا داود ذاك وقد مضى وفى معناه انشدوا شعر
فخلى سبيل العين بعدك للبكا • فليس لايام الصفاء رجوع • وقال بعض المشايخ
من سبق بخطوة اى فى سير الايمان او فى سلوك الاحسان لا يدرك اى لا يلحقه احد
فى ما بعده من الزمان اذا كان صادقا اى اذا كان السابق صادقا فى ميدان

العرفان ولا يكون واقفا ولا راجعا عن ذلك المكان وتقدير الكلام من سبق بخطوة
على احد من اهل السلوك لم يدركه المسبوق السابق ان كان صادقا فى طلبه والمريد
يجب ان لا يخلو ظاهره من الاوراد اى المتعلقة بزاد المعاد وباطنه من الارادات اى
فى مقام تر فى الحالات والمشاهدات الى ان يرد عليه الواردات اى الحالات الموهوبة
الشاهدات من دار وسرور وحزن وبسط او قبض ومحو وصحو ومن هنا
قيل المجاهدات مواريث المشاهدات فحينئذ يكون مع الواردات اى فى اكثر
الاوقات لا مع الاوراد ولا مع الارادات راى بعض المشايخ سبحة اى ما
يسبح به فى يد المريد اى مريده فقال له ما يعمل بها فقال اعد التسبيحات اى ونحوها
من التحميدات والتهليلات والتكبيرات وسائر الحسنات فقال عليك بعد
السيئات اى فانه اهم عليك فى هذه الاوقات لا التسبيحات اى وانواعها
من العبادات ففى الجملة ارشاد من الشيخ له اى اهم المهمات فلا ينافى ما ورد
من الشارع امرامته بعد الاذكار والدعوات وكذا ما قيل ان السبحة سوط الشيطان
ولقد رؤى فى يد الجنيد سبحة فسئل فقال شئ وصلت به الى الله لا اتركه ما
ابقانى الله وفى رواية قال النهاية هى الرجوع الى البداية وينبغى ان يغتنم خدمة
الاخوان اى من الاكابر والافاضل بل من الاعالى والاسافل ويقدمها على النوافل
كما يدل عليه ما ورد ان بعض الصحابة صاموا فى السفر وضعفوا عن الخدمة
وبعضهم افطروا وقاموا بضرب الخيمة وسقى الماء وانواع المهنة فقال عليه
السلام ذهب المفطرون اليوم بالاجر روى عن عائشة رضى الله عنها انها
قالت ما رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارغا فى اهله اى حال دخوله
فى منزله اما ان يخصف نعلا لمسكين اى عاجز عن اصلاح نعله او يخيط ثوبا
لارملة اى لامراة غريبة فقيرة عاجزة عن خياطة ثوبها استدعاء لثوابها وهذا
يدل على كمال التواضع والمسكنة فى بابها والحديث غير معروف بلفظه نعم ورد
انه عليه السلام كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف

ويقول من رغب عن سنتي فليس مني رواه ابن عساكر عن ابي ايوب بسند
ضعيف وثبت في شمائل الترمذي قيل لعائشة ماذا كان يعمل رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بيته قالت كان بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته
ويخدم نفسه وجاء في رواية ايضا عنها كان يخيط ثوبه ويخصف نعله وفي
رواية احمد ويرقع دلوه حكي عن ابن عمرو الزجاج بتشديد الجيم الاولى انه
قال اقمت عند الجنيد مدة مديدة اي ممدودة طويلة فما رآني قط اي ابدا
في جميع الاوقات الا وانا مشتغل بنوع العبادات اي اللائقة بارباب الارادات
فما كلمني اي في ذلك المقام حتى كان يوما من الايام اي وقتا من الاوقات خلى
الموضع من الجماعات اي المجتمعة في مقام الحالات فقمت اي بنية الخدمة ونزعت
ثوبي بتجريد الهمة وكنست الموضع من القمامة ونظفته زيادة للمبالغة ورششته
تلك الحالة وغسلت موضع الطهارة اي مما فيه من ظاهر النجاسة فرجع الشيخ
اي الى الدار ورأى على اثر الغبار اي غبار الخدمة التي فيها آثار الانوار عند ارباب
الاعتبار فدعاني اليه ورحب بي لديه وقال احسنت اي في الخدمة احسن
الله اليك في المثوبة عليك بها عليك بها عليك بها اي بالخدمة فالزمها و
لا تتركها والتكرير للتأكيد او للاشعار الى المقامات الثلاثة من الابتداء والا وسط
والانتهاء فان الخدمة هي ترقي العبد الى سماء العلاء وقيل الهمة واقول الخدمة
من الهمة اذ لولا الهمة لما وجد الخدمة وقد قيل من خدم خدم وحكي ان الشيخ
عمر جاء الى مصر لبعض مشايخ الدهر وقد اعتقد به لكونه افضل اهل العصر
فيوما من الايام دخل على الشيخ بعض اكابر الانام فاشار الشيخ اليه انه يخرج
ويحفظ بغلة الوارد عليه فخرج واخذ عنان البغلة لديه ثم خطر بباله اني
سافرت من خراسان ولم يحصل لي الا هذه المنزلة عند الشيخ العالي الشان
فبعدما خلى المجلس عن الاغيار اظهر الشيخ صاحب الاسرار فقال يا فلان
تشوش خاطرك من هذه الخدمة على الباب فعن قريب تحتاج الى من يكون لك

سايسا في ضبط الدواب وقد نقل انه حصل له جاه عظيم في بلده بحيث لم يمر
عليه وقت الا وقد وجد فرس او بغلة عند مدخله ويكره للمريد مفارقة استاده
بالدال المعجمة او المهملة اي شيخه ومعلمه قبل انفتاح عين قلبه اي في معرفة ربه
بل عليه اي وجوبا ولزوما ان يصبر تحت امره ونهيه في خدمته اي ليصل الى
نهاية قربه وغاية معرفته وقال بعض المشايخ من لم يتادب باوامر المشايخ
وتاديبهم اي تهذيبهم في الخدمة والصحبة لم يتادب بكتاب وسنة وذلك
لان الشيخ هو المتادب بهما فاذا لم يقبل المريد ولم يقبل على مقام المزيد بكسبهما
على يده فكذا لم ينتفع اذا طالع الكتاب والسنة بنفسه ولان المشايخ العظام
والعلماء الكرام داخلون تحت قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم بل هم الاولى من امراء الانام وقيل علامة المريد اي الصادق السمع
والطاعة للدليل اي الموافق وترك التبصر عند الطبيب اي الحاذق وفيه اشارة
الى ان راي العليل عليل وانه لا يمكن ان يعمل بكتب الطب ولا بما عنده من علم
قليل فلا بد من تسليم نفسه الى قول طبيب حبيب ليتخلص من سقم الارادة والم
الطبيعة ويصح قدمه في سير الشريعة كما يشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله فباب محبة الله سبحانه مغلوق على الانام الا من طريق متابعته
عليه السلام وبقدر المتابعة يتم له صحة المحبة وقال بعض المشايخ اذا رايت المريد اي
المبتدي قائما مع الشهوات اي ولبس محتميا عما يضره من الشهوات طالبا لحظوظ النفس
اي في المشتهيات فاعلم انه كذاب اي وانه لا يفتح له باب واذا رايت المتوسط
من المريدين غافلا عن حفظ قلبه اي وضبط باله ومراعاة احواله اي في افعاله
واقواله فاعلم انه كذاب اي في دعوى وصوله الى الباب واذا رايت من يشير الى
المعرفة اي ويدعي انه المنتهي ويميز بين المدح والذم اي ويتغير بمدح الخلق فيفرح
به ويذمهم فيحزن بسببه والقبول والرد اي ويفرق بين قبول الانام مشيخته
وردهم ولايته وكذا بين العطا والمنع اذ كان يدعي مقام الجمع فاعلم انه كذاب في دعواه

لان المدار على مدح الله وذمه وقبوله ورده وعطائه ومنعه فيجب ان
يكون نظر الشيخ محصورا الى رضا ربه وقبول ورده بل ينبغى ان يكون حاله
فى وقت ذم الخلق وردهم اعلى من وقت مدحهم وقبولهم كما هو طريق الملامتية
من اكابر الصوفيه فان التشنيع بالخلق اهون من التعليق بالخلق وانما الانبياء
مأمورون بتبليغ الانباء ومبتلون بانواع الابتلاء وكذا اتباعهم من العلماء والاولياء
ولذا قيل ولاية النبى افضل من رسالته لان الاولى يورث التجرد للحضور مع المولى
وهو مرتبة الجمع والثانية يتوهم فيه التفرقة بحسب اصل الطبع وقال الجنيد
لولا العلامات عند اهل التحقيق لادعى كل احد سلوك الطريق اى وصوله
الى مقام التحقيق ونظيره قوله عليه السلام لو يعطى الناس بدعويهم لادعى
ناس دماء رجال واموالهم ولكن البينه على المدعى عليه حديث متفق عليه
قال الله تعالى اى فى شان المنافقين المتشابهين للمرائين مراعين فلعرفتهم
بسيماهم اى ولو نشاء لاريناكهم اى عرفناكهم فلتعرفنهم بسيماهم اى
بعلامة دالة على ما هم من الفعل ولتعرفنهم فى لحن القول وفى الحديث اتقوا
فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله يعنى ويفرق بين الحق والباطل والعالم
والجاهل والعارف والغافل كما يفرق كل احد بين المجنون والعاقل ومن هذا
المبنى قولهم ما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى ويجب ان يعلم اى المريد
انه لا يصح له مقام اى فى وقت التمكين ولا حال اى فى زمان التلوين ولا عبادة
اى عند الخواص واهل اليقين الا بالاخلاص لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين وهو اى الاخلاص فى العباده تصفيتها عن رؤية الخلق
اى تخليتها عن السمعة والرياء وتحليتها بتصحيح النية ان يكون محض رضا صاحب
الكبرياء فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله اى فى الحديث القدسى
والكلام الانسى انا اغنى الشركاء عن الشرك اى عن شرك مشارك لى فى عبادة
وغيرها من الاشياء وذلك لقوله تعالى والله الغنى وانتم الفقراء وقوله والله

غنى

غنىّ على العالمين اى عن وجودهم وتجلهم وجودهم وركوعهم وسجودهم
وحضورهم وشهودهم وما لهم من البقاء والفناء من عمل لى عملا اشرك
فيه معى غيرى فانا برئ منه ومن عمله رواه مسلم وابن ماجه عن ابى هريرة
ولفظ قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه
معى غيرى تركته وشركه ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والحاصل ان الشرك الخفى
المقارب للشرك الجلى وقال بعضهم كل حق شارك الباطل اى خالطه فى
مقامه العاطل فقد خرج من قسمة الحق الى قسمة الباطل فان الحق غيور
اى لم يرض بالباطل الذى هو مشاركة الغير ومن هنا قيل من عمل عملا سرا
خالصا فذكره من غير تصحيح النية نقل الى صحيفة الباطنة الى صحيفة العلانية
وان ذكره ثانيا نقل من صحيفة الرياء والسمعة وقد قال الفضيل بن عياض
العمل لغير الله شرك وتركه لغير الله رياء والاخلاص ان يخلصك الله
بهما والحاصل ان الاخلاص مقام عزيز لاهل الاختصاص من الخواص وقد
قيل اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل فلا باس بان يظهر من
احواله وعباداته اى لاصحابه وارباب اراداته من غير قصد له فى اظهاره
اى سوى تذكاره فى اثناء حكاياته ورواياته وكذا لا باس بان يظهر بعض
حالاته وارداته تحدثا بنعمة الله وجميل صفاته او ليعمل بها بعض السالكين
فى سير مقاماته ولا يصح له اى للمريد الاخلاص اى اخلاص عبادته للخالق
الا بمعرفة مقادير الخلق اى فى جنب مقدار الحق وضعفهم وقلة نفعهم و
ضرهم اى بل وكثرة شرهم وقلة خيرهم وانهم لا يملكون لانفسهم ضرا
ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا وقد ورد لا يكمل ايمان عبد حتى
يعد الخلق كالاباعر اى بجنب مشاهدته للحق القاهر القادر كما وصفه الخليل
عليه السلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا وفيه اشارة

الى ان المخلوقات باسرها لا يغني عنك شيئا لا ينفعها ولا يضرها فانه سبحانه
في الحقيقة هو الضار والنافع والمعطي والمانع وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا يجد احدكم حلاوة الايمان اي لذته على وجه الايقان حتى يعلم
ان ما اصابه اي من الخير والشر والنفع والضر لم يكن ليخطئه اي لم يتصور ان
يتجاوزه وما اخطاه لم يكن ليصيبه لقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها اي نخلقها وقد ورد جف القلم بما
هو كائن الى يوم القيمة والحديث الذي ذكره الشيخ قد ورد في مسند احمد
انه عليه السلام قال لكل شئ حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم
ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وفي خبر اخر فان استطعت
ان تعمل لله بالرضا في حق اليقين فافعل وان لم تستطع فان في الصبر على ما يكره
خيرا كثيرا وقال عليه السلام ان من ضعف اليقين ان ترضي الناس بسخط الله
اي مع ان الله سبحانه يقول والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين
وان تحمدهم على رزق الله اي الواصل اليك على يديهم وتنسى ربك الذي
خلقهم واوصل رزقك اليهم بمنة الله عليهم وتوفيقه لديهم وكان الواجب
عليك ان تحمد ربك اولا ثم تحمدهم ثانيا لانهم واسطة النعمة ورابطة المنة
كما يشير اليه قوله عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله على ما رواه احمد
في مسنده عن ابي سعيد وان تذمهم على ما لم يؤتك الله اي من جهتهم فهذا
من نقصان يقينك حيث ترى العطاء والمنع من صنعتهم وعدم علمك بانه
لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ان رزق الله اي قدر مقدر ورام مقرر لا
يجره حرص حريص اي لا يزيده حب محب ولا يرده كراهية كاره رواه ابو نعيم في الحلية
والبيهقي في شعب الايمان عن ابي سعيد بزيادة وان الله بحكمته وجلاله جعل
الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط قال
الله تعالى وان يمسسك الله بضر اي فرض وعرض فلا كاشف له الا هو اي

لا دافع ولا رافع الا هو وان يردك بخير اي بصحة ونعمة فلا راد لفضله اي
فلا مانع له احد من فعله وتمام الاية يصيب به من يشاء من عباده اي على وفق
قضائه ومرامه **فصل ويجتهد في مراعاة نفسه** اي ومراقبتها في حال يومه وامسه
ومعرفة اخلاقها اي الحميدة والذميمة التي في جبلتها فانها الامارة بالسوء اي في غالب
احوالها كما قال تعالى حكاية ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي فانها
حينئذ يكون مطمئنة بذكر الله راضية بما قضاه مرضية عند الله لا يغفل
عنها اي ينبغي للمريد ان لا يغفل عن سيئاتها ومحاملها في رياضتها حتى في
طاعتها وان تناهى في المعرفة اي وان بلغ السالك نهاية المسالك في معرفة
الله او في معرفة نفسه فان لها وساوس وهو احسن قد يخفى على العارف
بخبرها وخيرها كما لا يخفى على من ابتلى بشرها فان النبي صلى الله عليه وسلم
كان مراعيا لها اي في اختلاف احوالها ويستعيذ بالله من شرها اي من شر
ما صدر عنها من اقوالها وافعالها ويقول اعوذ بك من شر نفسي ونعوذ
بالله من شرور انفسنا وكان علي بن ابي طالب يقول تعليما لكل سالك
وطالب راغب ما انا ونفسي الا كراعي غنم اي متفرقة في الجوانب كلما ضمها
اي جمعها الراعي من جانب انتشرت تفرقت من جانب اي وكذا النفس تارة
تميل الى جانب الطاعة واخرى تنحرف الى جانب المعصية فلا بد من مراعاتها
في كل ساعة وقال ابو بكر الوراق النفس مرائية على جميع الاحوال اي ولو تعمل
من الصالحات كثير الاعمال لانها لا تخلو عن ملاحظة مخلوق فيما لها من
الافعال والاقوال منافقة في اكثر الاحوال اي حيث لا يستوي احوالها في السر
والعلانية مشركة في بعض الاحوال اي حيث يرى الضر والنفع والعطاء والمنع
من الخلق وكذا الرجاء منهم والخوف عنهم او حيث تدعي الكمال المستلزم للاستغناء
عن ذي الجمال والجلال او في احوال شطحياتها من دعوى الاتحاد وما يوجب
الالحاد لقول انا الحق وسبحاني وليس في جبتي وما صدر من نحو ذلك عن بعض

ويجتهد في مراعاة نفسه

العباد والزهاد الذين طغوا فى البلاد وقال الواسطى النفس صنم بل قيل انها
صنم عبد من دون الله لقوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه والنظر اليها
شرك اى اذا كان على وجه استحسانها وقد قيل فى قوله تعالى لا تقتلوا انفسكم
اى باستحسانكم شيئا منها والنظر فيها اى فى ارتياضها عبادة لا تشتغل
احد عن تفتيش شانها اذ لها مكائد فى ابتداء العبادات والانتهائها مما يطول
تفصيل بيانها وقيل مثلها اى النفس ومكرها فى ابداء الحسن اى اظهارها
لصاحبها واخفاء القبيح اى سترها عن اهلها مثل الجمرة اى جمرة النار فى
ضيائها وضياعها لونها حسن فى نظر الرائى وانها تحرق اى القريب لها
والدانى منها ان عوقبت اى عذبت وادبت قربت التوبة اى فى الصورة وهى
بعيدة عنها فى السريرة لان توبتها توبة الكذابين كالسارق والزانى وسائر
النصابين وتمنت الاوبة اى وودت واحبت الرجعة عن تلك الغفلة والصعر
وان عوفيت اى اهملت وما هذبت ركبت هواها اى اختارت مشتهاها واعرضت
اى عما خلقت لاجلها فى مبدائها ومنتهاها قال الله تعالى اى فى حق اتباعها
حال اختلاف اتباعها واذا انعمنا على الانسان اى بالعافية والنعم الوافية اعرض
اى عن عبادتنا ونا بجانبه اى واستكبر عن انقيادنا ورفع نفسه على عبادنا
واذا مسه الشر اى من المحنة والمصيبة فذو دعاء عريض اى فيلازم حينئذ
بابنا بكثرة الدعاء لدفع البلاء وكذا قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على
حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وكذا قوله
عز وعلا ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا
والحاصل ان صاحب النفس اسير نفسه وهواها فلا يخلص عبادته وطاعته
لله ليكون حاله وفق رضاه فان الواجب على العبد ان يطيع مولاه فى جميع احواله
فلا يعبده لنعمه ولا يتركه لنقمه بل لا يعبده لخوف عقوبته ولا لوصول جنته بل
يعبده لذاته المستحق للعبودية بجميع صفاته وقيل مثل النفس مثل ماء واقف صاف

اى فى راى العين للمقصود وان حركته تبين ما تحته من الحمئة اى الوحل المدفونة
والنتن اى العفونة وكذا النفس يظهر الصفات البهية ويخفى الاحوال الردية ومن
هنا حرب ترى ما جرى وقد ورد اخبر تقله والمعنى اذا اختبرت نفوس اكثر الخلق
تبغضهم فى طريق الحق فان المخلوق من حيث هو لا يخلو عن نقص وعيب وزوال
بل كل كمال ترى فيهم عارية من عناية صاحب جمال وجلال لكنها كلابسى ثوبى
زور ويظهر التزوير والتلبيس فى نظر اهل الغرور واعلم ايها الطالب للمطالب
انها طلبت اى النفس ان تكون ضد الله فى دعواها اى حيث تخالف امر مولاها
وندا لله اى مشاركا له فى مطالباتها كما بينه الشيخ بقوله وذلك ان الله تعالى
طالب عباده بالثناء عليه والمدح له اى لله لا لما سواه فطالبت النفس ذلك
اى المقام بان يطالب ان يحمد ولو لم يفعل شيئا هنالك وطالبهم ان يصفوه
بالسخاء والكرم فطالبت النفس ذلك اى ولو لم تسخ بالدينار والدرهم
وطالبهم ان يكون هو المرغوب اليه اى حال البشارة والمرهوب منه اى فى
النذارة فطالبت النفس ذلك حيث تريد ان يميل الخلق اليها ويخافون لديها
فترجعون فى كل امر اليها وطالبهم ان يكون هو المذكور اى والمشكور فطالبت
النفس ذلك اى تمنت ان الخلق يذكرونها وفى مقام المدح يشكرونها وقيل النفس
اى الامارة اللوامة لطيفة مودعة فى هذا القالب وهى محل الاخلاق المذمومة
اى من الكفر والكفران والكبر والعدوان وسائر العصيان والروح وهى المسماة
بالنفس المطمئنة لطيفة مودعة فى هذا القالب وهى محل الاخلاق المحمودة
اى من الايمان والايقان والعرفان ونعت الاحسان كما ان البصر محل الروية
اى العينية فى مقابلة البصيرة التى هى محل الروية العلمية والاذن محل السمع
اى المفيد لاحكام الشرع الموصل الى مقام جمع الجمع والانف محل الشم وكذا
اللسان محل الذوق وسائر الاعضاء محل اللمس كما حقق فى حواس الخمس والتحقيق
عند اهل التدقيق ان الروح انما هو ما به الحيوة المشترك فيه الحيوانات وحقيقتها

غير معلومة عند الكائنات كما قال تعالى قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من
العلم الا قليلا واما محل الاخلاق بجملتها الشاملة للمحمودة والمذمومة هو القلب
الذي هو سلطان ملك النفس كما ورد به التصريح في الحديث الصحيح ان في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
بل الظاهر المتبادر من الايات والاخبار ان النفس قد يطلق على القلب وبالقلب كما
قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة وقال الا بذكر الله تطمئن القلوب ومن هنا قيل القلب
بيت الرب ويسعني قلب عبدي وقد يراد بالنفس الروح كما فسرها بعضهم في هذه
الاية وكذا في قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الاية وتحقيق هذا المقام يحتاج
الى بسط في الكلام يخرجنا عن اصل المرام وقيل الروح معدن الخير اي روح الاصفياء
والنفس معدن الشر اي نفس الاغبياء والعقل جيش الروح اي عقل العلماء
والهوى اي مخالفة الهوى جيش النفس اي نفس السفهاء وقد قيل ابليس حجاب
بينك وبين مولاك الاهواك ويشير اليه قوله سبحانه افرايت من اتخذ الهه هواه
والتوفيق من الله مدد الروح اي بلمة الملك والخذلان مدد النفس اي بلمة الشيطان
والقلب في وفي نسخة مع اغلب الجيشين يعني والحرب بينهما سجال ويختلف
الغلبة في القتال وهذا الجهاد الاكبر مستمر في جميع الاحوال ولو غفل عن مشاهدة
هذين العسكرين بطر الجهال واعلم ان جميع الامور اي الشرعية ثلاثة اي
ينحصر فيها القضية امر بان رشده اي ظهر صلاحه فيجب اتباعه وامر بان غيه
اي تبين فساده فيجب مجانبته وامر مشتبه اي لم يعلم رشده من غيه فيجب
متاركته اي فينبغي تركه احتياطا في محافظته الى ان تبين الرشد من الغي من جهة العلم
اي الموقوف على صحة النقل اذا كان الامر شرعيا او من العقل اي اذا كان الامر عقليا
ولا يبعد ان يراد بالعلم الكتاب والسنة وبالعقل القياس او اجماع الامة وقد ورد
في الصحيحين الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن
اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي

يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه وفي حديث الترمذي وغيره دع ما يريبك
الى ما لا يريبك وفي مسند احمد وغيره الاثم ما حاك في النفس وتردد في القلب
وان افتاك الناس وافتوك وقيل اذا عرض لك امران اي مبهمان وتشكلت
في خيرهما اي وشرهما فانظر الى ابعدهما من هواك اي ميل نفسك اليهما فانه
اي الابعد خيرهما لان الغالب ان موافقة الامر في مخالفة النفس كما يشير اليه
قوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى
ونعم ما قيل من وضع قدمه على الهوى خير ممن رفع نفسه في الهواء وعلى المريد
اي وجوبا ان يجتهد في تبديل اخلاق النفس اي الذميمة بالحميدة كالغل اي الغش
والخديعة لحديث من غشنا فليس منا وضده اللطف والنصيحة والكبر والحرص
اي على جمع المال وضده القناعة اي عن قبول الحق او التكبر على عموم الخلق وضده الانقياد
للشرع والتواضع في موضع يستحسن الطبع والامل اي رجاء طول الامل المؤدي الى
تسويف العمل وضده عد كل نفس منتهى الاجل وصرفه في تحصيل صالح العمل والحدة
اي الغيظ والغضب على الخلق بدون اذن الحق فلا ينافي في قوله تعالى واغلظ
عليهم وقوله ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله وقد ورد الحدة تعتري خيار امتي
وفي رواية تعتري حملة القران وضدها كظم الغيظ والعفو عن الناس بامر
الشرع لا باختيار الطبع وقد فضيلة الحب في الله والبغض في الله والمراء اي
المجادلة للسمعة والرياء بخلاف المباحثة الصادرة عن العلماء والمنازعة
اي في الامور الدنيوية ومنه قول بعض الصوفية الصوفي لا يخاصم ولا يخاصم
بخلاف الاحوال الدينية والاخروية ولذا قالوا الصوفية بخير ما تنافروا
والغيبة بكسر الغين وهي ان يذكر اخاك في الغيبة بما يكره وضدها ذكر الصالحين
فانه سبب لنزول الرحمة وغيبة الظالم والفاسق المعلن والمبتدع جائزة والتهريش
كذا في الاصل والاظهر التحريش وهو القاء الفتن بين جماعة وسمى هذه الخصلة بالنميمة
وضدها الاصلاح بين الناس والحسد وهو تمني زوال النعمة عن الغير وضده تمني

والكبر والحرص
والامل
والحدة
والمراءة
والمنازعة
والغيبة
والحسد

بقاءها على صاحبها وطلب مثلها لنفسه من ربها كما قال تعالى ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض الى ان قال وسئلوا الله من فضله وهذه تسمى بالغبطة
ومنه ما ورد لا حسد الا في اثنين والرياء وفي معناه السمعة وضدها الاخلاص والرياء
وتصفية النية والتحريش اي بالنميمة والقاء الفتنة وضده الصلح بين الجماعة والتحريش
لقوله تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس وسوء الظن اي بالمحسن قال تعالى ان بعض الظن اثم وقد ورد احترسوا من الناس بسوء الظن وسوء الظن
احترسوا من الناس بسوء الظن وضده حسن الظن بعموم المسلمين الا اذا
ظهر ما يوجب اساءته والوحشة اي النفرة عن الصالحين وضدها الالفة بالعلماء والوحشة
العاملين والمشايخ الكاملين والوقاحة اي قلة الحياء والفحش في البيان وضدها والوقاحة
الحياء فانه من شعب الايمان وغيرها اي غير المذكورات من الاخلاق الذميمة
بضدها متعلق بتبديل اخلاق النفس من الاخلاق الحميدة وتفصيلهما بيان ضدها
في الاحياء علماً وعملاً على وجه الايفاء فصل في ذكر آدابهم في صحبة بعضهم بعضا في ذكر آدابهم في صحبة بعضهم بعضا
اي مع بعضهم دون غيرهم وتفصيل بيان الافضل في العزلة والخلطة
قيل وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده وجليس الخير خير من جلوس
المرء وحده وذلك لان جليس السوء سبب لافادة الشر وجليس الصالح
سبب لزيادة الخير وقد ورد الجلوس مع الفقراء من التواضع وهو من افضل
الجهاد كما رواه الديلمي في مسند الفردوس ثم رايت ما عبر عنه الشيخ بقيل
انه حديث رواه الحاكم والبيهقي عن ابي ذر ولفظه الوحدة خير من جليس السوء
والجليس الصالح خير من الوحدة واملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من املاء
الشر وقال النبي صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله اي مصاحبه ومجالسه
فلينظر احدكم من يخالل اي من العلماء او السفهاء روي عن ابن عباس وهل يفسد
الناس الا الناس وقد يقال وهل يصلح الناس الا الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم
المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا

يصبر على اذاهم وفي كل خير اي وفي كل من المؤمنين خير الا ان الاول خير من
الثاني من المؤمنين وذلك لتحصيل الافادة او الاستفادة النافعة لاصحاب
الارادة والا فلا خير في صحبة ارباب العادة وقد اختلف التابعون فاختار بعضهم
العزلة وبعضهم الخلطة وذلك باختلاف الوقت والنية وعن فضيل كفى بالله
محبا وبالقران مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا
وقال بعضهم كن وسطا وامش جانبا والاول انسب للمبتدئين في العباد والزهاد
والثاني للمنتهين من العلماء النافعين للعباد فقد روي انه عليه السلام
عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه اي لانه عند ربه وقيل التصوف هو الخلق مع
الخلق والصدق مع الحق والحديث رواه احمد في مسنده والبخاري في تاريخه والترمذي
والنسائي عن ابن عمر وقال ايضا صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يالف اي
بالصالحين ولا يولف اي لا يالفه الصلحاء والحديث رواه احمد عن سهل بن سعد
ولفظه المؤمن مالف ولا خير في من لا يالف ولا يالف ورواه الدارقطني في
الافراد والضياء عن جابر بلفظ المؤمن يالف يولف ولا خير فيمن لا يالف
ولا يولف وخير الناس انفعهم للناس وفيه دلالة على ان خيرية الالفة لاجل
المنفعة الدينية والاخروية وحيث لا منفعة فلا خير في الالفة الدنيوية الصورية
وسئل ابو حفص النيسابوري عن احكام الفقر وآداب الفقراء في الصحبة فقال
حفظ حرمات المشايخ اي الكبراء وحسن العشرة مع الاخوان اي مع الذين
هم في العمر سواء والنصيحة للاصاغر اي من الضعفاء وقد ورد من لم يوقر كبيرنا
ولم يرحم صغيرنا فليس منا وترك صحبة من ليس من طبقتهم اي ليس على ملتهم
ولا على مذهبهم في شريعتهم ومشربهم في طريقتهم كما قال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا وملازمة الايثار لقوله تعالى
ويؤثرون على انفسهم في مدح الانصار ومجانبة الادخار على وجه الاكثار اذ
جوز قدر السنة بوجه المعيشة كما ورد في السنة والمعاونة في امر الدين والدنيا

لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولقوله عليه السلام الله فى عون العبد
ماكان العبد فى عون اخيه ومن ادابهم ان يصحب الجنس لان الجنسية علة الضم
فيكون دوام الصحبة معه اتم ومن يستفيد منه خيرا اى علما او عملا ولو لم يكن من
جنسه والله اعلم لقوله تعالى فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فيجب على العبد
ان يكون عالما او متعلما ولا يكون ثالثا قيل اصحب من سيماه سيماء الصلحاء وكلامه
كلام العلماء وعمله عمل الاولياء وقال بعضهم اولى الناس بالصحبة اى بان يصاحبك
وفق مرادك من يوافقك فى اعتقادك اى اصولا وفروعا ويحتشمك فى مجالستك
اى تواضعا وخضوعا ومن هنا قيل لا خير فى صحبة من لا يرى لك الخير مثل ما يرى
لنفسه ويشير اليه حديث لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه
ويكره لاخيه ما يكره لنفسه قال الله تعالى حكاية عن اهل الكتاب ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم اى لا تصدقوا ولا تقروا بحقية دين الاسلام وكونه الصواب
لاحد الا لمن وافق دينكم فى معرض الخطاب ولا يصحب من يخالفه فى مذهبه
وان كان قريبا منه اى فى نسبة نسبه الا ترى ان نوحا عليه السلام لما
قال ان ابنى من اهلى اى ظنا منه انه من المؤمنين كيف اجيب له انه ليس من
اهلك اى اهل صحبتك او اهل فى الحقيقة فانه من الكافرين وليس عمله من اعمال
الصالحين كما يشير اليه قوله انه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم انى
اعظك ان تكون من الجاهلين وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
لما نزل قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون اى يوادون
ويظهرون المحبة من حاد الله ورسوله اى من خالفهما فى الكفر والمعصية
وتمام الاية ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك
كتب فى قلوبهم الايمان قال اللهم لا تجعل لفاجر عندى يدا اى على احسانا
ونعمة فيحبه قلبى اى من غير اختيارى المعتبر فى الشرع بل بحكم ميلان البشرية
بحسب الطبع حيث قالوا الانسان عبيد الاحسان وقد ورد جبلت القلوب

على

على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقد بلغنى عن بعض القضاة
الصالحين انه اتى له شخص برشوة فردها عليه وزجرها لديه ثم قال مع هذا
عند الحكومة خطر بدل نفسى اليه بل يصحب من يثق بدينه اى يعتمد على تصحيح
اعتقاده وامانته اى ودياناته مع الحق وعباده ومذهبه اى فى فروع مشربه
وورعه اى كفه نفسه عن مخالفة امر الله ونهيه فى باطنه وظاهره اى بشواهد
انار تلوح على ضمايره وسرائره ويعرف لكل احد قدره على مرتبته اى رتبته عند الله
وخلقه قال سفيان بن عيينة وهو تابعى جليل من مشايخ الشافعى من جهل اقدار
الرجال اى من لم يعلم مراتبهم فى الاحوال فهو بقدر نفسه اجهل اى حيث لا يميز
بين مقامات اهل الكمال ويشير اليه سبحانه ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من
سفه نفسه وكذا قول بعضهم من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال اى سفيان
لا يستخف اقدار الرجال اى لا يحقرها الا من لا قدر له اذ لو كان له قدر لا عنبرها
بل اعتقد ان نفسه اولى بان صغرها ومن هنا قيل لا يعرف قدر اهل الفضل الا ذووه
ويهدى اى يشير المريد الى صاحبه عيوبه اى بطريق النصيحة لا على سبيل الفضيحة
ويدل على ما فيه صلاح حاله اى فى وقته ومآله فان هذا علامة كماله وآية جماله
قال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن رواه الطبرانى فى الاوسط وغيره
عن انس وزاد ابو داود وغيره والمؤمن اخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه
من ورائه والمعنى ان المؤمن من الكامل بمنزلة المرآة لاخيه المؤمن فاذا راى فيه
عيبا يعلمه به فيما بينه وبينه من غير اطلاع غيره عليه وكذا الاخر يشيره اليه
ويكون ناصحا لديه وقيل بطريق الاشارة معناه ان المؤمن الكامل مظهر
الآله باعتبار صفاته يشير اليه قوله عليه السلام نقلا عن الله لا يزال العبد
يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه وبصره الحديث ولذا
قيل تجلى الحق لعبده على قدر صفاء مرآة قلبه وجلائه عن صداء غيرته وقال
عمر رضى الله عنه رحم الله امرا اهدى الى عيوبى وذلك لان كل احد يستحسن

مطلب من راى فيه عيبا يعلمه

ما يصدر عن نفسه لانه بمنزلة ولده وانما يعرف حقيقة كماله اذا اعترف
اقرانه بتحسين جماله فى جميع احواله وسائر اقواله وافعاله فينبغى للمريد
ان يفرح اذا ذكر احد شيئا من عيوبه ويعالج فى ازالته لا انه يسعى فى حقد
القائل وعداوته كمن راى عقربا فى ثوب انسان واعلمه ليزيله ويتخلص من قرصه
وما يوجب المه ومن ادابهم ان يصحب كل احد على قدر حاله وما يليق به اى من
مقاماته ومراتب حالاته من العلماء فيحفظ لسانه والاولياء فيصون باطنه
وجنانه والامراء فيضبط نفسه عما شانه والسفهاء فيضحم بما يوجب بيانه و
فالصحبة مع المشايخ والكبراء اى من العلماء والسادة بالاحترام والخدمة والتوقير
اى التعظيم على وجه المحبة والقيام باشغالهم اى على قدم صدق المودة والنصيحة
مع الاقران اى من الامثال والاخوان بالبشر اى بشاشة الوجه والانبساط
اى فى اطراف البساط على سبيل النشاط وقد ورد كل معروف صدقة
وان من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك فى اناء اخيك
والموافقة اى الكاملة بدون المخالفة فى حال المرافقة وبذل المعروف والاحسان
اى على قدر الامكان من الانسان والكون معهم على حكم الوقت ففى الشمائل
انه عليه السلام كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب يضحك مما يضحكون
ويتعجب مما يتعجبون لا يكاد يواجه احدا بشىء يكرهه وقد قال زيد بن ثابت
كان عليه السلام اذا ذكرنا الدنيا ذكر معنا الدنيا واذا ذكرنا الاخرة ذكرها
معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا وبسط هذه الفضائل فى شرح جامع
الوسائل وحكى ان ابا العباس ابن عطاء اى الخراسانى يد رجله بين يدى
اصحابه اى اعتمادا على مودة احبابه وقال ترك الادب بين يدى اهل الادب
ادب والمراد باهل الادب المؤدبون فى سلوك الرب العارفون بمرتبة اهل
القرب وقد ثبت فى الشمائل انه عليه السلام روى مستلقيا فى المسجد واضعا
احدى رجليه على الاخرى وقال الجنيد اذا صحت المودة اى فيما بين اهل الصحبة
سقطت شروط الادب اى الظاهرية اعتمادا على اداب محبة القلوب الباطنية

وانشد

وانشد اذا صفت المودة بين قوم ودام ولادهم هجج الثناء وروى ان
النبى صلى الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر وعمر فدخل عثمان فغطى جسمه اى ساقه
واما رواية فخذه فغير معروفة لا يناسب سباقه وسوى ثيابه وجلس اى كما
هو اقلب ادابه مع سائر اصحابه فسئل اى النبى عليه السلام عن ذلك اى مما فعله
فى ذلك المقام فقال عليه السلام الا استحيى ممن تستحيى منه الملائكة اى
ملائكة الرحمن كما فى رواية فحشمته عثمن اى حرمته الظاهرية وان عظمت فالحالة
التى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما اصفى اى اكثر صفاء فى مقام المحبة
والمودة فان الغالب ان مراعات الادب الظاهر يكون مع الاجانب فى جميع المراتب
بخلاف الاخوان المخصوصين من بين الاقارب والحديث رواه مسلم عن عائشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا فى بيته كاشفا عن ساقيه
فاستاذن ابو بكر فاذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استاذن عمر
فاذن له وهو كذلك فتحدث ثم استاذن عثمن فجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسوى ثيابه فلما خرج قالت عائشة دخل ابو بكر فلم تهتش له
ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت
ثيابك فقال الا استحى من رجل يستحى منه الملائكة وفى رواية قال ان عثمان
رجل حيى وانى خشيت ان اذنت له على تلك الحالة ان لا يبلغ الى فى حاجته
ولا يداهنهم فيما يخالف المذهب اى من الامور المخالفة للشريعة التى هى
سلسلة الذهب وذلك لقوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون والفرق
بين المداراة المأمورة والمداهنة المنهية ان الاولى هى المسامحة فى امر الدنيا
والاخرى هى المساهلة فى امر العقبى فقد قال رويم لا زالت الصوفية بخير
ما تنافروا اى بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا انهم ما تنافروا فاذا اصطلحوا هلكوا
اى حيث انهم رضوا بالمنكر او البدعة او خلاف اداب السنة فى الخدمة او الحضرة و
ويخضع عند الحق اى ظهوره ويقابله بالقبول اى وعدم نفوذه فى غيبته وحضوره

روى عن عمر رضى الله عنه انه امر بقلع ميزاب كان من دار العباس بن عبد المطلب
الى طريق بين الصفا والمروه اى ومن عمر متوجها الى الحرم لصلوة الجمعه فصب عليه
من ذلك الميزاب غسالة الثياب فقلع الميزاب على وجه الاحتساب فقال له
العباس قلعت ما كان النبى صلى الله عليه وسلم وضعه بيده فقال اى عمر اذا
بالتنوين اى اذا كان الامر كذا لا يرده الى مكانه غير يدك ولا يكون لك
سلم ثانى عمر اى مجازاه لفعله ولو كان فى صورة المنكر فقام على عاتقه ورده
الى موضعه اى كرامة لنبيه واهل بيته ونظيره ما وقع لابى ذر حيث قال لبلال
يا اسود فشكاه الى النبى عليه السلام فقال يا باذر فيك من الجاهليه كبر فحلف
لا يرفع وجهه عن الارض حتى يضع بلال قدمه على خده ففعله بلال تحلة لقسمه
والصحبه عطف على ما تقدم مع الاصاغر بالشفقه والارشاد اى الى زاد المعاد
والتاديب اى الموجب للتهذيب فان الادب خير من الذهب والحمل على ما يوجب
حكم المذهب اى من المامورات والمنهيات وفق المشرب ويدلهم على ما فيه صلاحهم
لا على ما فيه فسادهم وفى نسخة على ما فيه مرادهم اى هويهم على خلاف هديهم
لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
وعلى ما يفيدهم اى ما ينفعهم ولا يضرهم ولو كانوا يكرهونه لا على يحبونه لقوله
تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى
ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ويزجرهم عما لا يعنيهم
اى فى مراتب يقينهم فقد ورد ان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقال
تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وقال واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه
الا ترى ان الله تعالى ذم الربانيين والاحبار اى مشايخ اليهود وعلمائهم قبل
ان تنصروا من الكفار حين تركوا زجر قومهم عن المنكر اى من الاقوال والافعال
التى انكرها الشرع بقوله عز وجل لولا اى هلا ينهيهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم اى واكلهم السحت وهو الحرام البحت لبئس ما كانوا يصنعون

و

اى صنيعهم هذا من بين ما يفعلون والصحبه مع الاستاد اى الشيخ والعالم
باتباع امره ونهيه اى وفق حكم ربه وشرعه فقد ورد لا طاعة لمخلوق فى معصية
الخالق وهى اى هذه الصحبه فى الحقيقه خدمة اى واجبة عليه لا صحبه اى مندوبه
لديه وقيل لابى منصور المغربى كم صحبت ابا عثمان اى المغربى قال خدمته ما صحبته
اى فى الحقيقة لان الصحبة انما يكون فيما بين الاكابر والخدمة وظيفة الاصاغر
فالقيام بخدمة استاده واجب لذلك اى لما قدمنا هنالك وكذلك الصبر تحت
حكمه اى من امره ونهيه وترك مخالفته ظاهرا وباطنا اى فى سره وعلانيته وقبول
قوله اى عن طيب نفسه والرجوع اليه فى جميع ما يعرض له اى من خيره وشره
وتعظيم حرمته اى فى حضوره وغيبته ومحاسه الانكار عليه سرا وجهرا
اى بباطنه وظاهره قال الله تعالى فلا اى فليس الامر كما يزعمون المنافق يزعم
المنافقون وربك لا يؤمنون اى ايمانا كاملا حتى يحكموك فيما شجر بينهم اى
حتى يجعلوك حكما فيما وقع الخلف لديهم ويقبلوا حكمك سواء لهم وعليهم
وتمام الاية كما فى نسخة ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا اى ضيقا مما قضيت ويسلموا
تسليما اى وينقادوا انقيادا كليا يوجب تعظيما وقيل الشيخ فى قومه اى معظم فى
حرمته واطاعته كلمته كالنبى فى امته اى فى وجوب قبول دعوته وهذا القليل قد ورد
فى حديث رواه ابن النجارى عن ابى رافع ولفظه الشيخ فى اهله كالنبى فى امته
ورواه ابو حبان فى الضعفاء والشيرازى فى الالقاب عن ابن عمر بلفظ الشيخ
فى بيته كالنبى فى قومه ويؤيده ما فى الصحيح ان العلماء ورثة الانبياء ولا شك
انهم هم الخلفاء ولو لم يكن العلماء اولياء فليس لله اولياء كما صرح به بعض
الكبراء وذلك لان الاولياء هم العلماء العاملون المخلصون الزاهدون
فى الدنيا الراغبون فى العقبى الكاملون فى خدمة المولى واما من ازداد علما
ولم يزدد فى الدنيا زهدا لم يزدد من الله الا بعدا كما رواه الديلمى فى مسند
الفردوس عن على كرم الله وجهه واما كثير من مشايخ الزمان يدعون انهم الاوليا

وهم اشد حرصا على المال والجاه من السفهاء الاغبياء فهم ضالون في انفسهم
ومضلون لغيرهم فصحبة علماء الدنيا انفع من صحبة هؤلاء في العقبى سأل
بعض اصحاب الجنيد مسألة من الجنيد اما في الشريعة واما في الطريقة فاجاب الجنيد
اي بما هو حق الحقيقة فعارضه في ذلك اي السائل هنالك فقال فان لم تؤمنوا
لي فاعتزلون اي استشهادا بالاية واعتضادا بما صدر عن بعض ارباب النبوة
ويكون في صحبته اي مع كمال الادب في مقام خدمته كالصحابة مع النبي صلى الله
عليه وسلم اي عند حضرته في تاديبهم بآداب القران اي فانه مادبة لجميع ارباب
العرفان قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا اي امرا من عند انفسكم
او لا تقدموا برايكم بين يدي الله ورسوله اي قبل حكمهما على حكمكم وقال
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي حتى عند زيارتكم وقال تعالى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي لا تنادوه بيا محمد ويا احمد
ويا ابا القاسم وسائر اسمائه تادبا معه في مقام خطابه وندائه بل قولوا يا نبي الله
ويا رسول الله ونحوهما من صفات علائه اما ترى ان الله سبحانه خاطب
سائر انبيائه بيا ادم ويا نوح ويا ابرهيم ويا داود ويا موسى ويا عيسى
وجميع اصفيائه ولم يخاطب نبينا الا بقوله يا ايها النبي ويا ايها الرسول ويا ايها
المزمل ويا ايها المدثر ايماء الى كمال اصطفائه وفي الشمائل انه عليه السلام
اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث ومن تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ وقال بعض المشايخ من لم
يعظم حرمة من تادب به حرمه الله بركة ذلك الادب اي جعله الله محروما
من بركة ذلك الادب سواء يكون من جهة استاده او من جانب الام والاب
وقد قال تعالى فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ومن المعلوم
ان حق الوالدين دون حق الاستاد لانهما سبب الايجاد والاستاد سبب
الامداد في زاد المعاد وقيل من قال لاستاده لم اي على وجه الاعتراض الانكار

لم يفلح ابدا اي ولو طال عمره في هذه الدار ولعله مقتبس من قوله تعالى
حكاية عن بعض الجهال وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال واما اذا كان السؤال
عن بيان حكمة في الاقوال والافعال فلا يكون من هذا المنوال لقوله سبحانه واذ
قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم الاية والصحبة مع من هو في خدمة
بالتلطف اي باظهار اللطف معه والدعاء له اي حين خدمه وترك الانكار
عليه فيما يندر منه اي فيما يصدر نادرا عنه وفي نسخة فيما يبدو بالواو اي
يظهر منه وفي اخرى يندر بالموحدة والراء اي يتبادر منه وهذا مختص بما اذا
كان التقصير في الامور الدنيوية اذ الانكار متعين اذا كان في الاحوال الدينية
والاخروية قال انس بن مالك اي الانصاري خدمت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي العبارة من حسن ادبه حيث لم يقل صحبته عشر سنين وكان
عمره ايضا في ابتداء خدمته عشر سنين فما كهرني اي ما قهرني وما عبس في
وجهي ولا نهرني اي ولا زجرني ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء
لم افعله لم لا تفعله وذلك لانه عليه السلام كان مفوضا وراضيا بما قدر
الله وقضاه على يد الانام والحديث رواه الترمذي ولفظه خدمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته
ولا لشيء تركته لم تركته وفي رواية لمسلم ولا قال لشيء لم فعلت وهلا فعلت
وفي رواية للبخاري لم صنعت كذا وهذا من كمال حلمه وجمال خلقه وفي رواية
انه اذا كان اعجبه فعل انس دعا له واذا لم يستحسنه قال وكان امر الله قدرا
مقدورا وربما كان يمزح معي ويقول لي يا ابا الاذنين والحديث في شمائل الترمذي
ايضا ولعل وجه المزاح انه سماه بغير اسمه مما قد يوهم انه ليس من الحواس
الا الاذنان او هو مختص بهما لا غير مع احتمال كون اذنيه طويلتين او قصيرتين
او معيوبتين والله سبحانه اعلم ولا شك انه صلى الله عليه وسلم كان
يمزح الا انه كان يقول حقا وصدقا والصحبة مع الغرباء بالبشاشة والبشر

وطلاقة الوجه الثلاثة الفاظ متقاربة وحسن الاداب اى فيما بين الاصحاب
ففى الشمائل انه عليه السلام تصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته
حتى ان كان اصحابه ليستجلبونهم ورويته فضلهم اى وبرويته بفضلهم
عليه حيث اكرموه اى بالاتيان اليه وخصوه من بين اقرانه بالنزول عليه
والالمام به اى للاهتمام بشانه والاعتماد على كرمه ثم بذل المجهود اى بما عنده
من الموجود فى طعامهم فى خدمتهم واكرامهم كقوله تعالى وهل اتيك حديث
ضيف ابراهيم المكرمين ولقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فليكرم ضيفه والكون عند مرادهم اى فى ماكلهم ومشربهم ومسكنهم وتهيئة
زادهم والصبر على احكامهم اى فى جميع مرامهم وقد مدح الله تعالى الذين
يحبون من هاجر اليهم حيث قال تعالى فى حق الانصار والذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة
مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال اى فى موضع
اخر والذين اووا ونصروا تمامه اولئك بعضهم اولياء بعض واما قول
الشيخ وقال بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله فليس من وصف الذين
آووا ونصروا فان الاية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله
اى فى حكمه من جهة الارث والصحبة مع الجهال بجميل الصبر اى فى جميع الاحوال
اى من غير شكوى ولا جزع فى بلوى وحسن الخلق اى بالتحمل عنهم فان حسن
الخلق ان لا يوثر فيه جفاء الخلق والمداراة اى وبالمدافعة عنهم والاحتمال
اى واحتمال الاذى لديهم والنظر اليهم بعين الرحمة اى حيث حرموا عن
كمال النعمة ورويته نعم الله عليه اى على نفسه حيث لم يقمه مقامهم بل
جعله عالما عاملا بخلافهم وان واجهوه بما يكره اى بقولهم او فعلهم يحتمل
وفى نسخة يحلم عنهم ولا يجيبهم باكثر مما اجاب به الانبياء قومهم حين نسبوا
بصيغة المجهول الى الضلالة حيث قال قوم نوح انا لنريك فى ضلال مبين

والسفاهه

والسفاهه والجهالة عطف تفسير وهو كلام قوم عاد انا لنريك فى سفاهة
وانا لنظنك من الكاذبين كما فى قوله تعالى اخبارا عنهم اى عن الانبيا
جوابا للاولين يا قوم ليس بى ضلالة وللاخرين يا قوم ليس بى سفاهة و
لكل منهما ولكنى رسول من رب العالمين وقال عز وجل اى فى حق الكمل
من المؤمنين المعبر عنهم لقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اى قولا سالما مما يضره فى الدين او المراد
به سلام متاركة ويؤيده قوله تعالى سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وصدر
الاية واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ومن كان
جهله اقوى كان احتماله اى حلمه عنه اولى اى لدفع الفساد فيما بين العباد
قال الله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون اى لا يخافون او لا يأملون
ايام الله اى عاقبة ليسامحوا عنهم ويتجلوا منهم الان هذا منسوخ باية
القتال فى حق الكفار ويجوز ان يعمل بها فى حق الفجار ندبهم الى حسن الخلق
اى مع الخلق وجميل العشرة اى مع اهل العشرة والتجاوز عن الجهال اى
فيما لهم من سوء المقال والتنقى من كدورات البشرية اى ومن خطوط النفس
الردية وقال اى الله بعد قوله سبحانه لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وهذه الاية فى حكم الاية الماضية وشتم
رجل الشعبى وهو امام مجتهد تابعى فافحش اى الرجل فى فحشه فقال له
الشعبى ان كنت صادقا اى بالفرض والتقدير فغفر الله لى وان كنت كاذبا
فغفر الله لك وهذا يدل على كمال حلمه مع جمال علمه وذكر الامام الحلبى عن عبد
الرزاق ان رجلا سال ابا حنيفة عن مسألة فاجاب فقال الرجل ان الحسن
اجاب بخلاف هذا فقال الامام اخطا الحسن فقال الرجل يا ابن الزانية فمضى
ولم يتغير وجهه بل قال اخطا الحسن واصاب ابن مسعود وحكى عن ابى يزيد

انه قال له سحص لحيتك احسن ام ذنب الكلب فقال ان مت مؤمنًا فلحيتي
احسن والا فذنب الكلب والصحبة مع الاهل اى الزوجة والولد بحسن
الشفقة عليهم ومداراتهم اى فيما يجري لديهم وتاديبهم اى بما يليق
بهم وحثهم على الطاعة اى بترغيبها اليهم قال الله تعالى قوا انفسكم اى
احفظوها واهليكم اى ازواجكم واولادكم نارًا اى وقودها الناس والحجارة
الاية في التفسير علموهم اى وقت مسائلهم وادبوهم حال مخالفتهم وقوهم
اى احفظوهم بذلك في عاقبتهم عن النار اى عن معاقبتهم ومع الاهل اى
والصحبة مع النساء خاصة على حكم الله تعالى فامساك اى في حقهن بقوله
بمعروف او تسريح باحسان اى او تطليق مقرون بمتعة قدر الامكان قيل من
لم يدار مع اهله اذهبت لذة عيشه والانفاق عليهم من الحلال بالمعروف
اى بالقدر المتعارف المناسب لحالهم قال تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره ويكره صحبة الاحداث اى المردان الحسان لما فيه من الافات واقله
النظر بعين الشهوة واختلاؤه معه في الخلوة الموهمة لهم السيئات وقد قال
تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور وفي الحديث النظر سهم مسموم من سهام ابليس
وقد ورد ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم ومن ابتلي بذلك صحبهم
على شرط السلامة اى مما يترتب عليه الملامة من نحو اللمس والقبلة وقد ورد
من عشق فعف ومات مات شهيدًا رواه الخطيب عن عائشة ورواه عن
ابن عباس بلفظ من عشق فكتم ومات فهو شهيد وحفظ قلبه اى عن اشتراكه
في محبة ربه او عن الخواطر الدنية وجوارحه اى بالمشي اليهم وبمد اليد عليهم
وبالنظر على وجه الشهوة لديهم وحملهم على الرياضة اى رياضة النفس بمخالفة
هواها والتادب اى على طريق هداها ومجانبة الانبساط اى معهم بالضحك
في بساط النشاط فقد ورد اتقوا مواضع التهم وقال بعض المشايخ رغبة

الصغار

الصغار في صحبة الكبار اى من المشايخ والعلماء الابرار توفيق وفطنة اى
لدرك الاسرار واستضاءة الانوار ورغبة الكبار في صحبة الصغار خذلان
وحمق اى جهالة وفتنة اى فتنة فعن وكيع قال كنا نكره ان يمشي مع محمد بن
الحسن في طلب الحديث لانه كان غلامًا جميلًا في غاية من الحسن وذكر السمعاني
انه قدم اباه به الى الامام فقال الامام احلق راسه والبسه الخلقان ففعل
امتثالًا فزاد عند الحلق حسنًا وجمالًا وفيه يقول ابو نواس شعر
حلقوا راسه ليكسوه قبحًا • غيرة منهم وعليه وشحًا • كان في وجهه صباح
وليل • نزعوا ليله وابقوه صبحًا • والصحبة مع الاخوة اى الاخوان والاقران
بكل ما يقدر عليه من الموافقة وترك المخالفة اى حال المرافقة الا فيما لا يجوز في
الشرع اى لانه حينئذ يجب عدم الطاعة بحسب الوسع والطاقة ومجانبة
الحقد اى الغش والغل والضغن والحسد اى تمني زوال النعمة ومجيء المحنة
ولزوم ما يسلم به بعضهم من بعض اى من افات العشرة والصحبة مع السلطان
اى ومع من في معناه من الامراء والوزراء واهل العدوان من الاعوان وارباب
الطغيان بالسمع والطاعة اى ظاهرًا وكذا باطنًا الا في معصية الله ومخالفة
سنة رسوله لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
يعني الامراء والعلماء ولقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
كما رواه احمد والحاكم عن عمران وفي رواية لاحمد عن انس لا طاعة لمن لم يطع
الله وفي الصحيحين عن علي بلفظ لا طاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة
في المعروف ثم الدعاء له اى لاصلاح حاله في ماله والامساك عما فيه من
قدح اى عيب او طعن في افعاله او اقواله روي عن الحسن اى البصري انه قيل
له مات الحجاج وهو المشهور بكمال الظلم حتى بلغ من قتله من الصحابة والتابعين
صبرًا مائة وعشرين نفسًا رحم الله امرءًا عرف زمانه وحفظ لسانه ودارا
سلطانه وكانه يشير الى قولهم زمانك هذا زمان السكوت والبيوت والرضى

مطلب انه قيل له مات الحجاج

بالقوت الى ان يموت فاما الدخول عليهم اى على سلاطين زمانهم فمن كان
عادلا فهو من السبعة الذين يظلهم الله اى يدخلهم فى ظل عرشه لان نفعه
عدله شاملة لجميع خلقه يوم لا ظل الا ظله كما ورد فى حديث احمد والشيخين
وغيرهم عن ابى هريرة مرفوعا سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله
امام عادل وشاب نشا فى عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج
منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل
ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال
انى اخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم
شماله ما تنفق يمينه والنظر اليه عبادة اى رؤيته عبادة وخدمته سعادة
لكن السلطان العادل عزيز بل ختم على عمر بن عبد العزيز فانه خامس الخلفاء
عند اهل التمييز واما من عداه فالغالب عليهم الظلم والتعدى ولذا قال
بعض علمائنا من قال لسلطان زماننا عادل فهو كافر ومن كان ظالما
فالبعد عنه واجب لان فى البعد عنهم السعد الا المضطر اليه اى بالسلام
عليه او بالوقوف بين يديه او ناصح له اى اذا كان يغلب على ظنه ان نصيحته
يتاثر فيه بتقليل ظلمه او منكر عليه اذا علم من غالب حاله انه يسلم عند القرب
منه اى عن المداهنة فى تقبيح افعاله واقواله وعن الطمع فى جاهه وماله
والا فلا خير فى رؤيتهم فضلا عن صحبتهم وحكى ان بعض الخلفاء اى
الامراء اراد زيارة بشر الحافى فبلغ ذلك بشرا اى فى الحال الصافى فقال
لئن ذكرنى بعد هذا اى فيما بين العباد لاخرجن من جواره من بغداد
فامسك عنه اى وتركه على ما اراد من اصلاح حاله وعدم الفساد من جهة
اقباله وقال بعض المشايخ من شارك السلطان فى عز الدنيا اى بان اصاب
من جاهه وماله زيادة على ما يليق بحاله شاركه فى ذل الاخرة اى عند حسابه
وسؤاله وعقابه فى ماله وقد ورد من اعتز بالعبيد اذله الله اى فى اليوم الشديد

مطلب عمر بن عبد العزيز

قبل

قبل تقرب الاشرار الى الاخيار صلاح الطائفتين لما ترتب عليه من الفائدتين
وهو تقليل شر الاشرار وزيادة خير الاخيار وتقرب الاخيار الى الاشرار
فتنة الطائفتين لما ترتب عليه من المفسدتين وهو طمع الاخيار وغرور
الاشرار وفى معناه قول بعضهم نعم الامير على باب الفقير وبئس الفقير
على باب الامير لان سير الاول سلوك طريق الابرار وسير الثانى سلوك
سبيل الفجار ومن اضطر الى الدخول عليهم وعالهم بالصلاح اى بصلاح
الاحوال واصلاح الاعمال لديهم بان يقول اصلحك الله لا ابقاك الله
وذكرهم اى وقائع الله واياته فى البلاد وعظمهم اى نصحهم بما ينفعهم
فى المعاش والمعاد وينفع العباد فى دفع الفساد وانكر عليهم حسب طاقته
ليقوم بحق طاعته فى ساعته وقد ورد خير جلسائكم من ذكركم الله رؤيته
وزاد فى علمكم منطقه وذكركم الاخرة عمله رواه الحاكم الترمذى عن ابن عباس
مرفوعا ومن المشايخ من تقرب اليهم لطلب مصالح الناس لكن هذا يتوقف على
تصحيح النية فى مقام الاستيناس روى عن زيد بن اسلم انه قال كان نبى من الانبياء
ياخذ بركات الملك اى العادل يتالفه بذلك لقضاء حوائج الناس هذا على
تقدير صحته محمول انه من باب امر الابتلاء للانبياء بخدمة الاغنياء وله سبحانه
ان يفعل فى ملكه ما يشاء والاظهر ان هذه الخدمة كان قبل ظهور النبوة ليتعود على
طلب العدالة وقضاء الحاجة للعامة كما ان اكثر الانبياء عليهم السلام كانوا
يرعون الغنم وفى ذلك اشعار بقوله عليه السلام كلكم راع وكلكم مسؤل عن
رعيته فيكون كون داود عليه السلام قبل البعثة مع طالوت فى المحاربة ثم اتيه
الله الملك والحكمة والله سبحانه اعلم وقال ابن عطا لئن يراى الرجل سنين
اى بعمل الحسنات على طريق العلانية على نية تحسين طوية ليكتسب جاها يعيش
فيه مؤمن بجاهه اى بالراحة والسعة انجى له من ان يخلص العمل اى يخفيه لنجاة
نفسه وذلك لان نفع المتعدى اولى من القاصر فيكون بهذه النية عمل بالعلانية

افضل من عمله بالخفيه والا فمن المعلوم ان الرياء شرك خفي وهو من اكبر
السيئات ومن المبطلات للطاعات فكيف يكون الحي له من العقوبات والصحبه
مع الكافه اى كافه الخلق والعامة الشاملة للخاصة كصحبة ابى ضمضم روى
انه عليه السلام قال ايعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم كان اذا اصبح وامسى
اى دخل فى الصباح والمساء يقول اللهم انى وهبت عرضى اى ما يتعلق
بعرضى من طعن وسب وشتم ولعن ونفسى اى من ضرب وجرح وقتل
والاولى تقديم نفسى على عرضى كما فى نسخة اللهم انى تصدقت بعرضى
اى بما يعرض للناس فى حق لك اى لاجل مرادك على عبادك فى جميع بلادك
فمن شتمنى لا اشتمه اى فى مقابله ومن ظلمنى لا اظلمه اى لا اجازيه على
ظلمه ولا اطالبه بمشاكله فكانه رضى الله عنه اخذ هذا الخلق الحسن والطريق
المستحسن من قوله تعالى حكايه لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط
يدى اليك لاقتلك وقوله عليه السلام كن خيرا بنى ادم وقد تقدم وقال
ابو عبد الله بن خفيف وهو شيخ الاسلام الشيرازى دخلت مكة حرسها
الله تعالى وحفظها فقصدت ابا عمرو الزجاجى وهو احد مشايخ الكرام
المكى فسلمت عليه وجلست عنده اى لديه بالتقرب اليه وجرى كلام اى
فى التصوف بينه وبينى فاخذ من تمزيقى اى فشرع فى اظهار عيوبى فلما
اكثر اى الكلام فى هذا المقام قلت له تعنى اى تريد بهذا كله ابن خفيف قال
بلى قلت تركته اى نفسانيته بشيراز فتبسم اى فانبسط معى وقال شاه
بن شجاع اى الكرمانى احد العلماء الربانى من نظر الى الخلق بعينه اى بعين
التفرقة ورؤية اختلاف الفرقة طالت خصومته معهم اى من جهة كفرهم
وبدعتهم وفسقهم ومن نظر اليهم بعين الحق اى فى مقام الجمع الفرق
عذرهم فيما هم عليه اى بباطنه وان كان يجب عليه انكارهم بظاهره
كما يقصد به مقام جمع الجمع وقل اشتغاله بهم اى لاشتغاله بامر المهم

لها

مطلب

كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم وقوله عليه السلام اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا
مؤثرة واعجاب كل ذى راى برايه فعليك بخاصه نفسك ودع عنك امر العام
فان وراءكم ايام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين
رجلا يعملون مثل عمله قالوا يا رسول الله اجر خمسين منهم قال اجر خمسين منكم
واما ما يتوهم من ظاهر العباره من عدم الانكار بالكلية كما هو طريق الملاحدة
والوجوديه فهو خارج عن الملة الاحمدية والشريعة المحمدية والطريقة الحنفية التى
عليها اكابر الصوفية ثم على كل جارحة اى عضو من الاعضاء ادب يختص بها
اى مما بين الاشياء قال الله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان اى الانسان عنه مسؤلا اى مسؤلا عن جميع ذلك وانما اقتصر فى الاية
على معظم الجوارح والا فكذلك اللسان والايدى والارجل ونحوهما كما يشير
اليه قوله سبحانه يوم يشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون وقال بعض المشايخ حسن الادب مع الله تعالى ان لا يحرك جارحة
من جوارحك بل ولا عرق من عروقك فى غير رضاء الله تعالى اى من الطاعة
والعباده ليحسن قوله حسن الادب والا فمن الواجب ان لا يحركها فى غير
امر مباح احله الله سبحانه فادب اللسان ان يكون رطبا بذكر الله تعالى ابدا
فقد روى الترمذى وغيره عن عبد الله بن بسر ان رجلا قال يا رسول
الله ان شرايع الاسلام قد كثرت على فانبئنى بشىء اتشبث به قال لا
يزال لسانك رطبا من ذكر الله وهذا المعنى هو المعنى بقوله يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا وفى رواية ابن ابى شيبه فى مصنفه من قول ابى الدرداء
موقوفا ان الذين لا يزال السنتهم رطبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم
يضحكون ويذكر الاخوان بالخير والدعاء لهم وبذل النصيحة والوعظ اى بما
لا يعلمون ولا يكلمهم بما يكرهون والحاصل ان يجب عليه مراعاة الحق ومداراة الخلق

لقولهم مدار الامر على شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله و
وفسر الصالحون بمن قام بحق الحق وحق الخلق لما روى ان رجلا قال للنبى
صلى الله عليه وسلم اين ابى اى من ذار القرار فقال لى النار اى لانه كان من الكفار
فعرف الكراهة فى وجهه اى من سوء العار فقال صلى الله عليه وسلم اى
تسلية له فى مشاركته معه فى هذا الاضطرار الذى ليس فى يد العبد شئ
من الاختيار ابوك وابى وابو ابرهيم فى موضع واحد اى من مقام البوار
فالحكم لله الواحد القهار وبعض الحديث فى صحيح مسلم وهو من الادلة على
على كفر ابويه صلى الله عليه وسلم وقد بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة
ولا يغتاب لقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا الاية ولا ينم فان النميمة
من اقبح الخصال الذميمة لانه من الذين يسعون فى الارض بالفساد فيما بين
العباد ولا يشتم اى ولا يسب احدا ولا يلعن شيئا وفى حديثه عليه
السلام لا يدخل الجنة النمام ولا يخوض فيما لا يعنيه اى لا ينفعه ولا يكفيه
لقوله تعالى حكاية وكنا نخوض مع الخائضين ولما ورد ان من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه وانشد ولم يبق لى وقت لذكر مخالف ولم يبق لى
قلب لذكر موافق واذا كان فى جماعة تكلم معهم ما داموا يتكلمون فيما يعنيهم
اى فى امر دينهم او دنياهم من ضرورياتهم التى تنفعهم فى اخرتهم واذا
اخذوا فيما لا يعنيهم اى ولو كان من الامور المباحة تركهم وامسك اى
عن الكلام معهم فى تلك القضية فكيف اذا كان كلامهم فى المعصية
قال تعالى وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها و
ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم
اذا مثلهم ويتكلم فى كل مكان بما يوافق الحال اى ويناسب ذلك الشان و
يلايم ذلك الزمان وقد قيل لكل مكان مقال وفى رواية لكل مقام مقال
وزيد فى رواية ولكل مقال رجال الترغيب مناسبا للابرار والترهيب ملايما

مطلب وقد بينت هذه المسئلة على كفر ابويه صلى الله عليه وسلم

حديث

للفجار وبيان المجاهده مع ارباب البدايه ولسان المشاهده مع اصحاب النهايه
ولسان المراقبه مع المتوسطين فى الهدايه فيكون وقد قيل خلق الله اللسان
ترجمان القلب اى لا فى ضمير الانسان ومفتاح الخير والشر اى فى معرض ميدان
البيان ومن هنا كل اناء يترشح بما فيه وقيل اذا طلبت صلاح قلبك اى ضبط
جنانك فاستعن عليه بحفظ لسانك اى فانه مدار اصلاح شانك وروى
عن الصديق الاكبر انه كان يضع الحصى على لسانه محافظة على ضبط شانه وكان
يقول فى مقام خوفه عن مولاه ليتنى كنت اخرس الا عن ذكر الله ويلزم الصمت
اى فى المجالس والمحافل فانه ستر للجاهل وزين للعالم اى الكامل وقيل زين
للعاقل وقد ورد من صمت نجا ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل
خيرا او ليصمت وقال النبى صلى الله عليه وسلم هل يكب الناس اى
يلقيهم على مناخرهم اى انوفهم فى النار الا حصائد السنتهم اى محصوداتها
من الكلام ومحصولاتها ومردوداتها من المرام رواه الترمذى فى حديث طويل
يصحبه معاذا من اصحابه فقال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا
رسول الله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت يا نبى الله وانا المؤاخذون
بما نتكلم به فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم
او على مناخرهم الا حصائد السنتهم واداب السمع ان لا يصغى اى لا يميل
وفى نسخة لا يستمع الى الفحش والغناء اى مطلقا او المحرم منه وفى نسخة
والخناء بالخاء المعجمة ولعل المراد به القبيح من الكلام والمفهوم من القاموس
انه الفحش فيكون عطف تفسير الا انه اعرب مما قبله فكان العكس اولى
كما لا يخفى والغيبة والنميمة وكل منكر من الاقوال الذميمة كما قيل احب الفتى
ينفى الفواحش سمعه كان به عن كل فاحشة وقرا المراد بالفتى صاحب الفتوه
والمروه والجملة بعده اما نعت لكون الفتى فى معنى النكرة او حال الظاهر
مبنى المعرفة كما اعرب بهما قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقول الشاعر

ولقد امر على اللئيم يسبنى وسمعه فاعل يبنى والمعنى لا يقبلها سمعه والتعبير
بالنفى غاية المبالغة كما يشير اليه المصراع الثانى وفيه ايماء الى انه ينبغى للمؤمن
الماهران يكون خصاله على اضداد خصايل الكافر وقالوا قلوبنا فى اكنة
مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ولذا قال بعض اهل التدقيق من ارباب التوفيق
فى قوله سبحانه صم بكم عمى بطريق الاشاره لا على سبيل العباره صم عن سماع
كلام الباطل وبكم عن التكلم به وعمى عن رؤيته ويومى الى هذا المعنى مبنى قوله عليه
السلام خالفوا اليهود والنصارى والمشركين اى فى جميع الاحكام بل يستمع
الى الذكر اى بجميع انواعه من التلاوة والتسبيح والتهليل والدعاء والاستغفار
والصلوة على النبى المختار والوعظ والنصيحة والحكمة سواء كان على لسان
العلماء والعرفاء من الحكماء او على بيان احاديث سيد الانبياء وسند الاصفياء
وما يعود اليه بالفائدة دينا ودنيا اى مما ينفعه فى الاخرى ويحسن الاصغاء
الى من يكلمه اى من المشايخ الكبراء واداب البصر الغض عن المحارم وهو فرض عين
وعن عيوب الناس فقد ورد طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وقال
تعالى ولا تجسسوا وفى قراءة شاذه ولا تحسسوا وروى من يتبع عورة
اخيه افضحه الله يوم القيمة وعن المنكرات اى الشامل المكروهات عموما
وعن المحرمات اى خصوصا بل عما سواه استغراقا بالله وانشد يا قرة العين
سل عينى هل اكتحلت بمنظر حسن مذغبت عن نظرى لان الله يعلم خائنة
الاعين اى وما تخفى الصدور وسائر الامور وقيل من طاوع طرفه اى نظره
تابع حتفه اى هلاكه وقيل من غض طرفه بصيغة المجهول ليناسب قوله
ثم ظرفه اى كمل ظرف ايمانه وقيل الظرف بمعنى الكياسه والاظهر انه بالطاء
المهمله ايضا ثم نظوه وصح بصره وكان ربيع بن خثيم من شدة غضه طرفه
يظن بعض الناس انه اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة
فاذا راته جاريته قالت لابن مسعود صديقك ذلك الاعمى قد جاء

فدا

فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول
اما والله لو راك محمد لفرح بك وفى رواية لاحبك وقيل من كثرت لحظاته
اى فيما فيه سيئاته دامت حسراته اى يوم تموت حسناته ويكون اى وسعى
ان يكون نظره بالاعتبار لقوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار والاستدلال
على قدرة الله تعالى وعظمته لقوله تعالى سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم
ولقوله عليه السلام تفكروا فى صفات الله واسمائه وماظهر من آلائه ونعمائه
وحسن صنعه اى فى خليقته لقوله تعالى قل سيروا فى الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين اى وعاقبة المصدقين عاريا اى خاليا عن حظوظ النفس
الامارة بالسوء وفى التقييد بهذا الوصف اشارة الى ان حظ النفس المطمئنة
غير مذموم فى هذه القضية كما يومى اليه قوله سبحانه ومن اضل ممن اتبع
هويه بغير هدى من الله حكى بعض المشايخ انه قال نظرت الى شخص نظر
شهوة اى على سبيل غفلة سمعت فى المنام قائلا يقول لى اى مضمون هذا
الكلام ان الله يقول الدنيا دارى والخلائق فيها عبادى واماى اى جوارى
فى جوارى فمن نظر الى احد منهم بغير حق اى بغير اذن شرعى فقد خاننى
فاشتبهت اى من غفلتى واليت على نفسى اى حلفت ان لا انظر الى شخص
بعد ذلك الا على حد الامانة اى لا بعين الخيانة الموجبة للجناية وحكى ان ابا
يعقوب النهرجورى قال رايت فى الطواف انسانا بفرد عين وهو يقول
اعوذ بك منك اى بمعا فاتك من عقوبتك فقلت ما هذا الدعاء اى فى
هذا المحل المعظم والمكان المكرم فقال علم انى مجاور منه خمسين سنة
فرايت يوما شخصا فاستحسنته اى فنظرت اليه نظرة شهوة فاذا لطمة
وقعت على عينى اى فى النوم او اليقظة فسالت اى سقطت عينى هنالك
اى حينئذ على احذى فقلت آه اى واعوراه فقيل لحظة بلطمة اى جزاء
وفاقا ولو زدت اى بلحظة اخرى لزدناك اى بلطمة اخرى كما فى الحديث انما

غفلة

من اعمالكم احصيها لكم ويقال على مقام المرء فى الحالات بتوجه عليه
المطالبات والزيادة فى العقوبات وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى
كرم الله وجهه اياك اى احترس واحترز ان تتبع نظرة اى بشهوة على
وجه نظرة اى على قصد فان الاولى اى من النظرتين لك اى وقع مباحا
والثانية عليك اى تقع جناحا وادب القلب اى فى مراقبة الرب مراعاة
الاحوال السنية اى الرفيعة النفيسة المحمودة اى من نحو الشكر والصبر
والصحو والمحو والقبض والبسط والفناء والبقاء والمعرفة والمحبة ونفى
الخواطر الردية اى الرذيلة الخسيسة المذمومة اى من نحو الكفر والكفران
والكبر والطغيان والعجب والغرور والعدوان والريا والسمعة والتفكر
فى آلاء الله ونعمائه اى من نعمه الظاهر والباطن لقوله تعالى فاذكروا آلاء
الله وقد ورد تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله وفى رواية تفكروا فى الخلق
ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره وعجائب خلقه اى وغرائب مصنوعاته
قال تعالى ويتفكرون فى خلق السموات والارض والمعنى يتاملون فى بدايع
ملكوت السموات من العوالم العلويات والاقاليم السفليات باعتبار ذواتهما
وما فيهما من الصفات وما فيهما من غرائب المخلوقات وروى انه عليه السلام
قال ويل لمن قرا هذه الاية ولم يتفكر وقال النبى صلى الله عليه وسلم تفكر
ساعة خير من عبادة سبعين سنة وفى نسخة عبادة سنة واخرجه
ابو الشيخ فى العظمة عن ابى هريرة مرفوعا ولفظ فكرة ساعة خير من عبادة
ستين سنة ومن ادب القلب حسن الظن بالله تعالى اى بحديث
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى والمعنى انه لا يقنط من
رحمته ولا ييأس من جنته لاجل كثرة معصيته اذ لا كبيرة مع الفضل كما انه
لا صغيرة مع العدل وحاصله انه ينبغى ان يكون رجاؤه ازيد من خوفه خصوصا
فى اخر عمره وخاتمة امره وبجميع المسلمين اى بان مآلهم الى الجنة فلا ينافى فى قوله عليه

السلام

تنظيف

السلام امة سواء من الناس بسوء الظن وقوله الحزم سوء الظن وبهذا الجمع
يظهر وجه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن
اثم وتطهيره اى تنظيف قلبه من الغل والغش والحسد والخيانة اى مع الخلق
وسوء العقيدة اى فى دين الحق فانها اى المذكورات من جنايات قلب قال الله
تعالى اى فى نعت اصحاب الجنة ونزعنا ما فى صدورهم من غل اى فى الدنيا والعقبى
ليتم قوله اخوانا على سرر متقابلين وعن على ارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم كما رواه ابن جرير فى تفسيره وقال عليه السلام ان فى
الجسد مضغة اى قطعة لحم صنوبرى فى جانب اليسار تتعلق بها من الابرار والفجار
وفى تعلق هذا القلب الربانى الروحانى بهذا القلب الجسمانى تحير لارباب
العقول ولاصحاب النقول مع انه المخاطب والمطالب والمثاب والمعاتب و
والمعاقب هل هو تعلق الاعراض بالاجسام او من تعلق الاوصاف بالموصوفات
او من تعلق الصانع بالآلات او من تعلق التمكن بالمكان وهذا الاخير اقرب
الى الاذهان فى تحقيق هذا الشان والله المستعان اذا صلحت بضم اللام
وبفتح صلح سائر الجسد اى جميعه او باقيه بصلاحها واذا فسدت فسد
سائر الجسد اى بفسادها الا اى تنبهوا وهى القلب اى موضع تعلق تجليات
الرب فهو بمنزلة الملك والاعضاء بمنزلة الرعية والحديث متفق عليه وقد
بسطنا الكلام عليه فى المبين المعين شرح الاربعين للنووى وقال السرى
ابن المغلس بضم الميم وفتح الغاء وتشديد اللام المفتوحة السقطى استاذ
الجنيد قدس سرهما القلوب ثلاثة اى انواع قلب كالجبل اى فى الصلابة
والغلظة والقساوة لا يحركه شىء وهو قلب الكافر كما قال تعالى ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة الاية وقلب كالنخلة
اصلها ثابت اى وفرعها فى السماء والريح تميل بها اى باغصانها يمينا وشمالا
اى باعتبار اوصاف البشرية والعوارض الطبيعية وجذعها لا يميل اصلا

لمضغة

المبين المعين فى شرح الحديث الاربعين النووى

ولا ينتقل انتقالاً وهو قلب المؤمن وقلب كالريشة اى غير ثابت على شئ
تذهب مع اقل ريح وفى نسخة مع كل ريح ولا تثبت اى فى مكان صحيح بل تارة
يميل يمنة واخرى يسرة وهو قلب المنافق المتردد بين المخالف والموافق كما
قال تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هولاء وفى معناه المرائى
المراعى ولا يبعد ان يريد الشيخ بالقلب المشبه بالجبل قلب الانبياء المعصومون
عن التزلزل وهذا قلب الكمل من اتباعه الاوليا المحفوظون عن التغيير والتبديل
وادب اليدين البسط بالبر وفى نسخة بالبذل والاحسان اى الى جميع افراد
الانسان وخدمة الاخوان اى من الاقران وان لا يستعين بهما على معصية
اى من معاصى الرحمان وادب الرجلين السعى بهما لطاعة الله اى فى مقام
انسه وفى صلاح نفسه واخوانه اى فيما يستحسن من شانه وان لا
يمشى فى الارض مرحا اى متكبراً فرحاً ولا يختال اى لا يمشى خيلاء ولا
يتجبر ولا يزهو اى ولا يعجب بنفسه فى مشيه ولبسه ومحله فانه فى اوله
نطفة مذرة وفى اخره قذرة وفى وسطه حامل عذرة فانها مما يبغضها الله
كما قال تعالى ولا تمش فى الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال
طولا وقال ان الله لا يحب كل مختال فخور وان لا يستعين بهما على
المعاصى اى ولا يمشى بهما الى المناهى والملاهى ثم ان اول الصحبة معرفة اى
للحال والمقال وحسن المآل ويستحب ان يعرف اسمه ونسبه ثم مودة
اى اظهار المحبة ويستحب ان يقول حينئذ انى احبك ويقول احبك الله
الذى احببتنى له ثم الفة فيتردد اليه ويتودد لديه ويعتمد عليه ثم عشرة
بكثرة المعاشرة وقلة المنافرة وعدم المنافقة ثم محبة اى خلة زائدة ومودة
ثابتة ورحمة كامنة وكان عليه السلام اذا راه احد فجاة هابه واذا عاشره
احبه ثم اخوة اى صداقة خاصة ونسبة تامة ورعاية عامة وقد ذكر بعض
العارفين ان المعرفة فوق مرتبة المحبة بسبع درجة وقد اوضحت هذه المرتبة

ويستحب ان يقول انى احبك

وقد اوضحت رسالة السنية فى المعرفة والمحبة

فى المعرفة

فى المعرفة والمحبة وقيل غذاء النفوس اى حظها فى العشرة اى الظاهرة على البشرة
مع ابناء الجنس من البشر بشرط المحافظة عن وقوع الضرر وحصول الشر
وعداء القلوب فى الصحبة اى مع ارباب المودة واصحاب المحبة والحاصل
ان هذا نصيب الارواح كما ان ذاك نصيب الاشباح ولذا قد يكون
العشرة باختلاف السرائر والضمائر مع اتفاق الظواهر والصحبة لا يكون
الا باتفاق البواطن قال الله تعالى فى صفة المنافقين تحسبهم جميعا و
قلوبهم شتى اى متفرقة وقال تعالى فى حق المنافقين يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والصحبة اذا صحت شرائطها اى فى
جميع الاقوال فانها اجل الاحوال اى احوال ارباب الكمال واصحاب الجمال
الا ترى ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا اجل الناس اى اعظمهم واكثرهم
واجزلهم علما اى قطعيا وفقها اى طبيا وعبادة وزهداً فى الدنيا وتوكلاً
على المولى ورضا بما قدر الله وقضى فيما استقبل ومضى فلم ينسبوا الى
شئ من ذلك سوى الصحبة التى هى اعلاها اى فى مراتب مقدرة هنالك
والحظ الاوفر للصديق الاكبر من هذه الصحبة لصحة هذه النسبة الثابتة
فى قوله تعالى اذ يقول لصاحبه ولذا قال العلماء من انكر صحبة الصديق
كفر بخلاف انكار بالعلى وعمر ومن ادابهم ان لا يجرى فى صحبتهم وفى
نسخة فى حديثهم اى فى كلامهم هذا لى وهذا لك وذلك لقولهم الصوفى
لا يملك ولا يملك حيث يرون الاشياء كلها ملكا لله والخلق كلهم
عبيد الله ولكن فى هذا المقام خطر الطائفة الاباحية وتنزه عن ذلك
الصوفية السنية نعم من اخذ ما لهم لا يطالبونه وهم لا ياخذون من
مال من يطالبهم ايضا لقولهم الصوفى لا يخاصم ولا يخاصم وحاصل
طريقتهم ماخوذ من قوله تعالى او صديقكم اى ليس عليكم جناح ان تاكلوا
من بيوت اصدقائكم واحبائكم اذا علمتم رضاءهم باكلكم فيها بل باخذكم

وكتابي ونعلي ولا يجري بينهم الاعارة والاستعارة اي لما فيه من الدلالة
على دعوى الملكية والمالكية وقالوا الصوفي لا يعير اي بل يعطي الا تمليكا
او يقصد ان ينتفع به سواء رده عليه او لم يرده فيستوي عنده ما بعده
وما بيد صاحبه بل قيل الصوفي ماله مباح ودمه هدر حيث لا يخاصم احدا
فيهما بل تصدق بهما على من تعرض فيهما لما تقدم في قضية ابي ضمضم
ولا يستعير اي لان فيه بعض مذلة بل يأخذ ممن لا يدعي له ملكا ولا يجري
بينهم المخاصمة اي لاجل الدنيا ولا المجادلة اي مع السفهاء او على قصد السمعة
والرياء والا فقد سبق ان الصوفية يخبر ما تناقروا مع الرفقاء ولا الاستهزاء
اي باحد من العامة لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى
ان يكونوا خيرا منهم والازدراء اي الاستحقار لا للفقراء ولا للاغنياء
لان حقيقة الاحوال مستورة وعاقبة الرجال مسطوره وقد ورد عن ابن
مسعود البلاء موكل بالمنطق لو سخرت من كلب لخشيت ان احوال
كلبا والمزاحمة اي في المناصب والمغالبة اي في علو المراتب بل طريقهم الملاطفة
والتواضع والايثار وحسن المعاشره في المخالطه دون المطالبه والمعاتبه
والمحاسبة والغيبة اي لانها تنشأ من الغيبة ولله در القائل شعر
متى ما تلق من تهوى دع الدنيا واهملها والوقيعة اي في اعراض الخلق
فانه غفلة عن الحق قال تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في
الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة وفي الحديث من تتبع عورة
اخيه تتبع الله عورته حتى افضحه الى يوم القيمة والنميمة لانها من الاخلاق
الذميمة التي يجب على كل واحد من افراد الامة يستوي فيه الخاصة والعامة
ان يجتنب من الغيبة والوقيعة والنميمة فاسناد تركها الى الصوفيه لان
اكثر الناس حتى بعض المشايخ والعلماء فلما يكون مجالسهم خالية عن هذه
الاشياء بل يكون كل واحد اي من الصوفية للكبير كالابن اي في مقام الادب

شيئا وانما افرد الصديق مع جمع جميع ما قبله للانبياء بقوله الصديق على
وجه التحقيق والله ولي التوفيق وهذا مشرب السلف الصالحين وكانوا
يدخلون بيوت اصحابهم فيأكلون من طعامهم ويأخذون من دراهمهم
وثيابهم ولو كان كذا لم يكن كذا او كذا لو كان كذا لكان كذا ففي الحديث من
وقع له ما لا يختاره فلا يقل لو اني فعلت كذا وكذا ولكن ليقل بقدر الله
وما شاء فعل رواه مسلم وغيره عن ابي هريرة مرفوعا وقد ورد اياك واللو
فان اللو من الشيطان كذا في النهايه قال النووي الظاهر ان النهي انما هو
على اطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه فيكون نهي تنزيه لا تحريم انتهى وكذا
ينبغي ان لا يقول ليت كذا وكذا ومنه قول القائل ليت الشباب يعود ومن
هنا قال الشاطبي شعر وكم لو وليت تورث القلب انصلا ولعل اي
للترجي فيما لا منفعة فيه دينية او اخروية وعسى اي لتوقع امور دنيوية
ولم فعلت وكذا ولم ما فعلت في الماضي ولم لا تفعل وكذا لم تفعل في الحال
والاستقبال وهذا كله اذا كان بطريق الاعتراض من جهة افعال الطبع
لا من قبيل قضايا الشرع فان في الامر الاول يقال ما شاء الله كان وما لم
يشاء لم يكن وكان امر الله مفعولا وكان امر الله قدرا مقدورا وكان ذلك
في الكتاب مسطورا واما في الاعتراض على ترك اكتساب الاوامر واجتناب
الزواجر فليس لاحد ان يتعلق بالقضاء والقدر وان كان في نفس الامر كذا
تقرر ولذا ذم الله سبحانه بعض الكفار بقوله وقالوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء مع قوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا فان لله الحجة البالغة
وليس للعبد مثل هذا من الامور السائغة وما جرى مجراها اي من الفاظ لا
طائل تحتها فانها من اخلاق العوام حيث لم يتاملوا فيما صدر عنهم من
الكلام فقد ورد بئس مطية الرجل زعموا وكفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما
سمع قال ابرهيم بن شيبان كنا لا نصحب من يقول فعلي اي وكذا تقتضي

له وللنظير كالاخ اى الكبير فى مقام التواضع له وللصغير كالولد اى
فى مقام الشفقة والمرحمة وللاستاد اى من العلماء والمشايخ كالمملوك
اى فى مقام الحرمة والخدمة ومن ادابهم اى مع اصحابهم اذا اجتمعوا
اى فى موضع من حضر او سفر اذا كانوا ثلاثة نفرا او اكثر ان يقدموا واحدا
منهم اى للامامة ونحوها ويكون مرجعهم اليه اى فيما اختلفوا فيه واعتماد هم
عليه اى فى امرهم ونهيهم لمعاشهم ومعادهم لما ورد من قوله عليه
السلام اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا احدهم رواه ابو داود وغيره
عن ابى هريرة ويكون ارجحهم عقلا اى فهما وعلما ثم اعلاهم همة اى
جراءة من سخاوة وشجاعة او بان يكون همته الوصول الى العقبى ترك
الدنيا ثم اعلاهم حالا اى افعالا او اقوالا امنا لا وما لا ثم اعلمهم بالمذهب
اى بمذهب الجماعة من الحنفية او الشافعية او المالكية او الحنبلية او بمذهب
الصوفية من الجمع بين المذاهب المرضية ثم اسنهم اى اذا كانوا فى الصفات
المتقدمة على حد سواء لقوله عليه السلام اذا سافرتم فليؤمكم اقرؤكم
وان كان اصغركم واذا كان امامكم فهو اميركم رواه البزار عن ابى هريرة
وفى هذا الحديث دليل ظاهر على افضلية الصديق والله ولى التوفيق قال
النبى صلى الله عليه وسلم يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله اى لقومهم اكثرهم
قراءة او احسنهم اداء وتلاوة او اعلمهم لمبناه ولمعناه فان استووا
فى القراءة كمية وكيفية فافقههم فى الدين اى اعلمهم بمسائل الطهارة والصلوة
والديانة وفى نسخة فان استووا فاشرفهم اى افضلهم نسبا وحسبا
فان استووا اى فى مراتب الفقاهة والنباهة فاسنهم اى اكبرهم فى السن
تعظيما للصورة المشيخة ولانه فى الغالب اكثر معرفة فان استووا اى فى السن
فاقدمهم هجرة اى من بلاد الكفر الى دار الاسلام وكذا الهجرة من دار البدعة
الى بلاد اهل السنة ولا يبعد ان يقال المعنى اقدمهم توبة واسبقهم طاعة

اى بطرق متعددة والفاظ مختلفة

لما ورد

لما ورد من ان المهاجر من هجر ما نهى الله عنه كما رواه البخارى وغيره وكان النبى
صلى الله عليه وسلم يقوم اهل بدر اى من غزوة بدر على غيرهم اى ممن حضر
سائر المشاهد بعده فى صدر المقام وفى توجه الكلام ونحو ذلك من المرام
لانهم اول من جاهد فى سبيل الله وقد قال تعالى والسابقون السابقون
اولئك المقربون وقال تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى
وروى انه عليه السلام كان جالسا فى صفة ضيقة فجاء قوم من البدريين
اى الوارد فى حقهم اعملوا ما شئتم فانى قد غفرت لكم فلم يجدوا موضعا
يجلسون فيه اى لضيق المكان وكثرة حضار المجلس فى ذلك الزمان فاقام
عليه السلام من لم يكن من اهل بدر من ذلك المجلس اى بعض صغار الصحابة
الذين لم يصلوا الى مقام الصحبة بل اللائق ان يقوموا بوظيفة الخدمة فجلسوا
مكانهم اى لعلو شانهم فاشتد عليهم اى على الذين اقامهم من مجلسهم
فانزل الله تعالى اى بعد قوله يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس
فافسحوا يفسح الله لكم اى اذا قيل لكم توسعوا فى المكان توسعوا يوسع الله
عليكم وبسط نظر العناية اليكم واذا قيل انشزوا فانشزوا بكسر الشين
وضمها قراءتان متواترتان اى ارتفعوا عن المكان فارتفعوا تعظيما لارباب
الشان وتمام الاية يرفع الله الذين امنوا منكم تسلية لعامة المؤمنين
من الصلحاء والفقراء والذين اوتوا العلم درجات تقوية للعلماء والكبراء
وقد ورد ان الملائكة الذين نزلوا ببدر كذلك افضل ممن لم ينزل القوة
قدر ذلك الامر والحديث رواه البغوى فى تفسيره عن مقاتل بن حيان
ولفظه كان النبى صلى الله عليه وسلم يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار
فجاء ناس يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه
وسلم وسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا

ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبى
صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من
المجلس بعدد النفر الذين قاموا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم
من مجلسه وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهة فى وجوههم فانزل
هذه الاية ثم احسنهم خلقا اى سيرة او صورة لان الظاهر عنوان
الباطن والصورة تدل على السريرة ثم اقدمهم هجرة لما تقدم وفى نسخة
ثم اقوامهم اى فى القيام بالعبادة والمداومة على قدم الاستقامة ثم
اتمهم ادبا اى مراعاة للسنة واجتنابا عن البدعة ثم اسبقهم بلقاء
المشايخ كما كانت النسبة بين الصحابة والتابعين واتباعهم فقد ورد
خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حكى ان على بن بندار
الصوفى ورد اى جاء ونزل على ابى عبد الله بن خفيف اى شيخ الاسلام
الشيرازى زائرا له من نيسابور فمشيا اى فى طريق من المسجد او غيره
الى ان وجدا مكانا ضيقا فقال له ابو عبد الله تقدم فقال باى عذر
اى باى علة وسبب او اى عذر يكون لى فى تقدمى عليك وانت من اهل
العلم والعمل قال بانك لقيت الجنيد وما لقيته وبهذا يتبين ان التابعين
ولو كان له فضائل علميه وعمليه ازيد من بعض الصحابة يتاخر مرتبة عن
رتبته لعلة الصحبة والرؤية ولو كانت مرة ويخدمهم اصدقهم نية اى
اخلصهم طوية واوفقهم سجية وشفقة اى محبة ومرحمة واجملهم اى احسنهم
ادبا وفى نسخة واحملهم بالحاء المهملة اى اقواهم خلقا واحملهم خلقا
واقواهم قلبا اى فى رضائه بقضاء الله ربا واكثرهم ديانة اى فيما بينه
وبين الحق وامانة اى فيما بينه وبين الخلق او المراد بالديانة اجتناب المعصية
وبالامانة اكتساب الطاعة وصيانة اى محافظة ورعاية لاداب الطريقة
وابواب الحقيقة واقلهم اهتماما بنفسه وذويه اى تابعيه وقرابته بل يكون

حل همته واكثر نهمته خدمة اهل صحبته فالخدمة الدرجة الثانية من
الشيخوخة فان الخدمة للمبتدى والصحبة للمنتهى ولان الخادم قائم لله
والشيخ قائم بالله وقد ورد من خدم خدم وفى رواية الترمذى ما اكرم
شاب شيخا لسنه الا قيض الله من يكرمه عند سنه وفيه بشارة الى طول
عمره وعزه فى اخر امره كما روى فى الاربعين بخبر على ما رواه ابن ماجه عن ابى
قتادة وللخطيب عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد
القوم اى ما لا خادمهم اى حالا ورواه ابو نعيم فى الاربعين للصوفية عن
انس وزاد وساقيهم اخرهم شربا ورواه الحاكم فى تاريخه والبيهقى فى
دلائله عن سهل بن سعد ولفظه سيد القوم فى السفر خادمهم فمن سبقهم
بخدمة لم يسبقوه بعمل الا الشهادة وروى انه اوحى الى داود اذا رايت لى
طالبا فكن له خادما وقيل اذا صحبت انسانا اى ولم تعرف نسبه وحسبه
فانظر عقله اى علمه وحلمه اكثر مما ينظر دينه اى زهده وعمله فان دينه اى
منفعته له اى خاصة وعقله له ذلك اى عامة ولا يصحب من كان اكثر همه
الدنيا والنفس والهوى اى كما عليه اكثر اهل الدنيا قال الله تعالى فاعرض
عن من تولى عن ذكرنا اى عن توحيدنا او تفريدنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا
اى غافلا عما اعد فى العقبى لمريد المولى وقال عز وعلا ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا واتبع هويه اى خلقنا قلبه غافلا عن ذكرنا وخاليا عن فكرنا
وعاريا عن شكرنا ولم يتبع هداه فى امرنا وقد ورد فى الدعاء اللهم لا تجعل
الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا فقد ورد من كانت الاخرة همه جمع الله شمله
وجعل غناه فى قلبه واتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت الدنيا همه شتت
الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما قدر له رواه احمد
والترمذى وابن ماجه ولا يذكر عيوب الناس اى من غير منفعة وضرورة
ملجئة فان من ذكر عيوب الناس فقد شهد على نفسه اى بانه معيوب فى

حقه ومن هنا قيل من عاب عيب فانما يذكر اى من عيوبهم مقدار ما فيه
اى فى نفسه منها اى من تلك العيوب وقد ورد طوبى لمن شغله عيبه
عن عيوب الناس وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته
السنة ولم يَعْدُ عنها الى البدعة رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن انس
وسئل ابو عثمن الحيرى عن الصحبة اى آدابها مع ارباب الاخوة فقال ان
توسع على اخيك مالك اى تعدل جميع مالك او تمام مالك ليشمل المال
وغيره من الاحوال ولا يطمع فى ماله اى لئلا يكون نظرك فى بذل المال له
المعاوضة من ماله بل يكون اعطاؤك له خالصا لوجه الله وابتغاء لمرضاته
فى جميع احواله وتنصفه من نفسك اى تظهر له التقصير فى حقه وان جميع
اعماله واقواله مرضية فى محله ولا يطمع الانصاف منه اى لئلا يكون سببا
لخجالته وقبح خالته فى مخطبة مقالته كما قيل شعر اذا مرضتم اتيناكم نعودكم
وتذنبون فنأتيكم ونعتذر وهذه المنزلة انما تصح لمن اختار المذلة على
المعزا والمذمة على المدحة والملامة على السلامة وحظ غيره فى مجلس انسه
على حظوظ نفسه وهو لا ينافى قوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
بل مقتبس منه لعموم المؤمنين وتكون تبعا له اى فيما اراده وهواه ولا
تطمع ان يكون لك تبعا اى فيما انشاه وابداه وتستكثر ما اليك منه
اى ما يصل اليك من الخير والمنفعة تعده كثيرا وتستقل ما منك اليه اى ما
تفعل بالنسبة اليه من الجميل تعده قليلا وحقيرا قال محمد بن داود الرقى
بتشديد القاف قلت للدقاق وهو استاذ المشايخ بالاتفاق من اصحب
اى من جملة الاحباب والمعنى من يصلح لى ان اختاره من بين الاصحاب قال
من يعلم منك اى من الذنوب والعيوب مثل ما يعلم الله اى منك فانه يعلم
السر واخفى وهو علام الغيوب ثم تامنه على ذلك اى بانه اذا اطلع على
ما فى باطنك لم يتغير هنالك فانه سبحانه لا يقطع رزق احد بمعصيته كما

انه لا يزيد ارزق بطاعته وحاصله ان من يصلح ان يكون عبد الله يصلح
عليه غير الله وعلى تقدير اطلاعك على بعض مصيبته لا يتعين عليك ترك صحبته
بل ينبغى لك ان تعينه فى ازالته ورجوعه الى تحسين حالته بالمبالغة فى نصيحته
وبالدعوة فى له فى حضوره وغيبته ويشير الى هذا المقام قوله تعالى فان
عصوك فقل انى برئ مما تعملون اى من اعمالكم لا من انفسكم اى فيكره ذلك
العمل لا صاحبه كما اذا ابتلى بمعصيته ولده او والده او شيخه او استاده واختار
بعض المشايخ فى باب الحب فى الله والبغض فى الله انه اذا احب احدا لله وظهر
منه ما يقتضى البغض فى الله انه يبغضه لله ولا يبعد ان يكون كناية عن قوله
لا تصحب مع غير الله فانه لا يستر عليك عيوبك ولا يغفر عنك ذنوبك سواه
وقال بعضهم ما اوقعنى فى البلاء اى بلاء الوحشة الا صحبة من لا احتشمه
اى لا اعده من اهل الحشمة والحرمة ولا اقوم فى حقه بما يجب على من الخدمة
فانه قد يكون عالما فى هيئة العامة او يكون وليا فى صورة احاد الامة كما يشير
اليه قوله عليه السلام كم من ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره منهم عمار
ابن ياسر رواه ابن عساكر عن عايشة وفى رواية رب اشعث اغبر ذى طمرين
تنبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره رواه الحاكم وابو نعيم عن ابى هريرة و
وروى ابن عدى عن ابى امامة رب عابد جاهل ورب عالم فاجر فاحذروا
الجهال من العباد والفجار من العلماء وروى البيهقى عن ابن عمر مرفوعا كم من عاقل
عقل عن الله امره وهو حقير عند الناس ودميم المنظر ينجو غدا وكم من ظريف اللسان
جميل المنظر عظيم الشان هالك غدا فى القيمة وقيل ليس فى اجتماع الاخوان
انس اى فى عالم الخلاف والوفاق لوحشة الفراق اى اما بالحيوة واما بالممات
او بانقلاب المحبة عداوة او العداوة محبة ولذا ورد احبب حبيبك هونا ما
عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك
هونا ما رواه الترمذى وغيره عن ابى هريرة وفى الجملة من الامر اليقين ان الاخلاء

ان يكون اخا لك فى الله ويكفيك
ظاهره ان يكون فى مقام تقواه فلا
تفحص عما فى باطنه مما لا يطلع

يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل الشرف اى شرف الحال وعدم
الملال فى المآل فى ثلاثة اى من الافعال اجلال الكبير اى تعظيمه وتوقيره و
ومداراة النظير اى بالمواساة معه فى نقيره وقطميره ورفع النفس عن الحقير
اى عدم الصحبة معه لئلا يكون سببا لتشويش خاطر الفقير وقيل الجلساء
ثلاثة اى عند العقلاء جليس يستعيد منه اى علما او حالا او مالا ومنالا
فلازمه اى ان كان غرضك عنده موجودا وجليس تفيده فاكرمه فانه كان
يجب حرمة المعلم ينبغى حرمة المتعلم وجليس لا يستفيد منه ولا تفيده فاهرب
منه اى فانه يضرك ولا تنفعه وهذا مقتبس من حديث الناس رجلان عالم
ومتعلم ولا خير فيما سواهما رواه الطبرانى عن ابن مسعود ومن ادابهم ترك
الثلثة اى الكبر والعجب والصولة اى الخفة والعجلة والحملة من غير التودة قال
ابو على الرد وباى الصولة على من هو فوقك اى فى القوة والقدرة والشوكة
قحة على زنة عدة اى وقاحة وعلى من هو مثلك سوء ادب اى جهالة وقباحة
وعلى من هو دونك عجز اى عن مقام الصبر والتحمل والعفو مع القدرة
وقال بعضهم من ولى ولاية اى عن تولى منصبا دينيه او دنيويه فتاه فيها اى
فتكبر فى تلك الولاية وتجبر فى تلك الحالة اخبر اى شهد على نفسه واقر بلسان
الحال الذى هو ابلغ من بيان القال ان قدره دونها اى وانه لا يليق بها ولا
ينبغى لها ومن تواضع فيها اى بالتلطف مع اهلها اخبر ان قدره فوقها
اى فوق تلك المرتبة فيستاهل الترقى فى رفعة المنزلة ولعل هذا ماخوذ من
الحكمة التى جعل الله سبحانه غالب الانبياء راعيا للغنم ومراعيا لسرحته
ليظهر انار رعايته فى حق رعيته وانوار عنايته فى حق افراد ولايته وقيل
ان عجب المرء بنفسه احد فساد عقله كذا فى النسخ والظاهر احد علامات
فساد عقله او احد اسباب افساد عقله والحاصل ان عجبه بنفسه اما العدم
عقله او لنقصه قال الله تعالى تلك الدار الاخرة اى الدرجات الفاخرة

والحالات

والحالات الداخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض اى تكبرا ولا فسادا
اى تجبرا وعنادا واعلم ان الكبر يستدعى متكبرا عليه وبه ينفصل الكبر عن العجب
فان العجب لا يستدعى غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان
يكون معجبا ولا يتصور التكبر الا مع الغير وهو ان يرى نفسه فوق ذلك الغير
فى صفات الكمال وقد قيل لعائشة رضى الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت
اذا ظن انه محسن وليحذر المتادب اى فى مقام الامين ان يحقر احدا من المسلمين
لان من اسلم سلم ان يكون حقيرا سواء يكون غنيا او فقيرا فقد روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم الحديث
رواه مسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا
ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا
عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى
ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرار بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم
كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه كذا اورده النووى فى الاربعين
وقد شرحناه بتوفيق خير المعين وقال عليه السلام من استذل مؤمنا او
مؤمنة اى فى حال من احواله او حقره لفقره اى لاحتياج اليد او الى غيره بحسب
ظاهر امره وقلة ذات يده اى دخلوها من دراهمه ودنانيره شهره الله
يوم القيمة اى بسوء خصاله من تكبره بكثرة ماله ثم يفضحه الله اى بعقابه وشر
ماله وقد روى احمد عن سهل بن حنيف مرفوعا من اذل عنده مومن فلم ينصره
وهو يقدر على ان ينصره اذله الله على روس الاشهاد يوم القيمة وقال
بعضهم من رضى الله به عبدا اى كاملا او ناقصا بان يكون مسلما فارض
به اخا فانه كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة وكما ورد المسلم اخو المسلم واما
الاخوة الخاصة فى الدنيا فينبغى ان يكون مع اهل التقوى فانهم النافعون فى
الدنيا والاخرى ولانهم المقربون عند المولى واذا حضر به اى بمنزله ومكانه احد

من اخوانه او جماعة اى طائفة من اصحاب زمانه قدم لهم من الطعام و
والشراب ما حضره اى فى ذلك الوقت لان خير الطعام ما حضر قل او
كثر اى لقلة التكلف والمنة ولعدم تكفير النعمة وقد قال تعالى قل ما اسألكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين وورد انا واتقيا امتى برءاء من التكليف
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم هلاك المرء ان يدخل رجل من اخوانه
اى ضيفا او زائرا فيحتقر ما فى بيته اى مما اعطاه الله ان تقدم اليه اى
تحقير الالديه وهلاك القوم ان يحقروا ما قدم اليهم اى بعدم الالتفات
اليه وعدم الاقبال عليه وذلك لما يوجب كسر خاطره واحتقار ما عنده من
محاضره وذلك لانما طلبهم الى طعامه وانما حضروه باختيارهم لسلامتهم او
كلامه وقد انبسط باحضار ما لديه فى مقامه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها
وانما المذموم امتناع تقديم ما يكون عنده من المعلوم من اثر البخل الذى هو
الشوم وقد ورد لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه
طلق وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان من مكارم الاخلاق
اى من جملة الاخلاق المكرمة والشمائل المعظمة التزاور فى الله اى لانه من
علامات الحب فى الله وحق على المزور ان يقرب الى اخيه اى الزائر له ما تيسر عنده
اى من مأكول ومشروب لديه وان لم يجد الا جرعة من ماء اى فانه ينبغى ان يعرض
عليه او يضعه بين يديه فلعله يرغب اليه فان احتشم اى استحى واستقر ان
تقدم اليه ما تيسر له اى من نعم الله لديه لم يزل فى مقت الله اى شدة غضبه
وسخط يومه وليلته اى حيث حقر ما اعطاه الله من نعمته واحرم ضيفه مما
احتاج اليه فى نزلته وترك ما يجب عليه من كرامته الا ترى ان ابرهيم
عليه السلام لما دخل عليه ضيفه المكرمون اى وهم الملائكة المقربون بصورة
الضيف عنده نازلون ما لبث اى ما توقف وما مكث بل يعجل ان جاء بعجل
حنيذ اى مشوى وفى اية بعجل سمين ولا منافاة بينهما فى مقام الجمع المبين

وحكى

وحكى عن الحسن البصرى انه كان اذا استأذن عليه بعض اخوانه اى بان
يدخل فى مكانه تعظيما لشانه ان كان عنده طعام اى حاضر اذن له اى فى
الدخول لما عنده من اسباب الوصول وان لم يكن عنده اى ما يقربه لديه خرج
اليه ولا يتكلف فيما حضره اى بالعرض عليه وقد روى عن ابى البخترى انه قال
نزلنا اى اضيفا على سلمان اى الفارسى بالمدائن وهو بلد كبير قرب الكوفة
كان موضع تخت الكسرى وديوانه وفيه شرف ابوانه لكنه لم يستسعد
بدولة اعانه فقرب الينا خبزا وسمكا اى حوتا طريا او مالحا سريا وقال كلوا
نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التكلف اى باحضار ما لم يكن
موجودا ولولا ذلك اى النهى عما هنالك لتكلفت لكم اى بتحصيل ما يكون
عندى الان مفقودا والحديث رواه الحاكم فى مستدركه عن سلمان انه عليه السلام
نهى عن التكلف للضيف ولما ورد ابو حفص النيسابورى اى مع اصحابه على
الجنيد اى زائرا وضيفا حاضرا تكلف اى بالغ الجنيد فى خدمتهم اى واداب
ضيافتهم واكثر من اطعمتهم فانكر اى ابو حفص عليه ذلك اى لتجاوزه
عن الحد هنالك وقال اى للجنيد لو دخلت خراسان علمناك اى اظهرنا لك
كيف الفتوة اى اللائقة باهل المروة فقيل له فى ذلك اى فى تحقيق ما هنالك
فقال صيّر اصحابى مخانيث اى لكمال التنعم وسعة العيش والحال خرجوا عن
مراتب الرجال وتركوا العزيمة ورضوا بالرخصة فى الاحوال وسببه ان الجنيد
كان تقدم لهم الوان الطعام واللباس والطيب كل يوم يعنى والنفس اذا
الفت بالتنعم فى المأكولات والملبوسات وتعودت باللذات والشهوات
يصعب عليه الطاعات والعبادات كما اشار الى هذه الزبدة صاحب البردة
بقوله والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم
وانما الفتوة عندنا اى معاشر اهل خراسان ترك التكلف اى بتحصيل ما ليس
عندنا كالتسلف واحضار ما حضر اى سواء قل او كثر ثم قال اى للجنيد اذا حضر

الفقراء فاخدمهم بلا تكلف اى فى كثرة الطعام وكيفيته وكن معهم كما كنت
قبل مجيئهم حتى ان رجعت جاعوا وان شبعت شبعوا اى كما ورد اجوع
يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر نظرا الى مقامى القبض والبسط المستفاد من
قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى بمقتضى نعوت جماله وصفات
جلاله حتى يكون مقامهم عندك وخروجهم من عندك واحدا اى سواء فلا
يفرح بخروجهم ولا يشتغل بولوجهم قال يوسف بن الحسين قلت لذى النون
اى المصرى من اصحب من الناس فى مقام الايناس قال من اذا مرضت عادك
اى ولو لم تعده فى مرضه واذا اذنبت تاب لك اى دعا بالتوبة لاجلك او اظهر
لك وجها فى تخليص ذنبك او قبل عذرك فى فعلك وقولك ورجع عليك
بما كان قبل ذلك وانشد اذا مرضتم اتيناكم نعودكم بالاسباع وتذنبون فنأتيكم
ونعتذر اى بان نقول الذنب منا وانتم معذورون عنا وقيل ليس بصاحب
اى خالص موافق من نقول له قم بنا اى لنتوجه الى مكان خطر بالنا فيقول الى
اين اى للاشعار بانه لا ينبغ هوى صاحبه بل ينظر الى هوس مابه واختيار لبابه
ولعل هذا مقتبس من قوله تعالى فى حق المنافقين لو كان عرضا قريبا وسفرا
قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وبحسب البذاء بفتح الباء اى
فحش اللسان بالايذاء فانه يهيج البغضاء اى يثير العداوة والبغض فى الملاء
والخلاء قال الله تعالى اى فى حق المنافقين مع الموافقين قد بدت البغضاء
من افواههم اى السنتهم وما تخفى صدورهم اكبر اى مما اظهروا فى المحضر فان
الاسرة تدل على السريرة وقد ورد البذاء شوم وسوء الملكة لوم رواه الطبرانى
عن ابى الدرداء وقال بعضهم الناس ثلاثة اصناف صنف كالغذاء لا يستغنى
عنه اى عن صحبته كالمشايخ والعلماء والاباء والاقربا الصلحا فان خدمتهم
غذاء الاشباح وصحبتهم غذاء الارواح وصنف كالدواء يحتاج اليه فى الاحيان
كالقضاء والاطباء وبعض الامراء وصنف كالداء فيجب الاحتماء منه ومجانبته

عنه كالظلمة والفسقة والسفهاء وتجتنب صحبة الاشرار اى وتغتنم خدمة الاخيار
وقد ورد فى الاخبار خيار امتى الذين يشهدون ان لا اله الا الله وانى رسول الله
الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤا استغفروا واشرار امتى الذين
غذوا بالنعيم ياكلون انواع الطعام ويلبسون اصناف الثياب ويركبون
انواع الدواب ويتشدقون فى الكلام اى يتوسعون بالنطق فى جميع الابواب
رواه الحاكم عن عبد الله بن جعفر ويؤيده حديث اتقوا مجالسة الموتى
يعنى الاغنياء وجاء فى رواية خيار امتى علماؤها وخيار علمائها رحماؤها
الا وان الله تعالى ليغفر للعالم اربعين ذنبا قبل ان يغفر للجاهل ذنبا واحدا
رواه ابو نعيم وغيره عن ابى هريرة وروى احمد وغيره عن عبادة بن الصامت
خيار امتى الذين اذا راوا ذكر الله وشرار امتى المشاؤن بالنميمة المفرقون
بين الاحبة وروى الطبرانى عن على خيار امتى احداؤهم الذين اذا غضبوا
رجعوا وروى البزار عن معاذ مرفوعا شرار الناس شرار العلماء فى الناس
ويؤيده حديث اشد الناس عذابا يوم القيمة لم ينفعه الله بعلمه وروى
القضاعى عن ابى هريرة خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع ويؤيده
قول الحسن البصرى ان فساد الدين الطمع وصلاحه الورع وروى الطبرانى
عن ابى امامة مرفوعا ان من شرار الناس عند الله منزلة يوم القيمة عبدا اذهب
اخرته بدنيا غيره وقد قيل مصاحبة الاشرار خطر اى فيه الخطر ومن صاحبهم
قد بالغ بالغرر بالرائين اى فى الغرور كما فى نسخة وفى اخرى بالغدر بالدال
والراء اى فى نقض العهد وخلف الوعد واما مثله كمثل راكب البحر اى الذى
فيه الخطر ان سلم ببدنه من الغرق لم يسلم بقلبه من الحذر اى الخوف من الكدر وقيل
من اكمل السعادة والرشاد اى الهداية الى زاد المعاد ومن توفيق الطاعة والعبادة
صيانة الحر نفسه من الاوغاد اى من اهل الفساد واصل الوغد الاحمق الردى
والرذل الدنى والمراد من الحر من لم يستعبده هواه ولم يسترقه دنياه ولم يغلب

عليه هواه واخلص في عبادة مولاه وتخلص عن ملاحظة ما سواه وقيل من
يصحب صاحب سوء بفتح السين وضمها اي شر وخبث لم يسلم اي من اثر صحبته ومضرة
عاقبته ومن يدخل مدخل سوء اي مظنة يتهم اي في ديانته وامانته ويتكلم في عرضه
وطريقته وقد ورد من حكى مع ظالم فقد اجرم رواه الديلمي وغيره عن معاذ
ابن جبل وروي اتقوا مواضع التهم وقيل كل احد يعرف بقرنائه وينسب الى
خلطائه قال تعالى قل كل يعمل على شاكلته وقد ورد المرء على دين خليله فلينظر
احدكم من يخالل ومن القواعد العزيزة ان الجنسية علة الضم وفي الحديث
الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وروي
انه وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قوم فقال الا اخبركم بخيركم من شركم
خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره
رواه الجماعة عن انس وفي رواية البيهقي عن الحسن مرسلا خيركم ازهدكم
في الدنيا وارغبكم في الاخرى وفي رواية الخطيب عن انس خيركم من لم يترك
اخرته لدنياه ولا دنياه لاخرته ولا يكن كلا على الناس وفي رواية اخرى
كما في مسند احمد وغيره من احب اخرته اضر بدنياه اضر باخرته فاثر
ما يبقى على ما يفنى والحاصل ان من غلب خيره وشره ففي مصاحبته خير
ومن غلب شره خيره فلا خير في صحبته بل ولا في رؤيته فصل في ذكر
ادابهم في الاسفار اي للسير الباطن والسلوك الظاهر المستفاد من قوله تعالى
قل سيروا في الارض فانظروا ومن قوله سبحانه فاعتبروا يا اولي الابصار
قال تعالى رجال اي لهم احوال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اي انهم
لا يشتغلون ببيع وشراء حتى يمنعهم عن طاعاتهم وعباداتهم او انهم
في اثناء معاملاتهم لا ينسون ذكر ربهم في تنوع حالاتهم والاول حال المبتدي
والثاني مقام المنتهي ويؤيد المعنى الثاني ما ورد في السبع المثاني كما اشار
اليه قوله سئل النبي صلى الله عليه وسلم من هم قال هم الذين يضربون

في ذكر ادابهم في الاسفار

في الارض

في الارض اي يسافرون فيها للتجارة ونحوها يبتغون من فضل الله اي
رزقه الحلال فمن طرق المكاسب من احسن وجهها ويقوي المعنى الاول
قوله سبحانه للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا
في الارض الاية بتمامها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سافروا
تصحوا اي لان البر هاهنا ابر رواه ابو نعيم وغيره عن ابي سعيد وزادوا
في رواية عن ابن عمر وتغنموا اي مما يوخذ عندكم^ش سافروا تصحوا واغزوا
تستغنوا وقال الغريب شهيد رواه ابن عساكر عن علي وفي رواية ابن
النجار عن ابن عباس مرفوعا الغريب اذا مرض فنظر عن يمينه وعن شماله
ومن امامه ومن خلفه فلم ير احدا يعرفه يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وفي
رواية ابن ماجه عن ابن عباس موت الغريب شهادة ويفسح للغريب في قبره
اي يوسع لاجله كبعده من اهله اي مقدار مسافة ما بينه وبين اهل بلده
واقاربه وقد ورد من مات مرابطا في سبيل الله امنه الله من فتنة القبر قال
ابو حفص النيسابوري ينبغي للمسافر ثلثة اشياء اي وجودها ترك تدبير
الزاد اي اعتمادا على تقدير رب العباد وتقدير الطريق اي وترك تعيين
السبيل وتحرير المقصد من البلاد لانه سبحانه قال وما من دابة الا هو
اخذ بناصيتها والدنيا كلها لله سبحانه بناصيتها وقد قال تعالى هو الذي
يسيركم في البر والبحر اي وفق ما اراد من القضا والقدر ويعلم الله تعالى
حافظه اي حافظ حاله من الفساد لقوله تعالى فالله خير حافظا اي من
شر اهل العناد وافضل السفر الجهاد اي اذا كان فرض عين وذلك لانه
عمود الدين وذروة سنامه ثم الحج فانه كمال اسلامه والعمرة من توابع الحج
واداب اتمامه ثم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فانه من افضل القربات
بل قال بعضهم انه من الواجبات قال النبي صلى الله عليه وسلم وفد الله ثلاثة
الحاج اي جنس المراد به الحجاج والغزاة والمعتمرون اي الزائرون لبيت الله

ش في الحضر وفي رواية ابن عدي سافروا
تصحوا وترزقوا وفي رواية احمد
عن ابي هريرة ع ح

حديث

مطلب

والحرم رسول الله رواه النسائی وغيره عن ابی هريرة بلفظ وفد الله ثلاثة
الغازی والحاج والمعتمر وهذا اللفظ اوفق فی الترتيب بما تقدم والله اعلم ثم
زيارة المسجد الاقصی ای من المستحبات الموجبة للدرجة العليا قال النبی صلی
الله عليه وسلم لا تشد الرحال ای لا تساق الرجال لتحسين الحال الا الی ثلاثة
مساجد وفی نسخة مواضع ای مشاهد المسجد الحرام وقدم لانه اقدم ولانه بيت
الله الاعظم والمسجد الاقصی وقد روی ان بينهما اربعون سنة والله اعلم
وهو مسجد الانبياء الكرام عليهم السلام ومسجدی هذا وهو مسجد خاتم الانبيا
شهودا ومبدا الاصفياء وجودا والحديث رواه الشيخان وغيرهما عن جماعة
من الصحابة بلفظ لا تشد الرحال الا الی ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدی
هذا والمسجد الاقصی وفيه الاشارة الی ترتيب فضائل المساجد كما ورد
صلوة فی المسجد الحرام مائة الف صلوة وصلوة فی مسجدی الف صلوة وفی
بيت المقدس خمسمائة صلوة رواه البيهقی عن جابر ثم لطلب العلم ای من
فروض الاعيان لقوله تعالی ومن يخرج من بيته مهاجرا الی الله ورسوله
الاية والحديث من خرج من بيته فی طلب العلم فهو فی سبيل الله حتی يرجع
رواه الترمذی وغيره عن انس ثم لزيادة المشايخ ای الكبراء من الاولياء
والاخوان ای الاقران من الصلحاء ليستفيد من كمالاتهم ويستفيض من
بركاتهم قال النبی صلی الله عليه وسلم حقت محبتی ای ثبتت ووجبت
ارادة رحمتی او ايصال نعمتی للمتحابين فی ای لاجلی والمتزادرين فی ای بسنتی
الحديث ای بطوله معروف عند اهله وقد ورد المتحابون فی الله علی كراسی
من ياقوت حول العرش رواه الطبرانی عن ابی ايوب وروی الديلمی فی مسند
الفردوس عن انس الزائر اخاه المسلم اعظم اجرا من المزور وفی رواية الخطيب
عنه بلفظ الزائر اخاه فی بيته الاكل من طعامه ارفع درجة من المطعم له وعن
ابی رزين قال قال رسول الله صلی الله عليه وسلم زر فی الله ای من اهل الله

لا تشد الرحال الا الی ثلاثة مساجد

ابتغاء

ابتغاء لرضاه قال من زاد فی الله شيعه سبعون الف ملك ای استقبلوه
او مشوا معه وعظموه فقد روی ابو نعيم عن ابن عباس هذا القدر من الحديث
يقولون ای دعاء له اللهم صله ای فيما يرضيك كما وصله فيك وناداه مناد
ای من عنده سبحانه ان طبت ای ماويك ومثواك وطاب ممشاك ای فی
طاعة مولاك ومخالفة هواك وتبوات من الجنة مقعدا ای نهايات من
منازل الجنة حيث شئت ثم لرد المظالم ای مظالم العباد يجب عليه السفر
فی البلاد بان يرضيهم اما بالاداء او بالاستحلال ثم لطلب الاثار والاعتبار
لقوله تعالی قل سيروا فی الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا فی الارض ولقوله سبحانه فانظر الی اثار
رحمة الله كيف يحيی الارض بعد موتها ولقوله تعالی فاعتبروا يا اولی الابصار
ثم لرياضة النفس ای الحاصلة فی الاسفار وخمول الذكر فان الغريب يغلب
عليه عدم الاشتهار ولذا كان الابرار ما اقاموا فی البلدان علی وجه القرار
وقد قيل الخمول راحة ولا احد يرضيها والشهرة افة وكل يتمناها ولا يسافر
للنزهة ای للفرجة باتساع النظر والبطر ای لطغيان النعمة فی الاشر والرياء
ای بملاحظة الخلق فيما عنده من الخير والخبر والجولان فی البلدان لطلب الدنيا
علی متابعة الهوی ای من غير موافقة الهدی قال ابو تراب النخشبی ليس
شیء اضر علی المريدين ای من المبتدئين من اسفارهم علی متابعة هواهم فانها
شاغلة ومانعة من تحصيل هداهم وملازمة عبادة مولاهم وما فسد من فسد
من المريدين الا بالاسفار الباطلة ای فانها تورث الاحوال الضائعة والاخلاق
العاطلة وقال النبی صلی الله عليه وسلم ياتی علی امتی زمان يحج اغنياؤهم
للنزهة ای لتفرج البلدان والاختلاف الاحوال واوساطهم للتجارة ای
لتكثير الاموال وقراؤهم ای علمائهم وعبادهم للرياء ای اظهار الفضائلهم
واشعار الفواضلهم وفقراؤهم للمسالة ای بسوء حالهم وقبح مالهم فی طلب

مالهم على طريق سوالهم وقال عمر رضى الله عنه الا للتشبيه ان الوفد كثير اى
الوافدون كثيرون والحاج قليل اى الحجاج الخالصون فى سبيل الله القاصدون
لابتغاء رضاه قليلون بل اقل من القليل كما يشير اليه قوله تعالى الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وقليل ما هم ولا يسافر بغير رضى الوالدين كما ورد من ان
رضى الرب فى رضاء الوالدين وسخطه فى سخطهما رواه الطبرانى عن ابى
عمرو والاستاد اى العالم او الشيخ الذى منه استفاد فان حقوقهما كحقوق
الوالدين بل ابلغ فان الوالدين من اسباب الايجاد وهما من اصحاب الارشاد
والامداد فى مقام الاسعاد وبغير اذنهم حتى لا يكون عاقا فى سفره فلا يجد
اى حينئذ بركات اسفاره اى وانوار اسراره وهذا اذا لم يكن سفره فرض عين
لحجة الاسلام وطلب علم الاحكام واذا كان فى جماعة اى ركوبا او مشاة مشى
مشى اضعفهم اى سار سير اضعفهم رفقا بهم ووقف لوقوف الرفيق
اى لحاجة له فى اثناء الطريق فقد ورد ان من المروه ان يمضت الاخ لاخيه
اذا حدثه ومن حسن الانشاء ان يقف الاخ لاخيه اذا انقطع شسع
نعله رواه الخطيب عن انس ولا يؤخر الصلوة عن اوقاتها اى المستحبة
المختارة فى حال اتيانها ما امكن اى مهما امكن مراعاتها واما الغفلة عنها حتى
يخرج اوقاتها فحرام ولو اتى بها بعدها بكراتها ومراتها ويؤثر المشى على
الركوب لان فيه تقوية البدن المكتسب وتسهيل للمركب وتفريح لقلب المكارى
بهذا السبب الا عند الضرورة اى فانه يتعين عليه الركوب فى هذه الصورة
فان سفره للرياضة وطلب الزيادة اى فى سلوك العبادة التى هى طريق ارباب
السعادة وقد قدم الله سبحانه المشاة فى قوله واذن فى الناس بالحج يأتوك
رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق والرجال هنا جمع راجل بمعنى
الماشى قال وعلى كل ضامر عطف عليه اى وراكبين على كل بعير ضعيف نحيف
يأتين من كل طريق الى بيت الله العتيق ليشهدوا منافع لهم دينية ودنيوية

ورد

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان للحاج الراكب بكل خطوة يخطوها
راحلته سبعون حسنة وللراجل اى للحاج الماشى بكل خطوة سبعمائة حسنة
من حسنات الحرم اى حرم بيت الله الحرام وقيل المراد المسجد الحرام قيل وما
حسنات الحرم قال الحسنة بسبعمائة الف حسنة رواه الهروى والطبرانى
والحاكم والبيهقى عن ابن عباس مرفوعا وروى ان الملائكة تعانق الرجال
اى المشاة فى طريق مكة اى حين رجوعهم وتصافح اصحاب الرحال اى الراكبين
وفى نسخة اصحاب الزوامل وتسلم من بعيد على اصحاب المحامل اى اذا كان محاملهم
من قبيل المحامل فى المحافل والحاصل ان ركوب الجمل من غير المحمل افضل ثم المشى
افضل من الركوب لمن يطيقه ولا يسئ خلقه ويؤيده ما عن ابى هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانى انظر الى موسى بن عمران منهبطا
من ثنية هرشا ماشيا اخرجه ابن حبان فى صحيحه وروى ابن عباس ان الانبياء
كانوا يدخلون الحرم مشاة حفاة ويطوفون بالبيت ويقضون المناسك
حفاة مشاة وانما حج نبينا صلى الله عليه وسلم راكبا رحمة للامة وشفقة
على العامة وليظهر عمله فيقتدى الناس بفعله فالركوب كان افضل فى حقه
واما تصحيح الحاكم خبر ابى سعيد الخدرى حج النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه
مشاة من المدينة الى مكة فغير صحيح اللهم الا ان يقال واصحابه مشاة جملة
معترضة والمراد بعضهم واذا كان فى جماعة بذل جهده فى خدمتهم ما امكن
اى فى حضرتهم وغيبتهم ويرفع عنهم مؤنتهم اى مؤنة مشقتهم ويختار
على محنة راحتهم فقد روى عن عدى بن حاتم انه قال قلت يا رسول الله
اى الصدقات افضل قال خدمة الرجل اصحابه فى سبيل الله وقد تقدم
حديث ذهب المفطرون بالاجر اليوم وحديث سيد القوم خادمهم وروى
عن ابى هريرة مرفوعا من خبر لاصحابه فى طريق مكة سبقهم الى الجنة بالفعام
ومن ادابهم اى فى سفرهم اذا دخل اى احدهم بلدا فان كان فيه شيخ اى مرشد

مطلب حج النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رسول مشاة بين المدينة الى مكة فغير صحيح

حديث

قصد زيارته اى ونوى خدمته وصحبته ليتوب بركاته وان لم يكن قصد
موضع الفقراء اى زاوية من الزوايا وان كان فيه مواضع قصد اقدمها اى
عمارة واكثرها جمعا اى جماعة واعظمها حرمة اى احتراما وكرامة وتفقد
موضع الطهارة اى وما يحصل فيه من النظافة خصوصا المياه الجارية فيه اى
او الحياض الكبيرة بما فيه فيؤثر النزول عليها اى فيختار المقام وما حولها
دون غيرها اى من الاماكن البعيدة عن موضع الطهارة واسباب النظافة
وان لم يكن موضع اى معين للفقراء ولا لهم جمع اى من الصلحاء نزل على
اكثرهم محبة لهذه الطائفة اى من اهل القرية واكثرهم ايمانا بهم اى تصديقا
بطريقهم وميلا اليهم اى الى فريقهم واذا دخل دويرة الصوفية تصغير دار
تنحى ناحية اى تبعد الى جانب لم ينظر احد اليه ونزع خفيه يبدا باليسرى
فى النزع وباليمنى فى اللبس اى عكس التنعل فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم
اذا انتعل احدكم فليبدا باليمنى اى فليختم باليسرى واذا نزع فليبدا باليسرى
اى فليختم باليمنى وفى الصورتين تكرمة لليمنى كما فى دخول المسجد وخروجه و
مدخل المستراح ومخرجه والحديث رواه احمد ومسلم عن ابى هريرة بزيادة
لتكون اليمين اولهما تنزع واخرهما تلبس لزيادة المبالغة والتاكيد فى
الميامنة وفيه تنبيه نبيه على ان الاولى للصوفى ان نزع خفه عند انتهاء
السفر بناء على مراعاة رواية مالك من عدم جواز المسح عليه فى الحضر ثم
يقصد موضع الطهارة ويتوضا اى او يغتسل ويصلى ركعتين اى شكرا
للوضوء او تحية المسجد او المجالس او سنة من السنن او فريضة من الفرائض
اداء وقضاء وان كان هناك شيخ مقصود اى معروف مشهور قصده
وزاره اى بان يصافحه ان كان اكبر منه او معانقة ان كان مساويا له او اصغر
منه واما قوله وقبل راسه ففيه نظر اذا لم يعرف له خبر ولا اثر الا ان يكون
حدثا اى شابا فيقبل يده وروى كعب بن مالك اى احد الثلاثة الذين

تخلفوا عن غزوة تبوك وهم المرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم
انه قال لما نزلت توبتى اى وتوبة صحابى بقوله سبحانه وعلى الثلاثة الذين خلفوا
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلت يده والحاصل ان تقبيل يد الانبياء
والاولياء والعلماء والصلحاء والاباء والكبراء من الاقرباء مستحب بخلاف
تقبيل ايادى الامراء والاغنياء وامثالهم من السفهاء فانه مكروه عند جميع
الفقهاء الا لضرورة الالجاء وحكى ان عبد الله بن حفيف وهو شيخ الاسلام
الشيرازى قبل يد الحسين بن منصور اى بناء على حسن ظنه به بانه من المجاذيب
او المجانين فيما صدر عنه من الكلمات او حمله على الشطحيات فى غلبة الحال من
السكر والمحو تحت التجليات وفى الجملة اختلفوا فى المنصور وعلى قبوله الجمهور
باطنا وعلى انكاره ظاهرا وذلك لنقصانه مع كمال شانه وهو فى الحبس اى
بناء على فتوى العلماء بقتله فقال اى المنصور لو كان اليد يدنا لمنعناك
اى عن تقبيلها احتشاما لك واحتراما عرفناك ولكن اليد يد تتوبتها
اليوم ويقطع غدا اى يدوسها القوم فالامر بيد الله فيما قدره وقضاء
هذا وعن الشعبى انه قال كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يصافح بعضهم
بعضا واذا جاء احدهم عن سفر عانقه صاحبه وفى الاثر انه لما جاء جعفر
ابن ابى طالب من الحبشة قام له عليه السلام وعانقه على وجه الاكرام
وقبل فيل بين عينيه لفرحه بما وقع له من الاقدام ثم يجلس عند الشيخ ساعة
اى لاطمينان قلبه ولا يتكلم اى اظهار طاعة وانقياد لحكم ربه فلا يبتدى
ببيان احوال سفره وحضره وما جرى له من نفعه وضره واقوال نسبه وحسبه
ليدل على كمال ادبه الا ان يسأله عن شئ فيجيبه عن سؤاله اى على وجه غير
موجب لكلاله ولا يبلغه سلاما اى لاحد من المريدين الغائبين ولا يذكر
احدا اى من المشايخ المؤيدين المعتبرين فى امر الدين الا ان يكون نظرا له
فى الحال اى فى القدر والسن اى العمر فيجوز ذلك اى ما ذكر من تبليغ السلام

واعلام الكلام فى ذلك المقام ثم يرجع الى موضعه اى ويشتغل بورده
من ذكره وفكره وعلى المقيمين ان يسلموا عليه اى ويقعد والديه ويستأنسوا
اليه فحق القادم ان يزار روى ان بعض الصالحين لما رجع عن الحج الى
بغداد بداء بالسلام على الجنيد تعظيما للاسناد لئلا يتكلف بالماتى اليه
والسلام عليه فذهب الجنيد الى محله وقال ماتاك الى كان من فضلك مطلب
ومجئ اليك من حقك الان يكون بمكة وكذا بالمدينة فان عليه اى على القادم
من المسافرين زيارة المجاورين لحرمة الحرم اى لاحترام حرم بيت الله الحرام وحرم
رسوله عليه السلام ثم يقدم اليه بصيغة المجهول اى يوضع للقادم عليه
فى هذا المقام ماحضر من الطعام من غير تكلف اى من المبالغة فى الاكرام فقد
قيل الادب مع الضيف ان يبداء بالسلام ثم بالاكرام ثم بالطعام ثم بالكلام
كصنع ابرهيم الخليل عليه السلام مع ضيفه الكرام اى المقربين حالاً ومقاماً
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً اى سلمنا عليك سلاماً او فسلموا سلاماً قال
سلام اى منى عليكم او عليكم سلام والتنكير للتعظيم فى السلامين فما لبث
اى مامكث رعاية للاكرام حتى لاسطر الكرام ان جاء بعجل حنيذ اى مشوى
وفى اية اخرى سمين لانه الزماكان عنده من الطعام ولايسأل اى القادم لامن
الشيخ ولامن الخادم عن احاديث الدنيا واهلها لا فى مدحها ولافى ذمها فانه
مما لايعنيه وقد ورد ان من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه بل عن احوال
المشايخ والاصحاب والاخوان اى فى محبة الله وطريق رضاه روى ان جماعة
دخلوا على اربعة فتكلموا فى ذم الدنيا فقالت قوموا عنى فان من احب شيئاً
اكثر ذكره ويحب على المسافر استصحاب ركوه اى دلو او ابريق او كوز اى
كبير للطهارة اى اصالة وللشرب تبعاً والركوة اى الدلو اولى لانه اعم نفعاً
كما لايخفى قيل كان بعض المشايخ اذا صافح المسافر نفقد اثر حمل الركوة فى كفه
واصابعه فان وجده احسن قبوله اى واستحسن وصوله والا ازدراه اى

استنقصه

استنقصه وعابه ورده اى بعد الالتفات وفى نسخه وليس معه ركوة ولا
كوز فاعلم انه عزم على ترك الصلوة اى على وجه الكمال فى الطهارة لانه يضطر
غالباً الى التيمم بدل الوضوء والغسل وكشف العورة شاء او ابى ولايخفى
انه كان حقه ان يقول بدل ولا كوز ولا ابرة ليتفرع عدمها على كشف العورة
ويستحب للمسافر استصحاب العصا اى لانها من سنن الانبياء ويحتاج
اليها فى الاشياء خصوصاً اذا كان فيها حديدة فانها نافعة للاحباء ودافعة
للاعداء والابرة اى الكبيرة والصغيرة والخيط اى للاحتياج اليها فى ستر
العورة ودفع الحر والقر بالضرورة والمقص اى المقراض لينفعه فى باب
الحماط وقص الشارب والظفر والموسى اى الحداد ونحوها كالسكين والمكحلة
والمرأة والمسواك والمشط فان ذلك مما يستعين به على اداء الفرايض اى
فى بعض الاحوال وعلى اداء السنن فى بعض الافعال كما يجب اى تارة وينبغى
اخرى على وجه الاخرى فى طريق الاخرى فاذا اراد السفر اى فى الابتداء
والانتهاء فمن الادب ان يطوف على اخوانه اى يدور عليهم تواضعاً اليهم
ويعرفهم خروجه اى مما لديهم ويقول استودع الله دينكم وامانتكم و
خواتيم اعمالكم وفى الحديث اذا اراد احدكم سفرا فليسلم على اخوانه فانهم
يزيدونه بدعائهم الى دعائه خيرا رواه الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة
ويستحب لمن هو فى صحبته اى من اهل محبته تشييعه اى مشيهم معه
فى خدمته ودعوتهم وفى حضرته بان يقولوا زودك الله التقوى وغفر
ذنبك ووجهك للخير حيث ماتوجهت وفى غيبته بان يقولوا اللهم اطوله
البعد وهون عليه ورده الى بلده سالماً غانماً كذا كان ادب المشايخ اى
العلماء الكرام تبعاً لما ورد من الاحاديث عنه عليه السلام ويجتهد ان لايفوته
شئ من الاوراد اى من الفرايض والمستحبات خاصة الواجبات اى فانها اهم
المهمات فقيل ان كان فى المنزل فياتى بالسنن المؤكده والمستحبه وان كان فى السير

الى دخوله لنقصان محصوله
وقال بعضهم اذا رايت الصوفى
لبس ... مع

ولم ينتظر له الغير فيكتفي باداء الفرائض الذي محض الغير ونية المؤمن
خير من عمله وفي الحديث ان ما فاته المسافر في سفره مما كان يعمل في حضره
يكتب له جميع اجره وكذا حكم المريض والعاجز عن العباده لضعفه وكبره
وكانه مقتبس من قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير
ممنون اي غير مقطوع وقال ابو يعقوب السوسي يحتاج المسافر الى اربعة
اشياء في سفره والا فلا يسافر اي بل يقيم في حضره علم يسوسه اي يؤدبه
في باب الطاعات وورع يحجزه اي يمنعه ويحجبه عن ارتكاب الشبهات
السيئات وخلق اي حسن يصونه اي يحفظه عن سوء العشرة في مقام
الخلطة ونعت يحمله اي على التوكل في باب المعيشة وقد ورد ثلاث خلال من
لم يكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيرا منه ورع يحجزه عن محارم الله
او حلم يرد به جهل جاهل او حسن خلق يعيش به في الناس رواه البيهقي عن
الحسن البصري مرسلا وسئل رويم عن ادب المسافر فقال لا تسبق همته
خطوته يعني يضع قدمه حيث يكون همه من امر يهمه او سير يتمه وحيث
ما وقف قلبه اي في حضوره كان منزله اي فلم يتجاوز عن محله الذي نهاية
مقصده وهذا مقام ارباب جمع الجمع الذي شهدوا الحق في ضمائرهم وسرائرهم
وتخلصوا عن تفرقة خواطرهم في بواطنهم وظواهرهم **فصل في ذكر آدابهم**
في اللباس قال الله تعالى وثيابك فطهر اي فقصر يعني ان تقصيرها

في ذكر آدابهم في اللباس

اقرب الى تطهيرها وفي حديث الشمائل للترمذي انه عليه السلام قال لبعض
اصحابه الكرام ارفع ازارك فانه انقى وابقى واتقى على ان اسبال الازار
من اعمال الفجار روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب
كل متبذل اي طالب بذلة الثياب وخلقانها لا يبالي ما لبس اي من القباء والعباء
وسائر انواعها والوانها وكان عمر رضي الله عنه يقطع من كمه ما جاوز الاصابع
اي مراعاة للسنة ولئن يقتدي به ائمة الامة وقد ورد انه عليه السلام كان

يلبس قميصا قصير الكمين والطول رواه ابن ماجه عن ابن عباس وفي رواية
ابن عساكر عنه ايضا انه عليه السلام كان يلبس قميصا فوق الكعبين مستوي
الكمين باطراف اصابعه وقال بعضهم الفقير الصادق اي في حاله مع الخالق
اي شيء لبس اي مما ليس منهيا عنه في الشريعة يحسن عليه اي في مقام الطريقة
اذ لا يتغير به الحقيقة ولا عبرة بالظواهر مع استقامة السرائر ومن يرى
اعرض عما سواه ويكون له فيه المهابة والملاحة اي كما كان عمر رضي الله عنه
يلبس الثياب المرقعة ومهابته في قلوب اعدائه المقطعة ونظير ما قالوا من
ان الله سبحانه اعطى انواع النعم الصورية للاغنياء وخص لذة الاكل
والشرب واللبس للفقراء الاولياء ومن آدابهم في ذلك اي في لبس ثيابهم
ان يكونوا مع الوقت اي بحسب ما يقتضيه ويتيسر له فيه يلبسون ما يجدون
من غير تكلف اي قصد تصنع ولا اختيار اي لحظة نفس ولا اعتبار ويقتصرون
على ما يؤذن به الفرض من ستر العورة لقوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم
عند كل مسجد اي صلوة وطواف وسجده ونحوها وما يدفع الضر اي البرد
والحر اي لضرورة دفع الشر كما يشير اليه قوله سبحانه وسرابيل تقيكم الحر
اي والبرد فهو من باب الاكتفاء وفي الاملاء ففي اي الثلاثة من الثياب
مما استثنى النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا اي من انه لا حساب على
صاحبها ولا عتاب في العقبى وفي مسند احمد عن الحسن مرسلا ثلاث لا
يحاسب بهن العبد ظل خص يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب
يواري به عورته وكانوا يتبرمون بكثرة اللباس اي يستثقلونها ويكرهونها
ويواسون اي فقراء الناس بالفضل اي عن الحاجة في مقام الاستيناس حيث
اختاروا الفقر والافلاس قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة يدخلون
الجنة بغير حساب رجل غسل ثوبه فلم يجد خلقا اي عوضا عنه يلبسه
ولو خلقا والحاصل انه لم يكن صاحب ثوبين فقد روي صاحب القميص

لا يجد حلاوة الايمان ورجل لم ينصب له على مستوقده قدرا اى برمة
لقلة قدرته وهو كذا فى نسخ الكتاب بصيغة الافراد والانسب قدر ان على انه
مرفوع بانه الفاعل عن قوله لم ينصب بصيغة المفعول كما فى كتب الاصول والمعنى
لم يكن ممن يتنعم بنوع المطبوخ من الاطعمة وهو الملائم لما قبله وما بعده وهو قوله
ورجل دعا بشرابه اى بشربته من ماء ونحوه فلم يقل اى له ايها تريد يعنى لعدم
تعدد الاوانى عنده اذ كثير من الفقراء ان طرف شربهم ووضوئهم واحد
والحديث رواه ابو الشيخ فى الثواب عن ابى سعيد وعن عائشة قالت ما وجد
وفى نسخة ما اعد وفى اخرى ما اجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شئ زوجين
اى صنفين من اللباس والا فقد تظاهر بين درعين فى احد وكان له من
الاسلحة والفرس زيادة على الواحد وذلك لقوله تعالى واعدوا لهم ما
استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الاية ويجتهدون فى النظافة اى من غير
ان يجر الى الوسوسة فى الطهارة والظرافة اى اللطافة فان الله جميل يحب
الجمال كما ورد فى صحيح الرواية قال النبى صلى الله عليه وسلم النظافة
من الايمان روى ابن عدى عن ابن عمر مرفوعا ان الله تعالى لطيف يحب
النظافة وراى عليه السلام على بعض الوفود اى القادمين عليه بالسلام و
اعلام الكلام من عند كبراء الاقوام فقال ما كان هذا اى اما وجد هذا
الوافد والوفد ما يغسل به ثوبه اى من الماء والصابون ونحوه وذلك
لان الظاهر عنوان الباطن ونحن نحكم بالظواهر والله اعلم بالسرائر
والحديث رواه احمد وغيره عن جابر بلفظ اما كان يجد هذا ما يسكن به
راسه اما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه وقالت صلى الله عليه وسلم
هب اى سلمنا ايها المخاطب ان الفقر من الله اى واختاره لمن ابتلاه فما
بال الوسخ من الثياب اى فما لصاحبه عذر فى هذا الباب وقال ان الله
يبغض الوسخ رواه البيهقى عن عائشة بزيادة والشعث ولسننى منه الحاج

والمعتمر

والمعتمر لما فى مسند احمد وغيره عن ابن عمر ان الله تعالى يباهى ملائكته
عشية عرفة يقول انظروا الى عبادى اتونى شعثا غبرا ويكرهون لبس الشهرة
من الثياب اى تواضعا مع رب الارباب واحترازا من السمعة والرياء فى
مقام الاحتساب وهو الخلوص فى طلب الثواب وقد ورد من ترك اللباس
تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره
من اى حلل الايمان شاء يلبسها رواه الترمذى والحاكم عن معاذ بن انس
وعن ابن عمر مرفوعا من لبس ثوب شهرة البسه الله ثوب مذلة يوم القيمة رواه
احمد وابو داود وابن ماجه ويتركون ثياب المشايخ اى ويجعلونها وسيلة
الى الثواب روى ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته مع اصحابه فامتلأ
البيت اى حول جنابه وجاء جرير بن عبد الله البجلى وكان من جملة احبابه فلم
يجد موضعا اى فى داخل المجلس فقعد خارج البيت اى انتظار المؤنس فابصره
النبى صلى الله عليه وسلم فاخذ بعض ثيابه ولفه ورمى به اليه وقال اجلس
على هذا يعنى اشعارا بان من تواضع لله رفعه الله فاخذ جرير الثوب ووضعه
على وجهه وقبله وفيه تنبيه نبيه على ان مراعاة الادب خير من محافظة صورة
الامر فى المطلب روى ان كعب بن زهير الاسلمى لما انشد بين يدى النبى صلى الله
عليه وسلم قصيدته التى اولها بانت سعاد فقلبى اليوم مقبول ووصل الى قوله
ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول فقال عليه السلام
من سيوف الله ورمى اليه بردة كانت عليه وقد بذل له معوية بدلها عشرة
الاف فابى كعب بعث معاوية الى ورثته عشرين الفا واخذها منهم
وهى البردة عند السلاطين الى اليوم ذكره ابن جماعة وذلك لانها انتقلت
الى بنى امية ثم وصلت الى بنى العباس وحكى انها عند سلاطين الاروام
الى هذه الايام ابقاها الله تعالى الى انتهاء الانام واختار بعضهم الاختصار
على خرقتين اى ازار ورداء كهيئة المحرم اى من غير تغطية الراس ذكره الجمهور

منهم ذلك الا للمحرم اى بحج او عمرة واما مع تغطية الراس بالطاقية او العمامة
فمن السنة فانه من لبسه عليه السلام لا سيما فى الصيف من الايام وقوله
او بمكة فيه بحث لان مخالفة السنة لا فرق فيها بين مكة وغيرها وكذا
بالنسبة الى العلة التى ذكرها بقوله لما فيه من الشهرة واظهار الزيادة
على الاقران اى فى الهيئة والصورة من غير الضرورة ويكره لبس الفرجية اى
الملوطة المسماة بالفوقانية لانفراج الشقة القدامانية الا للمشايخ اى لمشايخ
بعض البلدان على ان لبسها شعارهم فى ذلك الزمان فانه بمنزلة الطيلسان اى
على الراس فانه ورد ما فى مدحه ما يوجب طى الطيلسان عن ذمه والسجادة
اى لانها يوضع على الكتف لارباب العبادة فى بعض البلاد حسب العادة
والبرانس جمع البرنس وهى قلنسوة طويلة كان يلبسونها فى صدر الاسلام
احتصت للمريدين اى على طريق المغاربة ولعلها كانت ايضا عادة المشارقة
والامر يختلف باختلاف العادات والله اعلم بنية ارباب الارادات وقد
ورد انه عليه السلام كان يلبس قلنسوة بيضاء لاطئة رواه ابن عساكر عن عائشة
وفى رواية له عن ابن عباس كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير العمائم
ويلبس العمائم بغير القلانس وكان يلبس القلانس اليمانية وهن البيض المضربة
ويلبس ذوات الاذان فى الحرب وكان ربما نزع قلنسوته فجعلها سترة
بين يديه وهو يصلى ويستحب الاقتصار على ثوب واحد اى اذا كان ساتر (مطلب)
لجميع الابدان كالقميص والا فالازار والرداء كان لبس سيد الانبياء
واصحابه الاصفياء ولان كشف الكتف مكروه فى الصلوة لغير الضرورة
لما ورد اولكلكم ثوبان حكى عن الحريرى قال كان ببغداد فقير لا يكاد يجده اى
لا نقرب بلقاء الا فى ثوب واحد شتاء وصيفا فسئل عن ذلك اى عن سبب
مداومته لما هنالك فقال كنت مولعا بفتح اللام اى حريصا ملزما بكثرة الثياب
اى ولبسها فى الليالى والايام ورايت فى المنام كانى دخلت الجنة اى دار السلام

ورايت

ورايت جماعة على مائدة اى فيها انواع الطعام فقصدتهم اى فى ذلك المقام
فحال بينى وبينهم ملائكة اى من المقربين الكرام وقيل هؤلاء اصحاب ثوب
واحد اى اضطرارا ذلك اثواب اى افتخارا فانتبهت ونذرت ان لا البس
الا ثوبا واحدا الى ان القى ربى وهذا كما ترى لا يدل على الاستحباب كما لا يخفى (مطلب)
بل فيه ايماء الى فضل الفقراء على الاغنياء سواء يكون الفقير اضطراريا او اختياريا
والله اعلم وقيل للجنيد قد كثرت المرقعات اى جماعة الملبسات المزورات
والزكى اى وظائف الركوات ونحوها من السجادات والسبحات والعلاقات
والعلامات على طريقة المرئيات والسمعات وقد اجتنبوا هذا المذاهب
اى رعاية آدابه ومحافظة شرائط اصحابه وفى نسخة وقد اخسوا اى جعلوه
حسيسا بعد ما كاد فى نظر الخلق نفيسا فقال الان طاب السلوك اى
السير الخالص لوجه الله وابتغاء رضاه يرونكم اى الخلق بابصارهم اى فى
الصورة مع ارباب النداء والجفاء وانتم فى السر مع الله اى مع اصحاب الصفا
والوفاء واقول اليوم كل من تبع السنة وترك البدعة واختار آداب الشريعة
فيسمع من الخلق اقوال الشنيعة ولذا قال الامام الغزالى لو كان الصحابة فى
زماننا لقال الناس انهم مجانين ولقال الصحابة ان اهل الزمان غير مؤمنين
بيوم الدين وكان ابو حاتم العطار اذا راى اصحاب المرقعات اى فى زمانه
مع علو مقام اخوانه يقول يا سادتى وفى مقام المشيخة قادتى نشرتم اعلامكم
اى الى السماء وضربتم طبولكم اى فى ميدان الهوى وجو الهواء فليت شعرى
فى اللقاء اى ملاقاة الاعداء من النفس والشيطان يوم الهيجاء من اى
رجال يكونون امن المنهزمين فى الفرار ام من المظفرين فى القرار والمراد باللقاء
يوم الجزاء والمعنى من اى الفريقين يكونون ومع اى الحزبين يحشرون قال تعالى
فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال سبحانه ان الابرار لفى نعيم وان الفجار
لفى جحيم وقد ورد فى الاخبار عن سيد الابرار برواية الاخيار ابغض العباد

الى الله من كان ثوباه خيرا من عمله بان يكون ثيابه ثياب الانبياء وعمله عمل
الجبارين رواه العقيلي وغيره عن عائشة وقال علي بن بندار بضم الموحدة
ثوب استخير فيه الصلوة بصيغة المجهول او المتكلم المعلوم والمعنى ثوب
يجوز فيه الصلوة طولا وعرضا وحلا وطهرا اكره ان ابدله للقاء الناس
بخبر منه يعني كلما يصلح لعبادة الخالق يصلح لرؤية الخلق وهذا يوافق
ما قاله الفقهاء من انه يكره ان يصلي في ثياب بذلة ومهنة وخدمة لا يخرج
الى الناس بتلك الهيئة بل ينبغي للآدمي ان يبالغ في زينة الظاهر والباطن
حال العبادة اكثر مما يبالغ حال ملاقات ارباب العادة لان نظر الاله في
باطن عبده كما يشير اليه حديث ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم
ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم ونظر الخلق الى سائر الانسان وثوبه ففي الجملة
ينبغي ان يستوي سره وعلانيته في الملاء والخلاء او يكون سريرته خيرا من
علانيته كما هو شان كمل الاولياء وقال ابو حفص الحداد النيسابوري
الملقب بالاستاد اذا رايت ضوء الفقير اي كمال صفاءه في ثوبه اي على
وجه المبالغة في نقائه فلا ترج خيره اي في مقام وفائه للدلالة على انه مقيد
بظاهره ولم يصل الى سلوك باطنه مع الله الشاغل عما سواه ومن هنا قال بعضهم
من رق ثوبه رق دينه والحاصل ان التعلق بما سوى الحق مذموم وكل ما
يشغله عن الله مشؤم والتنوير في اسقاط التدبير لحكم والتفويض والتسليم
الى ما سبق له من التقدير اسلم والله اعلم فصل في ذكر ادابهم في الاكل
قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا والامر للوجوب بقدر القوت
للارواح وللندب بقدر القوة للاشباح والاسراف حرام وهو الزائد
على الاشباع والارباح الا لمصلحة وينبه كينة الصوم في الصباح وقد قال
بعضهم كل ما انفقت في حظ نفسك فهو اسراف ولو سمسمة وقيل لا سرف
في خير ولا خير في سرف وعن بعضهم ان جملة حكمة الحكماء في هذا النصف

من الاية

من الاية المنطوية على الدواء والاحتماء وقيل معنى لا تسرفوا لا تاكلوا الحرام
وقيل لا تكثروا اكل الطعام وفيه تنبيه الى ما اشار اليه الشيخ بقوله وقال
بعضهم ادب الله عباده اي في هذه الاية ان لا تطعموا الفقير الا ما تاكلون
اي حيث قال لا تسرفوا فمعناه ان يطعموا بعضه لغيرهم مواساة لاخوانهم
في مقام فقرهم وايثارا لحظ انفسهم لادراك اجرهم ويؤيده حديث كلوا
واشربوا وتصدقوا رواه احمد وغيره وفيه الايماء ايضا الى مفهوم قوله
تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الاية وقوله سبحانه لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اكل احدكم اي اراد ان
ياكل فليقل اي ندبا وقيل وجوبا بسم الله اي ابتداء في اول اكله او في كل لقمة
فان نسي في اوله فليقل اذا ذكر اي تذكر بسم الله اوله واخره بنصبهما على الظرفية
والحديث رواه ابو داود والنسائي والحاكم عن عائشة بلفظ اذا اكل احدكم
طعاما فليذكر اسم الله فان نسي ان يذكر اسم الله في اوله فليقل بسم الله
على اوله واخره وروى الترمذي في الشمائل عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
سم الله وكل بيمينك مما يليك وفيه ثلاثة من الاداب في هذا الباب وقال
صلى الله عليه وسلم واشار الى القصعة جملة حالية اعتراضية لبيان مرجع الضمير
في قوله كلوا من حواليها ولا تاكلوا من وسطها بفتح السين وسكونها فان البركة
في وسطها تنزل اي اولا ثم يصل الى جوانبها ثانيا فاذا اكل وسطها انقطع
نزول البركة عنها والحديث رواه احمد والبيهقي عن ابن عباس ولفظه كلوا في
القصعة من جوانبها ولا تاكلوا من وسطها فان البركة تنزل في وسطها ورواه
ابو داود وابن ماجه عن عبد الله بن بسر بلفظ كلوا من حواليها وذروا ذروتها
يبارك فيها وفي رواية لابن ماجه عن واثلة كلوا بسم الله من حواليها واعفوا
راسها فان البركة تاتيها من فوقها واما ما روي عن ابن عباس من قوله انا لكل
البركة ولا اتركها فمحمول على ما بعد فراغ اطراف الصحفة وجوانبها ومن ادابهم

ترك الاهتمام بالرزق اى المبالغة فى اكسابهم اعتمادا على الرازق فى امر انفسهم
واحبابهم وقلة الاشتغال بطلبه وهو لا ينافى بعض كسبه وجمعه اى من
غير حله ومنعه اى عن اهله وادخاره اى زيادة على قوت عياله سنة كما ورد
به فى السنة على ان الادخار ينافى الايثار وقد قال بعض الابرار فى جملة الاشعار
شعر فما وجبت على زكوة مال • وهل يجب الزكوة على الجواد • كما قال
الله تعالى تسلية لعباده وارشاد الزهاده وعباده وكائن من دابة لا تحمل
رزقها الله يرزقها واياكم اى لا تدخروا فسر الشيخ الاية بعدم الادخار
لقوله سبحانه لا تحمل رزقها الله وقال عليه السلام لو توكلتم على الله حق
توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وصح عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه كان لا يدخر شيئا لغد اى لاجل نفسه عملا بقوله
تعالى وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وفى الحديث كم من مستقبل يوما
لا يستكمله ومنتظر غدا لا يبلغه رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر
ولا يكثر ذكر الطعام اى من مجلس الكرام فان ذلك من الشره وهو الحرص الذى
من خصلة اللئام حكى عن رويم انه قال لم يخطر ببالى ذكر الطعام اى على وجه
الاستقرار والدوام عشرين سنة اى من الليالى والايام حتى يحضر اى
الطعام على اى وجه تيسر فى المقام ويقصد عند تناوله سد الجوع اى دفعه
باى نوع كان فى وسعه كما قال بعضهم شعر وما هى الا جوعة قد سددتها
فكل طعام بين جنبى واحد ما • ويعطى النفس حقها اى قدر كفايتها دون حظها
وهو شهوتها غاية نهمتها وفى الحديث اذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف
وجر من ماء القراح وقل على الدنيا منى واهلها الدمار رواه ابن عدى والبيهقى
عن ابى هريرة فان النبى صلى الله عليه وسلم قال اى لعمرو بن العاص واصحابه
النادين ان تصوموا النهار وتقدموا الليل وتركوا النساء ويعتزلوا عن
الاباحات ان لنفسك عليك حقا وفى رواية ان لجسدك عليك حقا وتمام

الحديث وان لعينك عليك حقا وان لزوجك عليك حقا وان لزورك عليك
حقا وقيل لبعض المشايخ كيف تتناول القوم الطعام اى الغذاء من الغداء
والعشاء قال كما تناول العليل الدواء يرتجى الشفاء اى بمقدار الضرورة
والحاجة الى القوة على العبادة لا كما يقتضى الشهوة ويميل اليه طبع اهل العادة
ومن هنا قيل للحسن البصرى من اين تاكل فقال من جملة ما ياكلون ولكن
فرق بين من ياكل ويبكى ومن ياكل ويضحك وقد قال تعالى فمن اضطر غير
باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم وروى لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان
نصيب المومن حلالا ويؤيده حديث نية المؤمن خير من عمله وقد قال
بعضهم اكلهم كاكل المرضى ونومهم كنوم الغرقى وكلامهم ككلام الثكلى
ويمنعها اى نفسه من الشره بفتحتين اى الحرص على الاكل الكثير والنهمة
اى ولوع النهمة على استعمال التنعم بالتنوع فى الاطعمة لقوله عليه السلام
ما ملئ وعاء شر من بطن ابن آدم اى فعليه اى يقله بقدر ما يقيم صلبه
فان كان اى غير مانع ولا بد اى من الزيادة على قدر القوت للحاجة الى القوة
فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس رواه احمد والترمذى وابن
ماجه والحاكم عن المقدام ابن معد يكرب ولفظه ما ملا آدمى وعاء شرا
من بطن بحسب ابن آدم اكلات بضمتين وفى رواية لقيمات يقمن صلبه
فان كان لا محالة فثلث بالطعامه وثلث بشرابه وثلث لنفسه ولا يعيب
طعاما اى لانه من النعم ولا يمدحه اى لانه يشير الى ما فيه من التهم روى
ابو هريرة قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط اذا اشتهاه
اكله والا تركه كذا فى الشمائل للترمذى وقال صلى الله عليه وسلم اذيبوا طعامكم
بذكر الله والصلوة اى بعده ولا تناموا عليه اى من غير واسطة عباده فتقسو
قلوبكم رواه الطبرانى فى الاوسط وغيره عن عائشة بلفظ اذيبوا روى
ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام ما بال الاقوياء اى من الانبياء

والاولياء ومبادرتهم فى تناول الشهوات اى شهوات الدنيا ولهواتها
من لذاتها فى ماكولاتها ومشروباتها وملبوساتها انما جعلت الشهوات
وفى نسخة قال الشهوات اى المباحة لضعفاء خلقى اى التابعين للرخصة بخلاف
الاقوياء العاملين بالعزيمة ان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها محجوبة
عنى اى فى كشف الذات والصفات وسائر الدرجات العاليات وقيل
المراد بالضعفاء الصبيان والنساء والتشبه بهم ليس من شان الاقوياء
قال تعالى ذما فى المنافقين رضوا بان يكونوا مع الخوالف اى مع المتخلفين
بالاعذار كالنسوان والصغار حكى ان بشر بن الحارث اى الحافى رؤى فى السوق
اى بغداد سوق ولم يكن عادته ان يحضر هنالك فسئل عن ذلك لما ورد
ان شر البقاع اسواقها وخير البقاع مساجدها الا ان الضرورات تبيح
المحظورات فقال ان نفسى طالبتنى بخيارة اى باكلها منذ سنين فمنعتها
اى مخالفة لها ورضيت الان بالنظر اليها اى ولو ببعد عنها فاعطيتها اى
مقصودها من رؤيتها وكان الاولى ان يحرمها من شهوتها ولو بنظرتها فانها
يصدق على انها غلبت صاحبها فى حكومتها ولا يكون لاكلهم وقت معلوم
اى ولا نوع معين ولا جنس مبين فان المعلوم شوم ان تحقيقه ليس المفهوم
ولا يتكلفون اى فى اكلهم وشربهم ولبسهم فرشهم وظرفهم ولا يختارون
الكثير الردى اى الكثيف على القليل النظيف اى اللطيف الطرى قال الله
تعالى اى حكاية عن اهل الكهف فلينظر ايها ازكى طعاما اى احل او اكثر
او اجود او الذ واعلى واغلى وقد قال سبحانه عز شانه قل لا يستوى
الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث وقد كان عليه السلام يستعذب
الماء الحلو حيث يوجد فى المقام وفيه تنبيه على اختيار تقديم الفواكه والحلويات
على سائر الماكولات كما يشير اليه قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير
مما يشتهون وهو اوفق بالحكمة وارفق باللذة ولا يلقم بعضهم بعضا اى

لانه

لانه من عادات اللئام لا من دأب المشايخ الكرام والعلماء الاعلام واذا
حضر الطعام فلا يقول بعضهم لبعض اى فى اثناء اكلهم كل فان الكل فيه
اى فى ذلك المقام سواء اى مستوين فى اباحة الطعام الا المشايخ اى فانه يجوز
لهم ان يقولوا لمن دونهم على سبيل البسط اى طريق الانبساط فى بساط
النشاط لهم وترغيبهم فى الخير عند احتشامهم اى استحيائهم منهم واحترامهم
لمقامهم واما عامة الناس فمن ادابهم عرض الطعام عند الحضور اى اظهارا
للفرح والسرور واستدعاء الحاضرين اليه اى من غير النفور ولا ياكلون
الا مما يعرفون اصله اى محله وحله ويتنزهون عن اكل مال الظلمة والفسقة
وان كان من وجه حلال اى اتقاء لموضع التهمة وقد ورد لا ياكل الا طعام
تقى ولا ياكل طعامك الا تقى روى عن عمران بن الحصين قال نهانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اجابة طعام الفاسقين ما يجب الكافرين
والمنافقين والظالمين والفاجرين والمبتدعين والمرائين وقد ورد عن ابن
عباس انه عليه السلام نهى عن طعام المتبارئين ان يوكل يعنى المتباهيين
المتعارضين بفعلهما ليفخر احدهما الاخر بصنعه او ليفخر على غيره فى فعله وانما
كره لما فيه من المباهات والرياء كذا فى النهاية لابن الاثير ويتنزهون عن قبول
ارفاق النسوان اى هديتهن ولحسانهن واكل طعامهن اى احترازا
من التهمة فى حقهن والشبهة فى مرامهن والريبة فى سلامهن ولا يكرهون
الكلام عند الطعام اى بل يستحبونه اذا كان من طيب الكلام فقد قيل ان ترك
ذلك من فعل المجوس اى مع ما فيه من صنع العبوس ثم الادب عند اكل الطعام
التشمر اى تشمر الذيول والاكمام والجلوس على الرجل اليسرى اى ورفع اليمنى
او يرفعهما فيكون على هيئة المجتبى او يقعد على صفة الصلوة ولا يتربع ولا
يتكئ وقد ورد عنه عليه السلام اجلس كما يجلس العبد واكل كما ياكل العبد والتسمية
وقد تقدمت والسنة رفع الصوت بها تنبيها للغير على اتيانها والاصح انها

سنة مستقلة لانها سنة كفاية والاكل بثلاث اصابع اى الا اذا احتاج
الى معاونة رابعة اوخامسة وقد ورد الاكل باصبعى واحدة اكل الشيطان
وباثنين اكل الجبابرة وبالثلاث اكل الانبياء رواه ابن النجارى عن ابى هريرة
وبما يليه لما سبق وجوز من حواليه اذا كان فواكه اوالوان بين يديه وتصغير
اللقمة اى دون تكبيرها حرصا على تكثيرها بان يكون حدا وسطا لئلا يصير اكلا
شططا وتجويد المضغ احترازا من البلع المضر بالمعدة والدال على الشره
والنهمة ولعق الاصابع اى بعد الفراغ مبتدئا بالوسطى ثم المسبحة ثم الابهام
قال جابر امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلعق الاصابع والقصاع وقال
ان احدكم لايدرى فى اى طعامه وفى نسخة فى اى الطعام البركة الرواية محفوظة
بغير ذكر القصاع فقد روى احمد ومسلم وابن ماجه والنسائى عن جابر مرفوعا
اذا اكل احدكم طعاما فلا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها فانه لايدرى فى اى
طعامه البركة وروى الطبرانى عن العرباض من لعق الصحفة ولعق اصابعه
اشبعه الله فى الدنيا والاخرة وروى احمد وغيره عن نبيشة مرفوعا من اكل
فى قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة ولا ينظر الى لقمة صاحبه لانه يدل
على معائبه وربما يترك الاكل بسببه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال لايتبعن احدكم نظرة لقمة صاحبه اى بل ينظر الى تحسين حاله وتزيين
مكاسبه واذا فرغ من الطعام اى وبقى شىء منه فى المقام قال الحمد لله الذى
جعل ارزاقنا اكثر من اقواتنا والاولى ان يحمد الله بما ثبت فى السنة فيقول
الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين والحمد لله الذى اطعمنا
هذا الطعام ورزقناه من غير حول منا ولا قوة وليس من الظرافة اى
اللطافة بل من الكثافة ان يغمس يده فى اناء الطعام اى لاسيما اذا كان
سفرة الانام بحيث يتلطخ به اى ويتكدر به خواطر اصحابه الكرام وقال
بعض المشايخ الاكل مع الاخوان بالانبساط اى على انبساط الملاعبة والنشاط

ومع الاجانب بالادب اى لعدم الاطلاع على اخلاقهم فى مقام الطلب
ومع الفقراء بالايثار اى مع متابعة لطريق الانصار وقال الجنيد مواكلة
الاخوان رضاع اى بمنزلة الرضاع فى تاثير الطباع واعتبار الاخوة من غير
النزاع فانظروا مع من تواكلون اى من الانام فعليكم ان تواكلوا الكرام
دون اللئام ويختارون الاجتماع على الاكل مع تجويز الانفراد لقوله تعالى
ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا لقوله عليه السلام ان الاكل مع
الاخوان شفاء اى دواء لما فى بواطنهم من داء العداوة والبغضاء وعن جعفر
الصادق اذا تقديم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة
لا تحسب عليكم من اعمالكم قيل وفى الخبر لايحاسب العبد على ما ياكل مع اخوانه
وعنه صلى الله عليه وسلم خير الطعام ما كثرت الايدى عليه رواه البيهقى
وغيره عن جابر مرفوعا بلفظ احب الطعام الى الله ما كثرت عليه الايدى
وقال صلى الله عليه وسلم شر الناس من اكل وحده اى بخلا او تكبرا وفى
الحديث الاكل مع الخادم من التواضع رواه الديلمى عن ام سلمة وضرب عبده اى
ضربا شنيعا او بغير ذنب او بعد ما ياتى شفيعا ومنع رفده اى عطاءه ممن
احتاج سريعا وقيل المعنى من لايعطى من ناب فى قومه تبيعا والحديث رواه
الطبرانى عن ابى امامة ان الكنود الذى ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده
واذا اكل مع جماعة لايمسك عن الاكل اى لايمتنع عنه ولا يتركه بالكلية ابدا مواتنا
ولونه اى لانه يكون سببا لامتناعهم قبل اشباعهم بل ينبغى ان يتعلل او
يتقلل الى ان يفرغ معهم لاسيما اذا كان متقدمهم اى من المشايخ او العلماء
او غيرهم ممن تصدر فى مجلسهم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا
اكل مع قوم كان اخرهم اكلا اى رحمة على اصحابه وشفقة على احبابه وسئل بعض
المشايخ عن الاكل الذى لايضر قال ان ياكل بالامر اى بموافقة الهدى لا بالهوى
فقد قال تعالى وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم وقال ذرهم

ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون اى سوء عاقبة امرهم ووخامة
شرهم وضرهم وقال ابرهيم بن شيبان منذ ثلاثين سنة ما اكلت شيئا
بشهوتى اى بهوى نفسى فى لذتى بل نويت قوتى لحياتى وقوتى فى طاعتى النافعة
لمماتى فصــــل كذا فى نسخة ولعله فى فضل الجوع وذم الشبع روى
ان رجلا تجشا بالهمز عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كف عنا
جشاءك بضم اوله ممدود اى ادفعه عنا وابعده منا فاكثركم شبعا فى الدنيا
اكثركم جوعا فى الاخرة رواه الترمذى وابن ماجه عن ابن عمر بلفظ كف عنا
جشاءك فان اكثرهم شبعا فى الدنيا اكثرهم جوعا يوم القيمة وفى رواية
ابن عساكر عن بعض الصحابة ان اطولكم حزنا فى الدنيا اطولكم فرحا فى الاخرة
وان اكثركم شبعا فى الدنيا اكثركم جوعا فى الاخرة وقال الحسن اى البصرى كانت
بلية ادم فى اكلة اى لقمة واحدة مورثة للندامة وهى بليتكم الى يوم القيمة اى بصفة
الاستدامة وقال سهل بن عبد الله اى التسترى لان اترك من عشائى لقمة
اى من قدر العادة فى غذائى احب الى من احياء ليلة وذلك لانه يورث للقلب
ضياء وللفرح صفاء وللسر لقاء ولو كان للقالب بلاء وقال يحيى بن معاذ
لو كان الجوع اى القدر عليه والصبر لديه يباع فى الاسواق لما كان اى الجائز لطلاب
الاخرة اى من اهل الاشتياق ان يشتروا سواه اى فانه يصفى القلب مع الله
ويعرضه عن الالتفات الى ما عداه واما حال غلبته فيخاف من مضرته كما ورد
اللهم انى اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع واليه الاشارة فى قول صاحب البردة
ورب مخمصة شر من التخم وقال اى يحيى فى فائدة الجوع لمعالجة النفس لو تشفعت
الى نفسك بالملائكة المقربين والانبياء المرسلين فى ترك شهوة لردتهم
اى لما قبلت شفاعتهم اجمعين مع كونهم عند الله من المكرمين ولو توسلت
اليها بالجوع اى ولو بادناه فى مخالفة هواه لانقادت لك وصارت من الطائعين
وسارت مع القانعين وعن ابى هريرة قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو يصلى جالسا فقلت ما اصابك اى حتى تصلى جالسا على خلاف العادة
وان القيام افضل فى مقام العبادة قال الجوع اى اصابنى ومنعنى عن القيام
فيما نابنى فبكيت اى رحمة عليه ومودة اليه فقال عليه السلام لا تبك اى
ظنا منك ان الجوع محنة لا يترتب عليه منحة فانه نعمة ولو فى الصورة نقمة ان
شدة القيمة اى وكثرة الندامة لا تصيب الجائع اى ان كان يوصف الصابر
القانع اذا احتسب ذلك فى الدنيا اى اذا عده طاعة وصبر عليه ولو ساعة
طلبا للمثوبة ودفعا للعقوبة فى الدار الاخرى وقد ورد من صبر على القوت
الشديد صبرا جميلا اسكنه الله من الفردوس حيث شاء اخرجه ابو الشيخ
عن البراء وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من احسن من نفسه
نشاطا اى فى البطالة والكسالة فليؤدبها بالجوع والعطش اى ليدفع عنها
الملالة والكلالة وقد ورد من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن
اشفق من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت هانت عليه اللذات
ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات رواه البيهقى عن على كرم الله
وجهه ويكره الانتظار عند حضور الطعام فان الانتظار اشد من الموت
عند الاعلام وقيل قلوب الابرار لا تحتمل الانتظار ولعله محمول على انتظار
الطعام او ما ليس من ضروريات المقام والا فقد ورد انتظار الفرج عبادة
رواه ابن عدى وغيره عن انس وكذا انتظار الصلوة بعد الصلوة فقد
ورد ذلكم الرباط مشيرا الى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا وقيل معناه اصبروا على البلاء وصابروا على القضاء فى النعماء
والسراء ورابطوا قلوبكم فى مجاهدة النفس والاعداء ويكره تفويت
الوقت اى تضييعه بالاشتغال بالاكل اى تحصيلا ومعالجة حتى فى المضغ
مبالغة حكى عن بعضهم انه كان ينظر الى مسوة يحسوها اى يقصد الى مرقة
يشربها ولا ياكل اشياء يحتاج الى ان يمضغها ويقول الوقت اعز من ان يشغل

بالاكل ومن كلامهم ايضا الوقت سيف قاطع وهذا بالنسبة الى المبتدى
الواقف فى مقام التفرقة المانع واما المنتهى الواصل الى مقام جمع الجمع الجامع
فلا يشغل بشئ عن مقصوده ومشهوده اللامع والحاصل ان كل ما يشغله
عن الله فهو مشوم ولو مشروب او مطعوم وكره اكثرهم تلقيم من يحضره اى
سواء كان مضيفا او من شبعه مما بين ايديهم اى مما حضر من الطعام لديهم
لا سيما ان كان اى الملقم ضيفا اى ممن نزل عليهم فانه لا يجوز التصرف فيما قدم
اليه اى على ما هو المعتمد فقال بعضهم يملكه اى التلقيم بالاحضار بين يديه
يعنى جريا للعادة بعدم المنع او يملكه الطعام بمجرد الاحضار فى مجلس الجمع
وقال بعضهم باستيفاء الاكل بالبلع والقول الاول ضعيف لاتفاق
الفقهاء ان الاباحة لا توجب تمليك الاشياء حتى ليس لاحد منهم ان ياخذ
ذلك الطعام ويخرجه من المقام الا اذا رضى صاحبه صريحا او دلالة وقال
الجنيد نزل الرحمة على الفقراء عند الطعام فانهم لا ياكلون الا بالايثار اى
بايثار اخوانه الكرام وهو سبب انزال الرحمة بوصف العام وقد قال سهل
فى تفسير قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان ان العدل هو الانصاف
مع الرفيق حال الاكل والاحسان هو الايثار مع الاخوان فى مقام الفضل وقال
بعضهم الواجب اى اللائق اللازم على المضيف ثلاثة اشياء وعلى الضيف
ثلاثة اشياء اى ينبغى لكل منهما ان يقوم بها من يلتزمها فاما التى على المضيف
ان يطعمه من الحلال اى دون الحرام من كسب الحال خوفا من الوبال فى المآل ويحفظ
عليه مواقيت الصلوة اى محافظة له عن تضييع الاحوال ولا يحسن عنه ما
يقدر عليه من الطعام اى ويحضره فى الحال والاستقبال واما التى على
الضيف ان يجلس بصيغة الفاعل حيث يجلس بصيغة المفعول وذلك
لان صاحب البيت ادرى بما فيه واعلم بما يوافقه وينافيه وان يرضى بما قدم
اليه اى وان لا يحكم بطلب شئ زائد عليه وان لا يخرج الا بعد الاستيذان

اليه

اليه فقد قيل الدخول بالارادة والخروج بالاجازة وقد ورد اذا زار
احدكم اخاه فجلس عنده فلا يقومن حتى يستاذنه وروى عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من السنة
ان يشيع الضيف الى باب الدار يعنى تكريما له وتنزيها عن تهمة الجار
رواه ابن ماجه عن ابى هريرة بلفظ ان من السنة ان يخرج الرجل مع ضيفه
الى باب الدار **فصل فى ذكر ادابهم فى النوم** قال تعالى كانوا قليلا

في ذكر ادابهم في النوم

من الليل ما يهجعون روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من نام اى طول
الليل من غير قيام حتى يصبح اى حتى يطلع الفجر عليه بال الشيطان
فى اذنيه فعن شقيق ابن سلمة عن ابن مسعود قال قيل للنبى صلى الله عليه
وسلم فلان نام الليل فلم يصل حتى اصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان
فى اذنه رواه ابن جرير والظاهر ان البول على حقيقته كالاكل فى قوله عليه
عليه السلام ان الشيطان ياكل بشماله ثم النوم اخو الموت وهو سبب
نقصان العمر وبطلان الذكر والفكر ولذا قيل لو كان فى النوم خير لكان
فى الجنة وانما هو فى الدنيا دفعا للكسالة والملالة كما قال تعالى وجعلنا
نومكم سباتا اى سببا للراحة والنشاط فى الطاعة ومن هنا قيل نوم العالم
عبادة وقد قيل ايضا نوم الظالم عبادة فانه مانع له فى العادة عن الفسق
والظلم وفساد الارادة ومن ادابهم فى ذلك ان يجتنب النوم بين جماعة
قعود اى قاعدين لانه يشير الى الملالة منهم وعدم الالفة معهم فاذا غلبه
النعاس قام اى من بين الناس مع اعتذار فى مقام الاستيناس ورقد فى
محل بعيد عن نظرهم ولا يبعد ان يريد بالقيام يكون سببا لطرد المنام و
ويؤيده قوله او يدفع ذلك عن نفسه بمحادثة اى مكالمة او غيرها كغسل
وجه او وضوء او تلاوة ونحوها ولا يتعود الانبطاح وهو السقوط على الوجه
فانه رقدة الشيطان وفى الحديث انه رقدة المغضوب عليهم وانما قال ولا

يتعود اذ قد يحتاج الى الانبطاح لضرورة نحو الانتفاخ والانفساح او لان
النادر لا حكم له ويجتهد ان يكون نومه لله اى لاجل قيامه بطاعة الله او بالله
اى مقرونا بذكره وفكره دون ما عداه ولا يكون نائما عن الله اى بالغفلة عن مولاه
لقوله ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله فاما النائم لله اى لاجل رضاه
فهو القاصد الى اخذ بلغة من النوم اى شئ قليل من زاد سبيل طاعة القوم
ويستعين بها على اداء الفرائض اى على وجه النشاط فيها وهى اهم المهمات
وتحصيل النوافل فانها من المتممات خصوصا اخر الليل فانه افضل الاوقات
لما روى فى الحديث ان الحق عز وجل يقول فى اخر الليل اى بالالهام او بواسطة
الملائكة الكرام هل من داع فاستجيب له بالنصب على جواب الاستفهام
هل من سائل فاعطيه سؤله اى مسئوله هل من مستغفر فاغفر له رواه
احمد ومسلم عن ابى سعيد وابى هريرة معا بلفظ ان الله تعالى يمهل حتى مطلب
اذا كان ثلث الليل الاخر نزل الى السماء الدنيا فنادى هل من مستغفر هل
من تائب هل من سائل هل من داع حتى ينفجر الفجر والنزول مؤول بنزول
رحمته عند الخلف ومحمول على ما اراد به سبحانه عند السلف واما النائم
بالله فهو العارف الذاكر اى لله الناسى لما سواه لا يأخذه سنة اى
نعاس الا ان يرد عليه النوم من غير اختياره اى وبالله السنة فى حال
اضطراره وهم الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما يعنى وهم الذين مدحهم
الله سبحانه احوال نهارهم وليلهم بقوله وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما الى اخر الايات البينات الوارده فيما هم عليه من جميل
الصفات واما النائم عن الله فهو الغافل عنه فيستوى نومه ويقظته
منه كما جاء فى مناجاة داود عليه السلام كذب من ادعى محبتى وكذا من
استد عى مودتى فاذا جنه الليل اى ستره بظلامه نام عنى اى عن طاعتى

وخدمتى

وخدمتى اليس كل محب يحب خلوة حبيبه او يتعالج فى الوصول الى مجلس
طبيبه كما قيل هنيئا لارباب النعيم نعيمها وقد ورد انا جليس من ذكرنى
وقد قيل شعر عجبا للمحب كيف ينام كل نوم على المحب حرام فهذا للتنبيه شعر
انا مطلع على قلوب احبائى اى كما انا مشرف على قلوب اعدائى وفيه اشارة
على ان نية المؤمن خير من عمله فلا يضره وجود كسله والمعلوم لا يتغير
بالمقسوم والعشق نار فى القلوب احترق بها ما سوى المحبوب فيستوى حينئذ
القيام والينام كالصحو والمحو فى مراتب مقام الكرام ومن ادابهم النوم على الطهارة
اى ظاهرا وباطنا وقد ورد من بات على طهارة ثم مات من ليلة مات شهيدا
رواه ابن السنى عن انس وهو يشمل الغسل والوضوء والتيمم والاضطجاع
اى فى ابتداء النوم على الشق الايمن اى جنبه تشبيها بحالة الموت ووقت مطلب
الدفن اذ النوم اخو الموت وهو مما ثبت فى السنة كما فى البخارى ومسلم
وفى رواية ابى داود ويتوسد يمينه اى يضعها تحت خده ويقول اى
بعد الاضطجاع بسمك اللهم وضعت جنبى اى مقرونا باسمك وممتثلا
لرسمك ربى وضعت جنبى وبك ارفعه وتفسيره قول المصنف وباسمك
ارفعه او معناه بعونك اضعه وارفعه او باسمك المميت وضعت جنبى
وباسمك المحيى ارفعه اللهم كذا ذكره وليس بمعروف عند المحدثين لكن
زيادة خبر ان امسكت نفسى اى بقبضها والمعنى كما فى رواية ان امتها فارحمها
وهى رواية البخارى وفى رواية الباقين فاغفر لها وان ارسلتها اى اطلقتها
او احييتها فاحفظها بما يحفظ به عبادك الصالحين اى من الانبياء والمرسلين
وخواص المؤمنين ونعم ما قيل وكلت الى المحبوب امرى كله فان شاء احيانى
وان شاء اتلفا اللهم وفى رواية رب قنى اى احفظنى عذابك وكذا حجابك
يوم تبعث عبادك رواه ابو داود وغيره بزيادة ثلاث مرات وفى الصحيحين
بقول اللهم باسمك احيا واموت الى حقيقة ومجازا واداب النوم كثيرة ذكرناها

في شرح الحصن الحصين والله الموفق والمعين ويذكر الله اذا انتبه بان يقول
الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه البعث والنشور رواه البخاري
وغيره عن حذيفة ويقول ايضا لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شئ قدير وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم اغفر لي رواه البخاري وغيره عن عبادة ابن
الصامت فان توضأ اي كلما انتبه ثم صلى ركعتين ونام كان اولى اي من
الاقتصار على الذكر كما لا يخفى ويكره النوم بعد صلوة الصبح لانه وقت الذكر
وهو زاد المعاد وبعده زمان الكسب وهو سبب معاش العباد وقد ورد
الصبحة تمنع الرزق رواه البيهقي وغيره عن عثمان وكذا يكره النوم بعد العصر
لقوله عليه السلام من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه رواه
ابو يعلى عن عائشة وبعد المغرب لانه عليه السلام كان يكره النوم قبل العشا
والكلام بعده وقيل من اراد قلة النوم فليجتنب شرب الماء اي كثرة الا قدر
ما يسكن العطش وكذا من اراد لا يشرب الماء كثيرا فليجتنب الاكل الا ما يسد
به الرمق فقد قيل من اكل كثيرا شرب كثيرا ومن شرب كثيرا نام كثيرا ومن
نام كثيرا فات خيرا كثيرا ومن كان بين جماعة فناموا اما ان يوافقهم وينام
اي معهم تالفا اليهم بالملاطفة او يقوم عنهم اي ويغيب منهم حوزا من
صورة المخالفة ويستحب القيلولة ليستعان به على قيام الليل اي في الطاعة
والعبادة وقد ورد قيلوا فان الشياطين لا تقيل رواه ابو نعيم وغيره عن
انس وقيل النوم اول النهار خرق اي في نقص الرزق واوسطه خلق حيث
فيه رفق وقيل الخرق ضد حسن الخلق واخره حمق لما سبق في الحديث من انه
يورث الجنون وكان بعضهم لا يضطجع من الليل اي اختيارا اجلا لقوله تعالى
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون على انه ما نافية اي يرقدون ولا قليلا منه ودام
على ذلك ثلاثين سنة ويحتمل انه كان ذلك منه اضطرارا حيث لم يأته نوم ولا

ويكره النوم بعد صلوة الصبح

مطلب

وكذا يكره النوم بعد العصر

كان يكره النوم قبل العشا

مطلب

مطلب

سنة

سنة وانما يستند الى الجدار عند غلبة النوم اي في حالة الاختيار او الاضطرار
ويصوم النهار ولا يبعد انه كان ينام في النهار لموافقة السنة الدالة على استحباب
طلب الراحة وقال الجنيد اتى على السري اي مضى عليه في قوة حاله بنيف اي
بضع وثلاثين سنة ما روي مضطجعا الا عند الموت اي حال الضرورة ووقت
فوت القوة وحكى ان ابا يزيد مد رجله في المحراب اي فعوتب تركه حسن الادب
فنودي اي ما لهم من وراء الحجاب من جالس الملوك بغير ادب فقد تعرض
للعيل اي استحق ان يؤدب هذا وليس للمبتدي ان ينظر المنتهي فانهم مختلفون
فتارة يزيدون في العبادة عملا بالعزيمة وتارة ينقصون فيها عملا بالرخصة
وتارة ينشطون في تكثير الاعمال واخرى يكتفون بسير الباطن وسلوك
الاحوال والطريق الاحسن الاقصد في باب الاعتدال شمائله عليه السلام
الواردة على وجه الكمال وقد ورد عليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله يمل
حتى تملوا رواه الطبراني عن عمران بن حصين وفي رواية البيهقي عن ابن عمر واعمل
عمل امرئ يظن ان لن يموت ابدا واحذر حذر امرئ يخشى ان يموت غدا ففيه
تنبيه على ان الاصل اجتناب الزواجر واكتساب الاوامر واما زيادة النوافل
فهو من باب الفضائل الموجبة لرفع الدرجات والمقامات في الدنيا علو الحالات
والمنازلات في العقبى

فصل في ذكر ادابهم في السماع

قال الله تعالى واذا
سمعوا اي النجاشي واصحابه ما انزل الى الرسول حيث قرأ عليهم جعفر بن
ابي طالب في الحبشة ترى لو كنت حاضرا اعينهم اي من كثرة البكاء تفيض
من الدمع اي تسيل من كثرة الدفع واصل الكلام تسيل الدمع من اعينهم
وعكس للمبالغة في تكثير ومعهم مما عرفوا من الحق المطابق للصدق وقال
اي الله عز وجل في وصف الكمل اولئك هم اولوا الالباب الذين يستمعون
القول اي جنس المقال فيتبعون احسنه اي احسن الاقوال وهو كلام الملك
المتعال بقوله سبحانه الله نزل احسن الحديث كتابا لان فيه تفصيل كل شئ بابا بابا

في ذكر ادابهم في السماع

اواحسن تاويله وفق تنزيله لينا لواكمال النوال في تحصيله وقال وهم اي
المؤمنون في روضة اي من رياض الجنة يحبرون اي ينعمون ويسرون قال مجاهد
اي في تفسيره يسمعون اي سماع الغناء اوراق من الاسحار والهواء او النداء
في مقام اللقا وقيل يسمعون من الحور العين باصوات شجية وانغام بهية
نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس وقال النبي صلى الله عليه
وسلم كما اخرجه الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة ما اذن الله لشيء ما اذن
لنبي اي ما استمع لشيء كاستماعه لنبي حسن الصوت واخر الحديث يتغنى

كاذنه يتغنى
وفي رواية

بالقران يجهر به اي يتلوه يحسن صوته حال كونه يجهر بقراءته على امته او في
وقت وحدته وروي انه قرئ بين يديه اي قراءهم النبي صلى الله عليه وسلم
ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق اي صاح حتى
خاف خوفا عظيما والعهدة على الراوي في هذه الحكاية ولو ثبت ينبغي ان يحمل
على انه بكى بكاء طويلا اذا لم يعهد الصحيح منه ومن اصحابه كما بينته في رسالتي
المسماة احدهما الاعتناء بالغناء والاخرى فتح الاسماع في شرح السماع
فعليك بهما ان كنت تريد محل الاجماع والخروج عن مقام النزاع وروي
انه قرئ بين يديه كما صح انه عليه السلام قال لابن مسعود اقرا علي فقال
اقرا عليك وعليك انزل فقال احب ايضا ان اسمع من غيري فقرا سورة
النساء الى ان وصل الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اي نبي لها
يشهد لها بتحسين افعالها وتصحيح احوالها وجئنا بك على هؤلاء اي امتك
شهيدا اي يشهد لهم وعليهم فبكى طويلا اي زمانا طويلا او بكاء طويلا وقال
للقارئ حسبك الآن وهذا سماع لم يختلف فيه الاثنان وروي انه قرئ
بين يدي عمر ان ربك لواقع ما له من دافع فغشي عليه وروي عن عائشة
انها قالت كانت عندي جارية تغني اي بنت او مملوكة ولعلها كانت في يوم
عيد او وقت عرس جديد فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالها

و

اي لانه عليه السلام كان مظهر الجمال ورحمة العامة الشاملة للامة ثم دخل
عمر فقرت لانه كان مظهر الجلال ومودب الناس حتى الحرة والامة فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من قرارها اولا وفرارها ثانيا وقد ورد
ان الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم الا خر لوجهه رواه الطبراني وفي رواية
لاحمد وغيره ان الشيطان ليفرق منك يا عمر اي يخاف ويفر فقال عمر
يا رسول الله ما يضحكك فحدثه اي بما جرى من امر الامة فقال لا اخرج
حتى اسمع ما سمعت يا رسول الله فامرها فاسمعته ويقرب من ذلك
ما رواه الترمذي وابو داود من انه عليه السلام لما خرج من بعض مغازيه
جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله اني كنت نذرت ان ردك الله
سالما ان اضرب بين يديك بالدف واتغنى فقال لها ان كنت نذرت
فاضربي والا فلا فجعلت يضرب فدخل ابو بكر وهي يضرب ثم دخل عمر
فالقت الدف تحت استها فقال عليه السلام ان الشيطان ليخاف
منك يا عمر وروي انه سئل ذو النون المصري عن السماع اي سماع الغناء
المباح بالاجماع فقال وارد حق اي وارد من عنده لقوله تعالى يزيد في الخلق ما
يشاء وقد قرئ في الحلق يزعج اي يهيج القلوب اي الصافية عن العيوب الخالية عن
الذنوب الى الحق اي كانه يسمع من علام الغيوب فمن اصغى اليه اي مال الى سماعه
بحق اي بمحبة الحق وما يتبعه من العشق في قدم الصدق تحقق اي وصل الى مقام
محقق ومن اصغى اليه بنفس اي بحظ نفس وهواها ولو بنفس تزندق اي خرج
عن الحق الى الباطل او تردد بين الباطل والحق واقله ان يكون بخروجه عن حد الشرع
تفسق وقال السري تطرب قلوب المحبين عند السماع لان غلبة المحبة تورث
الرجاء ويخاف قلوب التائبين اي خوفا من عدم قبول توبتهم بناء على تقصير في
خدمتهم وينتهب قلوب المشتاقين اي تشتعل مائلة الى رؤية محبوبه ومشاهدة
مطلوبه والحاصل ان كل اناء يترشح بما فيه مما يناسبه الحال او يدانيه وقد سمع رجلا

من ارباب الحال شخصاً يقول هذا المقال سبحان رب السماء ان المحب في الغناء
فقال احدهما كذبت لانه كان في مقام الوصال وقال الاخر صدقت لانه كان في
مقام الهجر وحال الملال ومن هنا قال بعضهم من عرف الله كل لسانه وقال
غيره من عرف الله طال لسانه فالاول في مقام الخوف والبلاء والوباء وفي مقام
غير نسخه بعضيلى در
الرجاء والرضاء بالقضاء وقيل من عرف الله بذاته كل لسانه ومن عرف الله
بصفاته طال لسانه فسبحان ما اعظم شانه وما اعز برواته وقيل مثل السماع
مثل الغيث اي المطر اذا وقع على الارض الطيبة تصبح مخضرة كما قال تعالى الم
تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة كذلك القلوب الزكية
اي الطاهرة النقية يظهر مكنون فوائدها عند السماع كما قال عز وعلا والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف
الايات لقوم يشكرون اي نعمه سبحانه فيذكرون وقيل السماع يحرك اي
يظهر ما ينطوي عليه القلوب اي تحتوي عليه وتميل اليه وتهتز لديه من السرور
اي تارة والحزن اخرى واثرهما البسط والقبض والخوف والرجاء وثمرتان
الرضاء بالقضاء والشوق ونتيجته الذوق فربما يخرجه الى البكاء اي للبعد
والهجر ومقام الادب وربما يخرجه الى الطرب ومقامه الانبساط في ميدان
الطلب ونحو ذلك من الاختلافات في الحالات في سماع الايات وتفاوت
المستمعين من المخلوقات قال تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا فهو النسبة لقوم شفاء ودواء وبالاضافة الى
اخرين داء وشفاء كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين قال تعالى فاما الذين
امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا
مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وقيل السماع وان كان الاصل فيه انه حظ الاذن
فيه حظ لكل عضو اي بانفراده واجتماعه فربما يبكي فهذا حظ العين من الوجه
وربما يصرح فهذا حظ اللسان والحلق من الفم وربما يرقص فهذا حظ رجله في

رجله

رجله وربما يصفق فهذا حظ يديه وربما يغمى عليه فهذا حظ كل اعضائه
لديه وقيل هذا حظ قلبه ثم احسن انواع البكاء الذي وصف الله سبحانه به
حال الانبياء بقوله اذا يتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقيل اهل
السماع ثلاثة مستمع بربه وهو الذي في مقام المشاهدة ومستمع بقلبه وهو
الذي في مقام المراقبة ومستمع بنفسه وهو الذي في مقام المجاهدة والاول
موصوف بالفناء والبقاء والثاني متصف بالرضاء والقضاء والثالث
في متابعة النفس والهوى المورثة للبلاء المانع عن الولاء قال بعض المشايخ
لا يصلح السماع اي حال الاجتماع ولا لمن كان في قلبه حيا اي بالايمان
والعرفان ونفسه ميت اي عن مخالفة الرحمان كما يشير اليه قوله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فاما من كان
نفسه حية اي في طلب هواها وتحصيل مشتهاها وقلبه ميتا اي عن
طلب مولاه وسلوك طريق رضاه فلا اي فلا يصلح للسماع بالاجماع وقيل
لا يصلح السماع الا لمن فنيت حظوظه اي النفسية وبقيت حقوقه
اي القدسية وخمدت بشريته اي ناسوتيته عند ظهور لاهوتيته الانسية
وحكي عن بعضهم قال رايت الخضر عليه السلام فقلت ما تقول في السماع
الذي عليه اصحابنا اي من المشايخ الكرام فقال هو الصفا بالقصر اي الحجر
الاملس الذي في غاية الصفاء لا يثبت عليه الاقدام العلماء اي العرفان بشريعة
الانبياء وقيل السماع مقدحة سلطانية اي آلة لاظهار شرارة نار المحبة على
طريق الغلبة لا يقع ميزانها اي تاثير شانها الا من قلبه محترق بالمحبة اي
بالثبات في مقام المودة ونفسه محترقة بالمجاهدة اي في ميدان الارادة من
زيادة الطاعة والعبادة المورثة لمقام المشاهدة كما قال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وكما ورد من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
ومن ادابهم في ذلك اي السماع هنالك ان لا يتكلفوا فيه لقوله تعالى وما

انا من المتكلفين ولقوله عليه السلام انا واتقياء امتى براء من التكلف فان
وجد وجدا فيمشى بجدا ويسرع جودا والا فيقعد قعودا ساكنا ينتظر كرما
وجودا ولا يكون لهم وقت معلوم وذلك لقوله عليه السلام ان لله فى ايام
دهركم نفحات فتعرضوا لها ولقوله جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين
والجذبة ليس لها وقت معين ولا زمان مبين كايمان سحرة فرعون واسلام
عمر المقرون بالعون ولا يسمعون للتطائب اى لطلب النفس وهواها والتلهى
اى والاشتغال بمرادها ومشتهاها ثم يسمعون ما اى كلاما كاملا
كان داخلا فى اوصاف التائبين اى الثابتين ليقويه على متابعتهم فى التوبة
وثباتها والخائفين والراجين ليعينه على الاقامة فى مقام الخوف والرجاء
والرضاء بمواقع القضاء ويجدد لهم صدق الارادة اى ويزيد لهم السعى
بقدم المجاهدة فى ميدان العبادة ومن لم يعلم ذلك اى ما ذكر مما يوافقه ويناقيه
فعليه ان يقصد من يود به فيه اى من العلماء الاعلام والمشايخ الكرام قيل للنصر
ابادى انك مولع بالسماع اى حريص عليه حال الافتراق والاجتماع فقال نعم
هو خير ممن يقعد ويغتاب وفى نسخة من ان نقعد ونغتاب الناس اى وحيث
كان السماع مباحا فى مقام الاستيناس والا فهما كان فى مقام السمعة والرياء
واظهار المشيخة والكبرياء فهو شر من الغيبة التى تدل على انه فى مقام الغيبة
فقال له ابو عمرو بن نجيد بضم موحدة وفتح جيم هيهات اى بعد هذا
عن تحقيق المقامات وتدقيق المباهات يا ابا القاسم زلة فى السماع شر من
كذا وكذا سنة تغتاب الناس لما تقدم ولان الغيبة كل احد يتوب منها وهذه
زلة تغفل غالب الناس عنها ومن هنا قيل معصية اورثت ذلا واستصغارا
خير من طاعة اوجبت عزا واستكبارا والحاصل يجب ان يكون السماع بموجب
الشرع لا بمقتضى الهوى والطبع وقال ابو على الروذبارى بلغنا فى هذا الامر اى
امر السماع وفق الشريعة والطريقة والحقيقة من كمال وقته وشدته وحدته

الى

الى مكان اى مقام مثل حد السيف ان ملنا كذا اى يمينا او شمالا ففى النار
اى فقيما بوجهها وقعنا كما يشير اليه قوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله والحاصل ان الصراط المستقيم
والدين القويم المعنوى اليوم فى الدنيا كالصراط الحسى على متن جهنم ادق من
الشعر واحد من السيف فى العقبى ومن هنا قال الامام القشيرى من شرط
صاحب السماع ليسلم من الافات معرفة الاسامى والصفات والا وقع فى الكفر
المحض اى بواسطة الكلمات الشطحيات او التصورات الكفريات الصادرة
من الوجودية واهل الالحاد والحلولية وليس من الادب استدعاء الحال اى
بل الادب الاتكال على تصرف ذى الجلال على وجه الكمال والتكلف للقيام لقوله
تعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذى يريك حين تقوم ولقوله عز وعلا واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم الا عن غلبة حال ترد
اى من غير تكلف بال وتصور خيال فتزعج القلوب اى فتحركها المطالعة الغيوب
او يكون على سبيل مساعدة لصادق اى كرفيق موافق او مطايبة اى طلب
طيب نفس من هو فى مجلس انسه من غير تساكر اى من غير اظهار سكر ونحو
محو بعد صحو ولا اظهار حال من ايماء الى فناء بعد بقاء وترك ذلك اى كلما
هنالك اولى لان العاقبة للتقوى والمراد على رضا المولى وهو مما يتبع الاولى
ولله الاخرة والاولى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يعظ
فصعق بالعين المكسورة وفى نسخة بالفاء المشددة اى اظهر كمال الحال
رجل من جانب المسجد فقال من ذا الملبس اى المخلط الاتى بتلبيس المشوش علينا
ديننا اى الصافى عما يشيننا وذلك لانه لا يخلو حاله عن امرين محظورين
ان كان صادقا اى فى صعقه الدال على وجده فقد شهر نفسه اى بالرياء
والسمعة وتعدى عن حده وان كان كاذبا محقه الله اى ابطله وابعده عن
مقام قربه وهذا غير معروف فى كتب المحدثين وانما بلغنى انه صدر عن الجنيد

بالنسبة الى بعض المريدين ويكره للشباب اى للمبتدين في هذا المقام ولو
كانوا في صورة شيوخ العوام القيام اى للسماع بحضرة المشايخ اى العرفاء
الكرام واظهار الحال اى حال الكمال عند العلماء الاعلام حكى ان شابا يصحب
الجنيد اى يلازمه لطلب الحق وكلما سمع شيئا زعق اى صلح صيحه وتغير اى
صورة وهيئة فقال له اى الجنيد اما للتنبيه ان ظهر منك شيئا بعد هذا
فلا يصحبني طا من الجنيد انه في مقام السمعة والرياء اوارادانه يرقيه من مقام
النقص اى مقام كال الاولياء فكان اى الشاب بعد ذلك يضبط نفسه اى
ويراعى انسه وربما كان يقطر من كل شعرة قطرة اى من العرق الناشى عن الفرق
حتى كان يوما من الايام زعق زعقة خرجت فيها روحه اى فيما بين الانام ولا رخص
للاحداث اى للمرد ان الحسان في القيام والتحرك اصلا اى مطلقا لا في حال
الوحدة ولا في حال الجمعية خوفا من الفتنه والبليه واكثر المشايخ يكرهون
حضورهم في مجلس السماع لانهم محل الشهوة في الجملة والنظر اليهم بها حرام
بل قال بعضهم بتحريم النظر اليهم ولو بغير شهوة وقال بعضهم يكون مع
المراه شيطان ومع الامرد سبع شيطان وذلك لان اللواطه اقبح من
الزنا ولا من الوصول الى المرأة مشروع في الجملة واذا كان الوقت جدا اى حقا
محضا لا تواجد فلا يجوز للمتكلف المداخله والمزاحمه على طريق الموافقه ايضا
لانه يصير من باب خلط الجد بالهزل وهو ممنوع لقوله ولا تلبسوا الحق
بالباطل حكى ان ذا النون المصري دخل بغداد فدخل عليهم جماعة اى من
اهل الوداد ومعهم قوال اى مغن ياتى بالاقوال وفق المقام ومناسب المراد
في جميع المواد فاستاذنوه ان يقول شيئا اى يقرا شيئا من الاشعار
فاذن لهم اى مراعات للاصحاب الابرار فانشد القوال اى بحسب ما ظهر
له من مناسبة الحال صغير هواك عذبني ان يسير محبتك اوقعني في عذاب
حرقتك ومبدا مودتك رفعني في مقام فرقتك فكيف به اذا احتنكا بالف

مطلب
محل الشهوة في الجملة والنظر اليهم بها حرام
وذلك لان اللواطة اقبح من الزنا

الاطلاق

الاطلاق اى فكيف حالى بحبك اذا كثر واستولى وغلب واستقصى وانت
جمعت في قلبي هوى قد كان مشتبكا اى مختلطا وفي نسخه مشتركا اى بين
هواك وهو ما سواك وفيه اشارة الى قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه وقوله عز وعلا ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون اى منفعة التوحيد
ومضرة الاشراك في مقام التفريد وحال التابيد وايماء الى قوله عليه السلام من
جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هموم الدنيا والاخرة اما ترثى لمكتئب اى
اما تغزى وما تسلى لحزين في وادى الفرقة والحرقة اذا ضحك الخلى بكا اى في
وقت يفرح وينبسط الصاحب الخالى عن الحزن لوصوله الى مقام الجمعية والوصلة
او الخالى عن مقام المحبة والعارى عن هم المودة بكا ذلك الحزين بشديد الانين
عند ذلك القرين فطاب قلبه اى قلب ذى النون بسماع ذلك الشعر المكنون
وقام اى من غير اختيار وتواجد عن اضطراب واضطرار وسقط على جبهته
اى من قوة جذبته والدم يقطر من جبينه اى من شدة حزنه وحدة انينه
ولا يقع على الارض لانه من الولى المحترم فقام واحد اى على قصد انه متواجد
او واجد فنظر اليه ذا النون اى وعرف انه ليس بشاهد ولا مشهود واحد
ماجد وقال الذى يراك حين تقوم مطلع على قيامك وبخالفه مقامك
فجلس اى الرجل اعترافا وانصافا فروى عن الاستاد ابى على الدقاق يقول
في هذه الحكاية كان ذو النون صاحب اشراف على ذلك الرجل حيث نبهه ان ذلك
ليس مقامه وكان ذلك الرجل صاحب انصاف حيث قبل كلامه والسكون
اى الوقار والاطمينان بذكر الرب مع حضور القلب وجمع الهمه اى بازالة
اسباب الفرقة الموجبة للحرقة اولى من المداخلة اى في امر السماع ولو حال المواصلة
لانه اى السكون في المقام المصون من محل الاستقامة اى التى هى خير من
الوف الكرامة والتمكين اى الذى ضد التلوين والهدو اى السكون في هذا

الباب الذى هو ضد الاضطراب والانصات اى السكوت والسكون فى هذه
الحالات من ادب الحضرة اى الالهية اصالة والنبوية تبعا قال الله تعالى اى
فى مدح الجن وادابهم فلما حضروه اى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم او سماع
القران منه عليه السلام قالوا اى بعضهم لبعض انصتوا اى اسكتوا
او اسكنوا واستمعوا وانقادوا واطيعوا وخشعت الاصوات اى
خفضت وخفيت وهمدت وخمدت اصوات الخلائق للرحمن يوم الحشر
فلا تسمع ايها المخاطب الا همسا اى صوتا ضعيفا وحسا خفيفا يشبه حس
مشى الابل فوق الرمل ومنه قول الشاعر شعر وهن يمشين بنا هميسا
فاذا اتفق مجلس السماع اى ولا بد منه حال الاجتماع يبدا بالقران لانه عليه
السلام كان يسمعه من غيره وكذا اصحابه الكرام ويختم به ليكون ختامه مسكا
وليكفر ما سبقه حزنا او ضحكا فقد حكى عن ممشاد الدينورى انه راى النبى
صلى الله عليه وسلم فى المنام فسأله عن اجتماع القوم السماع اى اهو حلال
ام حرام ام مباح قال لا باس به اى والاولى تركه لما ورد لا يكون المؤمن كاملا
حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس ابدوا بالقران واختموا وفيه تنبيه نبيه
انه يجب عليكم ان لا تخرجوا عما فى القران اصلا لا اعتقادا ولا عملا ويكره للمريد
اى لانه يخاف عليه من وساوس الشيطان المريد سماع الغزل اى الذى فيه
ذكر الخد والقد والعامة والهامة وامثال ذلك من تشبيب النسوان والمردان
والاوصاف اى ونعوت الاشياء المحرمة من ذكر الخمر والنقل والشرب والسكر
فانها بعيدة الغور اى لا يخرج عن عهدتها الا الغواصون من الرجال فى اكمل
الاحوال مع انهم فى خطر من تشويش البال حكى عن بعض المشايخ انه قال السماع
شهوة اى فيها حظ النفس وشائبة الهوى فى قعر شبهة اى من رتبة التهمة
والرياء لا يحسن تناولها الا عارف ذو بصيرة اى فى امر الدين وفطنة اى فى
مقام اليقين يحسن الشهوة اى يمنعها عن الحركة ولا يمس الشبهة لينال بها البركة

مطلب والاولى تركه

وقال الجنيد كل مريد رايته يميل الى السماع اى فى مجلس الاجتماع فاعلم ان فيه بقية
من البطالة اى يريد ان يصرفها فى معرض الملالة والكلالة وقيل السماع صراط ممدود
اى بين السماء والارض من الهواء يقصده اى يحصان صاحب يقين اى فى
مقام تمكين ووجود اى فى حال شهود وصاحب شك وجحود اى نفاق انكار
وعنود اما ان يرفع سالكه اى اعلى عليين كالاولين او يكبكبه الى اسفل سافلين
لانه ليس له علم بالشريعة ولا بالحقيقة فيحفظه ويونسه حتى يسمع الحق بالحق
ولم يعرف اسماء الله تعالى من نعوت ذاته وسائر صفاته وما يجوز عليه
وما يستحيل نسبته اليه فربما اذا فتح له باب السماع نزل المسموع فى حقه سبحانه
على ما لا يجوز تعالى شانه وتعظم برهانه فيقع فى الكفر من حيث لا يشعر ثم فيه
تنبيه على انه لا وقوف فى سير السالكين فمن لم يكن فى زيادة رفعة فهو فى نقص
مرتبة ونظير هذا التمثيل من اهل العرفان ما ورد فى حق القران انه حبل ممدود
بين السماء والارض اى فمن تعلق به اوصله الى مقام الاعلى ومن اعرض عن
ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال بعض المريدين
لبعض المشايخ اى الموحدين اليس المشايخ اى من المتقدمين كانوا يميلون الى
السماع اى حال الاجتماع فقال ان كنت مثلهم اى فى المقام والحال فاسمع انت
ايضا اى كما سمع الكل من الرجال وفيه ايماء الى انه لا يقاس الملوك بالحدادين
ولا الوزراء بالقدادين ونظير هذا السؤال والجواب ما قال بعض الامراء لواحد
من العلماء اما يجوز لنا اطفال الكفار كما قتله الخضر فاجاب بانك لو علمت ما
ايقن الخضر فافعل ما ترى وقيل السماع سرور ساعة يزول اى ذلك السرور
عن قريب وهم ساعة فتول اى يقتل صاحبه ان كان فى مقام الريبة والحاصل
ان السرور الفانى لا يوازى هموم الزمان الباقى ولله در القائل شعر اشد
الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وفى الجملة الاشتغال بالطاعات
فى اكتساب المفروضات واجتناب المحرمات اتم واهم من السماع فى اختلاف الحالات

واما اصحاب المقامات السنيه من الصوفيه الصفيه فنسلم امرهم اليهم ولا
ننكر عليهم لاجل تحسين الظن بهم وبما لديهم ولا يحضر مجالس السماع من يتبسم
اى تعجبا واستهزاء اذ يتلهى اى يشتغل عنهم استخفافا او استحياء
حكى عن ابى عبد الله بن خفيف انه قال حضرت مع شيخى احمد بن يحيى فى دعوة
بشيراز وهو بلد فى ديار العجم من الفارس فاتفق سماع مطاب وقت الشيخ
وقام يتواجد ويدور اى بحسب ما يتشاهد وكان فى صفة بحذائنا اى
مقابلنا قوم من ابناء الدنيا فتبسم واحد منهم اى لغفلته عن مقامات اهل
العقبى فى محبة المولى فاخذ الشيخ منارة كبيرة اى مسرجة كانت هناك
فرماه بها اى تخويفا له فى عمله وزجرا عن الانكار فاصاب الجدار اى واثر فيه
عمل شيخ الابرار خرقا للعاده فى قدم صدق الاراده فانغرست ارجلها
الثلاثة فى الحائط وقد حفظ الله سبحانه عن جراءة الضاحك الخائط
حيث كان افعاله وحركاته وفق الامر الضابط كما يشير اليه قوله وكان اى
صاحب السماع قد صلى ثلاثين سنة صلوة الصبح بوضوء العشاء اى فى مطلب
مداومة الاحياء وبهذا تبين ان غضبه كان لله لامر حيث متابعه نفسه
وهواه لا يقال شعوره باحوال غيره ينافى كمال السماع فانا يقول هذا فى حق
المبتدين الواصلين الى مقام الجمع واما الذين قعدوا منه الى مقام جمع الجمع بحيث
لم يمنعه الوحدة عن الكثرة ولا يشغله الكثرة عن الوحدة فحالهم خلاف ذلك
اما ترى ان عمر بن الخطاب فى حال خطبته بمحضر الاصحاب قال ياسارية الجبل
وعنه ايضا ربما اصلى فى الظاهر وادبر امر العسكر فى الباطن فلا يحصل له
خلل فى احدهما فهذا حال ارباب الكمال فمن لم يذق لم يعرف كالعنين
من الرجال سئل بعض المشايخ عن شرب القلوب بكسر الشين اى حظها
ونصيبها من السماع وهو اعلى احوال الرجال وشرب الارواح منه وهى
المرتبة الوسطى بين المرتبتين والمنزلة العظمى بين المنزلتين وشرب النفوس منه

وهى

وهى ادنى المراتب وادون المناقب فقال شرب القلوب الحكم اى المعانى
الكثيرة المصوغة فى قوالب المبانى اليسيره وشرب الارواح النغم اى التى
من ظواهر النغم المشتركة بين الانسان والطير والنعم وشرب النفوس
ذكر ما يوافق طبعها من الحظوظ اى المشتهيات النفسانيه واللذات الحيوانيه
ومن هنا قال الاستاد ابو على السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ومباح
للزهاد لحصول مجاهدتهم فى مقام انسهم من ذكر ربهم ومستحب لاصحابنا
لحياة قلوبهم بسبب كمال حبهم وسئل اى بعض المشايخ عن التكلف
اى التواجد فى السماع اى من غير وجود حقيقة الوجد ومقام الشهود فقال
هو اى التكلف الناشى عن التشبه باهل التحقق والتشبه على ضربين اى نوعين
تكلف من المستمع اى الذى يتكلف السماع لطلب الجاه اى من منصب المشيخة
فى التعظم والكبرياء على المريدين والفقراء والاعتبار عند الملوك والامراء
والوزراء او منفعة دنيوية صادرة من خدمة الضعفاء او عطية الاغنياء
وذلك اى هذا النوع من التكلف تلبيس اى مكر وتخديع من ابليس وخيانة
اى مشتمله على جناية وتكلف منه اى من المستمع لطلب الحقيقة اى بالتدرج
على وجه التعرج كمن طلب الوجد بالتواجد وكذا الزهد بالتزهد والعلم
بالتعلم والعشق بالتعشق وهو اى هذا النوع من التكلف محمود بمنزلة
التباكى من البكاء قال اى سيد الانبياء اذا رايتم اهل البلاء فابكوا اى
تكلفوا فان من تشبه بقوم فهو منهم ومن هنا قيل المجاز قنطرة الحقيقة
والرياء قنطرة الاخلاص وقد قال بعض السلف طلبنا العلم لغير الله فابى
ان يكون الا لله وقال ابو نصر السراج بتشديد الراء اهل السماع على ثلاث طبقات
اى مراتب ودرجات ونعوت وصفات او على ثلاث اصناف وطوائف طبقة
منهم يرجعون فى سماعهم الى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون اى فانهم يسمعون
من الله حيث لا يشاهدون سواه فهم فى مرتبة موسى الكليم عليه التسليم فيما سمع

كلام المحضرة من الشجرة المخضرة وفي هذا المقام ينفتح جميع المسام لسماع الكلام
المعرى عن قيد الصوت السارى عن جهة من جهات المقام فهولاء من كل المشايخ
الكرام او المجذوبون في العرفاء الفخام وطبقة منهم يرجعون فيما يسمعون
الى مخاطبات احوالهم ومقاماتهم اى في اختلاف افعالهم وحركاتهم وسكناتهم
واوقاتهم اى في تحسين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين مطالبون
بالصدق اى والاخلاص عن التكلف والخلاص عن ربقة السمعة وملاحظة
رياء الخلق فيما يشيرون اليه من ذلك اى حيث يعبرون عن مقام وحال
هنالك وهؤلاء المتوسطون الكاملون والجامعون المحفوظون المحظوظون
المرتبطون بنظر الحق ومراعات الخلق فيعطون كل ذى حق حقه وكل جزء من
اجزاء العالم نصيبه وحظه وطبقة منهم الفقراء اى الذين اختاروا الفقر
على الغنى واثروا العقبى على الدنيا محبة في المولى الذين قطعوا العلائق اى
المتعلقة بالخلائق على جهة يكون من الموانع والعوائق ولم يتلوث قلوبهم بمحبة
الدنيا والجمع اى من غير محله وحله والمنع اى عن مستحقه واهله فهم يسمعون
بطيبة قلوبهم اى غير متلونة بشيء من ذنوبهم وعيوبهم فهم اقرب الناس
الى السلامة اى وابعدهم من مقام التهمة والملامة واسلمهم من الفتنة
اى واحفظهم من المحنة وكل قلب ملوث بمحبة الدنيا اى بان لم يتجرد لزاد
العقبى في محبة المولى فسماعه سماع طبع اى سماع لا شرع وتكلف اى في
صدد منع وقيل يحتاج الى السماع اى سماع النغمات الموجبة للحركات
والسكنات ولذا قال على كرم الله وجهه روحوا القلوب فانها اذا كرهت
عميت من كان ضعيف الحال اى ونحيف البال في مقام التلوين من الرجال
فان القوى اى من ارباب التمكين واصحاب اليقين لا يحتاج الى ذلك اى
لاستغنائه بما عنده مما هنالك ومثالهما البعير القوى والضعيف في سير
المفاوز والمسالك فان القوى يسير من غير ضرب ونداء حداء بخلاف الضعيف

ثباتهم وتزيين طوياتهم فهم مرتبطون بالعلم اى وفق الشريعة والطريقة والحقيقة بناء على
صح صح

فان

فانه لا يمشى الا بضرب شوك وعصاء ومن هنا قال الحصرى ايش اعمل بسماع
ينقطع اذا انقطع من يسمع منه ينبغى سماعك متصلاً غير منقطع اصلا
وقيل السماع زاد المضطرين فمن وصل استغنى عن السماع وقد ورد ليس
الخبر كالمعاينة وقال الحصرى ما ادون حال من يحتاج مزعج يزعجه اى محركه
يحركه للسير الى الله والانقطاع عما سواه من وعظ واعظ او شعر شاعر
او قول قائل ولعمرى لا يحتاج الثكلى وهى الوالدة الفاقدة ولدها بالموت
او الفوت الى نائحة اى معينة بان يكون صائحة ومن هنا قال القائل شعر
وفي فؤادى قوال يغنى لى وقيل السماع لقوم كالغذاء اى لا يستغنى عنه
في الصباح والمساء بمنزلة الغداء والعشاء ولقوم كالدواء اى قد يحتاج
اليه لدفع الداء الناشى عن الكسل والملالة في العبادة والدعاء بحكم المشايخ
الذين هم في مرتبة الاطباء والحكماء ولقوم مروحة اى آلة للراحة الموجبة لاستراحة
النفس وهو بها كتحريك الهواء فيما بين الارض والسماء فالاول لارباب الانتهاء
والثالث لاصحاب الابتداء فهو كالنيل ماء للمحبوس ودماء للمحجوبين وكالقران
المبين شفاء للمطيعين وشقاء للمجرمين وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى
الوجد قد يكون زيادة لقوم اى في مقام اليقين ورفعا لهم الى اعلا عليين
ونقصا للآخرين اى بانحطاطهم الى اسفل سافلين وهو كالسلاح يصلح
للجهاد في سبيل الله اى مع الكفار ولقتل اولياء الله اى اصفياء الابرار
اذا الحواله في العمل الى صاحب الآلة وكذلك الشمس تصلح شيئا اى فيما قدر الله
ودبر وتفسد شيئا آخر اى حيث تغير فقدر وكذلك العلم يصلح ان
يكون وسيلة لمناصب الدنيا وان يكون ذريعة لمناقب العقبى ومراتب قرب
المولى وقيل السماع من حيث المستمع اى يختلف باختلاف حاله وان كان الاتحاد
في لفظ مقاله وقد قيل كل اناء يترشح بما فيه مما يوافقه وينافيه قد سمع بعضهم
طوافا اى بياعا دوارا يصيح باسعه برى فاغمى عليه فسئل عن ذلك اى حيث

لم يكن باعث ظاهر هنالك فقال حسبته يقول اسع تر برى يعنى
وكان فى مقام المجاهده وسمع آخر فقال حسبته يقول الساعة تر برى
وكان فى مقام المراقبه والمشاهدة وسمع آخر الخيار عشره بحبه فتواجد
وقال فالشرار ابن قدره فى مقام المحبة وعن على انه سمع حس الناقوس فقال
يقول سبحان الله حقا ان المولى يبقى وسمع الشبلى منشدا يقول أسائل
هى حرف نداء اى ايها السائل عن سلمى وهى اسم محبوبه كليلى فهل من مخبر
اى مبالغ فى الخبر عنها والتفحص منها يكون له علم بها اين تنزل اى من
فوق المراحل الى المنازل فزعق اى فصاح وصعق وقال لا والله ما فى الدارين
عنه مخبر اى عن ذاته لقوله تعالى لا يحيطون به علما ولقول على رضى الله عنه
ما خطر ببالك فالله وراء ذلك وهذا الايماء فى قول بعضهم ليس فى الدار
غيره ديار اى غير مظاهر صفاته ومآثر مصنوعاته وهذا معنى قول بعض ارباب
الشهود سوى الله والله ما فى الوجود ويشير اليه قوله سبحانه كل شئ هالك
الا وجهه ويومى اليه قول لبيد شعر الا كل شئ ما خلا الله باطل وهنا
من له قدم للوجوديه القائلين بالعينيه وكذا للحلوليه المعتقدين المعيه
الحقيقه وكلاهما مذهبان باطلان عند السادة الصوفيه والعلماء الشرعيه
وقال الصبيحى ان يكون الواجد اى الذى له وجد نشاء عن ذوق اذا كان
وجده صحيحا اى صادرا عن شوق محفوظا حال وجده اى عما يكون نقصا فى
مقام فقده لا يجرى على لسانه الذم بحال اى فى احوال فقده اذ ليس فى الامكان
ابدع مما كان على ما صرح الغزالى فى كتبه وقال ابو مدين المغربى شعر
لا تنكر الباطل فى طوره فانه بعض ظهوراته والحاصل انه ليس فى الكائنات
الا مظاهر صفات الكمال من نعوت الجمال والجلال وقيل الوجد اى وجد
القلب فى محبة الرب سر من صفات الباطن كما ان الطاعة اى عبادة الغالب
من صفات الظاهر وصفات الظاهر الحركة والسكون اى فى مقام المجاهدة

وصفات

وصفات الباطن الاحوال كالخوف والرجاء والصبر والشكر والرضا
والاخلاق كالزهد فى الدنيا والتواضع مع الفقراء والكرم والجود والسخا
وذلك كله فى مقام المراقبه والمشاهدة وتسمى الاول بالاسلام والايمان
والاحوان بالعرفان والاسام ومن هنا قال عليه السلام بعد تعريف الايمان
والاسلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وفيه
تنبيه على من لم يسلك ظاهر الشريعة والطريقه لم يصل الى مقامات ارباب الحقيقه
كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم
هدى واتيهم تقويهم قيل سبب مرض الشيخ احمد الرفاعى احد اكابر اليمن
وموته انه سمع قائلا ينشد ابياتا واضطرب وانزعج ابياتا وهى ينشده اذا
جن ليلى هام قلبى بذكركم انوح كما ناح الحمام المطوق وفوق سحاب تمطر الهم
والاسى وتحتى بحار بالاسى تتدفق سلوا ام عمرو كيف حال اسيرها
تفك الاسارى دونه وهو موثق فلا هو مقتول وفى القتل راحة ولا هو
ممنون عليه فيعتق واما حكم الخرق بكسر ففتح جمع الخرقه وهى الثوب المرقع
التى تقع فى السماع اى عن بدن المتواجد حال الاجتماع ففيه تفصيل عند
الصوفيه غير معتبر فى الاصول الفقهيه ولعلهم بنوه على القواعد العرفيه
فما كان منها على طريق المساعده اى المعاونه بقيمة الخرقه لاهل المشاهده فهى
للجماعة اى للحاضرين عامه وما كان منها للقول قوال اى مغن وانشاء منشد
اى للشعر فان لم يكن هناك جماعة فهى للقوال وفى معناه المنشد خاصة وان
كان هناك جماعة اى مع القوال فقد اختلف اقاويل المشايخ فيه اى بحسب
اختلاف آرائهم مما يوافقه وينافيه فذهب بعضهم الى انها للقوال اى
خاصة لانه لما وجد الفائدة اى لذة السماع فى سره من جهته اى لسبب نغمته
خلع عليه بدلا عما تحفه به اى من نغمته وذهب بعضهم الى انها للجماعة اى
كافة والقوال فيها كاحدهم اى لا مزية له فيها لان بركة حضور الجماعة لا يقصر

عن قول القوال اى فى انجذاب السماع واجتلاب الحال ومما يدل على
هذا المعال انه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر من اتى
مكان كذا فله كذا ومن قتل قتيلا فله كذا المحفوظ فى الحديث فله سلبه
ومن اسر اسيرا فله كذا فتسارع الشبان بضم الشين وتشديد الباء جمع
الشباب والفتيان بكسر الفاء اى الاقوياء من الغلمان واقام الشيوخ والوجوه
اى الرؤساء عند الرايات اى الاعلام المنشورة فى سماء العلاء فلما فتح الله
على المسلمين طلبوا ما جعل لهم فقال الشيوخ اى من الوجوه وغيرهم كنا
ظهرا لكم اى ناصرا ومظاهرا وردءا اى معادنا وملاذا وملجا فلا تذهبوا اى
فليس لكم ان تذهبوا بالغنائم دوننا اى بان تجاوزونا ولا تشاركوناه
فانزل الله تعالى يسئلونك عن الانفال اى الغنائم قل الانفال لله اى
اصالة وحقيقة والرسول اى حوالة ونيابة فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم
بالسوية اى بالتسوية بين من حضر فى تلك القضية لكن المعروف ان قوله من
قتل قتيلا فله سلبه مستثنى من هذه الكلية فلصاحبه هذه الخصوصية
ومنهم اى ومن المشايخ من قال ان كان القوال من جملة القوم اى من المريدين
فهو كاحدهم اى فى الاستحقاق وليس له الاستبداد بشئ منها اى
الاستقلال بالاتفاق وان كان اجنبيا فما كان منها له قيمة اى من نحو عمامة
يؤثرونه به كما هو اللائق لارباب الكرم وما كان خرقيات الفقراء فهم اولى
بها اى لانهم ينتفعون بلبسها ويتبركون بسبب لبسها ومنهم من
قال ان كان القوال اجيرا اى حاضرا بالاجرة فليس له منها شئ اى لان الاجر
والاجرة لا يجتمعان وان كان متبرعا فله ما يصلح له منها وقد يستفاد هذا
المعنى من قوله تعالى من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الاخرة من
نصيب واذا قلنا انها لهم فحكمها ان لا يشتغلوا بها اى باخذها وحفظها
ما داموا فى السماع لئلا يتكدر حالهم بسببها وما لهم من حظها فاذا

انقضى وقته انتهى زمان السماع جمعوها فى الوسط فى وسط مكان الاجتماع
ثم ان كان هناك اى فى مجلسهم ذاك محب لهم اى معتقد من الاغنياء فحكمه ان
يفديها اى يخلصها بما يوجب وقته اى بما يسع قدرته وطاقته فى بذله بدلها
من غير معاوضة فيها اى لا بطريق المبايعة المتعارفة المتداولة فى المبادلة ولا منادا
عليها اى على جهة التزايد فيها فان ذلك اى امثال ما ذكر استخفاف اى اهانة بها
اى فى حد ذاتها وبحقها اى بخصوص صفاتها وبحقهم اى لما يوجب من عدم اعتبارهم
وقلة استحقاقهم فى مراعاتها ثم اى بعد ان لم يكن محب لهم يفديها ان كان
هناك شيخ له حكم اى على اهل المجلس كلهم فالحكم فيها اليه من تخريق اى من جعله
قطعة قطعة وتبديل اى بيعها معاوضة ورد على اصحابها اى ملاطفة وموافقة
وهو المتعين فى حكم الفقهاء الا اذا فعلوا شيئا بخلافه مما يعلم لصاحبها
من علامات الرضاء ثم فى تخريقها نوع اضاعة من المال الا اذا كان كل قطعة
يصلح لاحد من ارباب الحال قال اهل الشام اى من المشايخ الكرام الفقير اولى
بخرقته اى لانه رماها عند حرقته ولم يخرج عن يده وتصرفه بكليته وانكر
الجمهور منهم ذلك ولعله الاصطلاح وتعارف هنالك ومنهم من قال
ما كان وقع منها على سبيل المساعدة اى الموافقة لارباب المشاهدة او مشوبا
بالتكلف اى مخلوطا بالمجاهدة من غير طيب قلب له فى العادة فالرد اولى
اى لدفع الشبهة ورفع الريبة واكثر المشايخ يكرهون طرح الخرقة على
سبيل المساعدة اى الموافقة فى ميدان المرافقة لما فيه من التكلف المباين
للحقيقة اى وان كان له صورة ظاهرة فى الشريعة او الطريقة وان لم يكن هناك
شيخ له حكم يمضون فيه حكم الوقت اى يفعلون فيها بمقتضى الوقت هنالك
ولا يؤخر ذلك لان فى التاخير افات ويكرهون تخريق المرقعات لما فيه من
تضييع المال الا ان يكون تبركا اى عند ارباب الحال وما كان منها من خرق
الفقراء اى المجاذيب الصلحاء او المشايخ الكبراء فما كان يصلح منها للرقاع

فتحريقه اولى اى من بيعه واكل ثمنه لكى يصيب الكل نصيبا اى حيا يتضمن
تبركا مغنويا ولا يبقى البعض محروما اى حرمانا كليا ويفرق على الحاضرين
دون الغيب اى لا على الغائبين منهم معهم لان الغنيمة لمن شهد الوقعه
اى الغزوه فكذا فى هذه الحاله فاذا احضر معهم غيرهم فالمحبون منهم يعطون
من الخرق اى كما يعطى نصيبا دون سهم لمن لم يباشر القتال من النساء
والرجال وقد قال تعالى واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وكيف يقسم ذلك اى على قول من
لم يقل بالتسويه كما تقدم هنالك اختلف المشايخ فيه فقال بعضهم يقسم
عليهم بالتفاضل كقسمة المواريث اى حيث يكون للورثه الربع او النصف
او الثلث او الثمن والغنائم اى حيث يكون زيادة التنفيل لبعض الغزاه وقال
بعضهم ان كان يقسم ذلك شيخ يقسمه بالتفاضل لانه يعرف حقيقة
مراتبهم وتفاوت مناقبهم وان كانوا يقسمونه فيما بينهم قسموه بالتسويه
اى لعدم معرفتهم بمراتب المزيد وما لا يصلح منها للرقاع فالايثار بها المستحق
اولى حيث يقدر الانتفاع لسببها وما كان اى المطروح على يد المساعد من
ثياب المحبين اى الحاضرين من المعتقدين فالبيع اولى اى لاستغنائه ومعرفه
رضائه او الايثار للقوال اى للانتفاع بانشاده وغنائه دون التخريق اى
لعدم التبرك بعبائه وقبائه **فصل فى ادابهم فى التزويج** اى الشامل
بمعنى التزوج الاولى ان يرغب فى المراة الدينه اى المتدينه بالعقيدة المرضيه
المجتنبه عن المبتدعه الرديه الصالحه اى بالاعمال السنية السنيه فان الزوجه
الصالحه ليست من الدنيا وانما يفرغك للاخرى ويقيمك على خدمة المولى
وقد ورد من رزقه الله امراة صالحه فقد اعانه على شطر دينه فليتق الله
فى الشطر الباقى رواه الحاكم عن انس وعن على فى قوله تعالى ربنا آتنا فى الدنيا
حسنة اى امراة صالحه وفى الاخرة حسنة اى الحور العين وقنا عذاب النار

فى ادابهم فى التزويج

اى المراة السليطة العاريه عن العار فى رواية ابن ماجه ما استفاد المؤمن
بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحه ان امرها اطاعته وان نظر
اليها سرته وان اقسم عليها ابرته وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله ثم
عدم الرغبه فى النساء لم يعد من الزهد فى الدنيا لانه عليه السلام احل له
تسع وما شاء من السوارى ولان عليا كرم الله وجهه تزوج اربعا ولم يباشر
محافظة على السنه بقدر الوسع والطاقه او صونا للنظر عن الوقوع فى الحرمه
ويقال عيسى عليه السلام يتزوج فى اخر الزمان ويا ثبه الاولاد بمنزلة الاكباد
وقد ورد شراركم عزابكم وركعتان من متاهل خير من سبعين ركعة من
غير متاهل وجاء ايضا خيركم بعد المائتين خفيف الحاذ قيل وما خفيف
الحاذ يا رسول الله قال من لا اهل له ولا ولد فالمريد ينبغى ان ينظر الى تحسين
طويته وتزيين نيته وقوة توكله فى امر معيشته وتحصيل نفقته ومؤنته
فان كان له قدره على ذلك فالتزوج افضل فى حقه هنالك وقال النبى
عليه السلام تنكح المراة لدينها اى لحسن اعمالها تارة وجمالها ومالها اى
تارة اخرى فعليك بذات الدين اى الزمها واخترها فانها صاحبه كمال ولو لم
يكن لها مال ولا جمال تربت يداك اى ان لم تختر ما هنالك افتقرت من خير
الدنيا والاخرى والجملة حاليه اى حال كونك فقيرا محتاجا الى المال لتوسع
الحال لان المدار على الديانة المقرونه بالصيانه والحديث رواه الشيخان وغيرهما
عن ابى هريرة ولفظه تنكح المراه لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها
فاظفر بذات الدين تربت يداك وروى بسند غير معروف من تزوج امراة
لمالها احرمه الله مالها وجمالها وقال اى النبى عليه السلام كما رواه احمد وغيره
عن عائشه اعظم النساء بركة ايسرهن مونه ولا شك ان الدينة تكون
موصوفه بالقناعه وقال عمر بن الخطاب خلق النساء من ضعف اى من اجل

ضعف بنيته لهن وبوصف قلة عقولهن وعوره اى ومن اجل بسترة لهن
وصيانة لازواجهن فدا وواضعفهن بالسكوت اى لا بضربهن ولا بجوابهن
وتغليظ خطابهن وعورتهن بالبيوت اى بمحافظتهن فى عدم خروجهن
وقلة ثيابهن واداءبهم فى ذلك ان لا يتزوج للدنيا اى لا لها وجاهها ولا
بذات اليسار اى بالغنية لئلا يتكبر عليه ولا يفتخر لديه ولا ينظر بنظر
للحقارة اليه بل للدين اى بل يتزوجها مراعاة لتحصيل الدين وتحصين النفس
فى مقام اليقين وفى نسخة بل للسنة اى لمراعاتها ولقوله عليه السلام النكاح
سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى والنسب اى من ذريته السادات
الكرام والعلماء الاعلام او المشايخ العظام والعفة اى التقوى والديانة
والقناعة بحسن الرعاية ثم يقوم بما لا بدله من الكفاية اى بقدر كفايته ومن
نفقته قدرا وسطا كمية وكيفية لقوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولقوله عليه السلام الاقتصاد نصف
المعيشة بحسب الطاقة لقوله سبحانه لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر
عليه رزقه فلينفق مما اتيه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتيها سيجعل
الله بعد عسر يسرا فان عجز اى عن تحصيل اصل النفقة او طلبت فوق
الطاقة خيرها بين الوفاق على المسكنة اى بين الموافقة على الفقر والفاقة او طلاق
الفرقة اى من غير ضرر الحرقة عملا بقوله تعالى فامسكوهن بمعروف او سرحوهن
بمعروف وايضا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث انزل الله تعالى
اى حين سالت نساء النبى عليه السلام من عرض الدنيا شيئا من الحطام وطلبن
منه زيادة فى النفقة وتكلف فى الطعام يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن
تردن الحيوة الدنيا اى محبتها وزينتها اى زيادة كسوتها ونفقتها الا ستن
وهما قوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن

ازواج النبى صلى الله عليه وسلم

الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما
وكن تسعا اى خمس من قريش عائشة بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة
بنت ابى سفيان وام سلمة بنت ابى امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات
زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت
حيى بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فخيرهن النبى صلى
الله عليه وسلم فبدا بعائشة اى لانها كانت احبهن اليه واعزهن لديه
فخيرها وقال لها انى محدثك بحديث اى مخبرك بخبر ومخيرك فى امر فاستشيرى
فيه ابويك اى ولا تستعجلى برأى بيد ولديك فلما اخبرها اى بقراءة الاية عندها
قالت او فيك اى او فى حقك استشير ابوى اى وانت احب الخلق الى
واعزهم على فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة وقالت لا تخبر نساءك بهذا
اى بما اخترته وكان هذا غيرة منها على سائرهن فقال والله لا يسال منى
عن ذلك الا اخبرتهن وفى رواية قال لا تسئلنى امرأة منهن الا اخبرتها
ان الله لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا قيل واختارت
واحدة منهن الدنيا فوجدوها فى اخر عمرها تلتقط البعرة فى ازقة المدينة واما
الازواج الطاهرات فقد حصل لهم عز الدنيا وسعتها والدرجة العليا
ورفعتها فى العقبى فلما اخبرهن اخترن الله ورسوله وشكرهن الله على
ذلك اى وقصره عليهن هنالك ثم انزل لا يحل لك النساء من بعد الاية
اى ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك
والاولى فى زماننا اى لعدم القناعة فى نسواننا مجانبة التزويج اى للاستراحة
من تحصيل زيادة النفقة وقمع النفس بالرياضة والجوع اى بالاضافة
اى اللحم والدسومة والسهر اى بقيام الليل فى العبادة والسفر اى بالخروج عن
الوطن واختيار العزبة وعدم التعلق بذوى القرابة فانه ادعى الى تحمل الغربة
وقد روى مرفوعا ياتى على الناس زمان تكون هلاك الرجل على يد زوجته

وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيقونه ويدخل المداخل
التي يذهب فيها دينه روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
عليكم بالنكاح فمن لم يستطع فعليه بالصوم اي بمداومته وكثرته فانه
له وجاء اي بمنزلة الخصاء واصل الوجاء رض الخصيتين والحديث رواه الطبراني
وغيره عن انس بلفظ عليكم بالباءة وهي التزوج قيل لبعض الصالحين الا
تتزوج اي عملا بسنة المرسلين فقال لي نفس لو تمكنت من تطليقها اي
لو قدرت على تعريفها طلقتها اي فارقتها واسترحت منها فاضم اليها
اخرى وهي تصرني في الدنيا والاخرى فالوحدة هي الطريقة الاخرى والاولى
للاشتغال بخدمة المولى ومن هنا قيل لبعضهم الا تتزوج فقال انما يتزوج
الرجال اي اهل الكمال في الاحوال حيث لا يمنعهم الاشغال عن حضرة الملك
المتعال وقال بشر اي الحافي لو وقعت الى الاهتمام بمؤنة دجاجة اي بما لها
على من نفقة وخدمة ما امنت على نفسي ان اصبح شرطيا اي جنديا عسكريا
باحراميا قرطيا وقال مكابدة العفة اي تحمل مشقة التعفف عن الزنا بترك
النساء ايسر من مصلحة العيال اي وما يلزمها من كثرة الاشغال المشوش
للحال المشتت للبال المانع من تحسين الاعمال وقال رايت الصبر عنهن
اي بتركهن اسهل من الصبر عليهن اي معهن وقيل الصبر عليهن مع الاكدار
ايسر من الصبر على النار وقال بعضهم مقاساة العيال عقوبة تنفيذ
الشهوة الحلال اي في الدنيا فكيف عقوبة تنفيذ الشهوة الحرام في العقبى
وحكي ان رجلا خطب الى ميمون بن مهران ابنته فقال الا ارضاها لك فقال
لم قال لانها تطلب الحلي اي من الذهب والفضة والحلل اي من نفائس الكسوة
فقال عندي ما تريد اي هي او انت قال اذا لا ارضاك لها اي لانه يكون سببا
لغناها الموجب لطغيانها في طاعة مولاها او باعثا على حرصها في بهجة دنياها
ونسيان امر عقباها وكانه راعي قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وحث

عمرة

عائشة كان لنا ستر فيه تماثيل طير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عائشة حوليه فاني اذا رايته ذكرت الدنيا واراد بعضهم تطليق زوجته
فقيل له ما يسوءك منها اي ما يحزنك من اجلها وباعثك فيها قال العاقل
لا يهتك ستر زوجته اي فانه دليل على قلة مروته فلما طلقها قيل لم طلقتها
قال ما لي يحتمل الاستفهامية والنافية وللكلام فيمن صارت اجنبية اي لا
في معرض مدح ولا مقام ذم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم تزويج
فاطمة من علي رضي الله عنهما قال كن لنفسك خطيبا اي حال كونك طبيبا
اديبا وقد اجتمع المهاجرون والانصار اي كابي بكر وعمر وغيرهما من اصحاب الاسرار
فقال الحمد لله حمدا يبلغه اي يبلغ حد محامده او يقبله في مجمع مشاهده ويرضيه
اي ويحب جريانه على لسان عباده وبيان عباده وصلى الله على محمد اي سيد
انبيائه ورسله وزهاده صلوة تزلفه اي تقربه اليك وتحظيه اي ترفعه
لديك والنكاح مما امر الله به ورضيه اي حيث اذن فيه بقوله تعالى
فانكحوا ما طاب لكم من النساء واجتماعنا مما قدره الله واذن فيه وذلك
انه لا يجتمع اثنان ولا يفترقان الا بقضاء وقدر في زمان مقدر ومكان
مقرر وهذا محمد صلى الله عليه وسلم اي الذي نحن في حضرته زوجني ابنته
فاطمة على صداق خمسمائة درهم وقد رضيت اي بما تقدم فسلوه اي هل
هو كذلك واشهدوا عليه اي ان اقر بما تقرر هنالك وقال علي ما كان
لنا اي لي ولفاطمة من متاعنا الا اهاب كبش اي جلد كبش مدبوغ بشعر او بدونه
نبيت عليه بالليل اي نجعله فراشا ونعلف عليه الناضح بالنهار اي البعير
الذي تستقي عليه معاشنا وفي رياض النضرة في فضائل العشرة المبشرة
ان خطبته صلى الله عليه وسلم في تزويج فاطمة عليا الحمد لله المحمود بنعمته
المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ
امره في سمائه وارضه الذي خلق الخلق بقدرته وامرهم باحكامه واعزهم

في تزويج فاطمة علياً

بدينه واكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان الله تبارك اسمه وعظمته
جعل المصاهرة سببا لاحقا وامرا مفترضا اوشج به الارحام والزم الانام
فقال عز من قائل وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك
قديرا فامر الله تعالى يجري الى قضائه يجري الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل
قدر اجل ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب الحديث
وفيه ثم دعا بطبق من بسر فوضعه بين ايدينا فقال انهبوا فنهبنا ولا منع
بين الخطبتين في مقام الجمع ثم المحفوظ عند المحققين من الفقهاء والمحدثين
ان صداق فاطمة كان اربعمائة درهم وعن ابن عباس ان عليا لما تزوج بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يدخل بها فمنعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى يعطيها شيئا فقال له يا رسول الله ليس لي شيء فقال
اعطها درعك فاعطاها درعه ثم دخل بها رواه ابو داود والنسائي

فصل في ادابهم السؤال

فى ادابهم السؤال

اي اذا الجاهم ضرورة الحال قال الله تعالى
في ادابهم في السؤال اي وما يتعلق باهل الكمال نفيا واثباتا لا يسألون
الناس الحافا اي الحاحا او اصلا فان الاية نزلت في اهل الصفة وهم كانوا في
غاية من العفة كما يشير اليه صدر الاية يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف
تعرفهم بسيماهم وعن ابي ذر قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يشرط علي ان لا تسأل الناس شيئا قلت نعم قال ولا سوطك ان سقط
منك حتى تنزل اليه فتاخذه رواه احمد وقد قيل السؤال ذل ولو اين
الطريق وقال واما السائل فلا تنهر وهو يشمله سوال العلم وغيره والمعنى
لا تزجر ولا تقهر فاما اعط عطاء واما وعدا او وفاء واما شفقة وعالا
في العطاء منا ولا في المنع اذا وقال تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة
يتبعها اذى وقال عليه السلام اعطوا السائل ولو جاء على فرس وفي رواية
وان جاء رواه ابن عدي عن ابي هريرة وفي رواية احمد عن الحسين وابي داود

عن علي

عن علي بلفظ للسائل حق وان جاء على فرس اذ قد يكون له فرس ووراءه
عائلة او دين يجوز معه اخذ صدقة او يكون من المجاهدين او المسافرين من الفقراء
والمساكين وقد يكون الفرس مستعارا من بعض الصالحين المعاونين في طريق
الدين وفي رواية مالك واحمد والنسائي ردوا السائل ولو بظلف محرق يعني
قد يكون مضطرا وفي رواية العقيلي عن عائشة ردوا هذمة السائل ولو
بمثل راس الذباب وذلك لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ولقوله
تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة الاية وقال لو صدق السائل في سواله
ما افلح من رده لانه رده في اضطرار حاله وقال ما صاحب الصدقة باعظم
اجرا من الذي يقبلها اذا كان محتاجا اي سواء يكون عن سوال او غير سوال
فحديث اليد العليا خير من يد السفلى محمول على يد السائل من غير فقر وفاقة
وغير ضرورة وحاجة وقال من يسأل مسالة وهو غني عنها فانما يستكثر
من النار رواه مسلم وغيره عن ابي هريرة ولفظه من سال اموال الناس تكثرا
فانما يسأل جمر جهنم فليستقل منه او ليستكثر وفي حديث اخر من سال
من غير فقر فانما ياكل الجمر رواه احمد وغيره وقال لا تحل الصدقة لغني اي
بقوت يومه او بقدر ما يغديه او يعشيه ولا لذي امرة اي قوة سوي اي صحيح
البدن القادر على كسبه وكده الحديث رواه الترمذي وغيره وعن عمر مكسب
فيه بعض الريبة اي الشبهة خير من مسالة الناس اي لما فيه من المذلة
والمهانة وربما يعطي بسبب الحياء وهو حرام محض عند المحققين من الفقهاء
ولتضمنه الشكاية عن ربه وهو كفر به وانما ابيح له حال الضرورة لضعف قلبه
وقال الجنيد كل صوفي عود نفسه اخذ الاسباب عند وقوع الشدائد
فانه لا ينفك عن رق نفسه فان العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع وقد
قال الحسن البصري صلاح الدين بالورع وفساد الدين بالطمع ولو صدق
القائل الا يا نفس ان ترضى بقوت تكوني حرة ابدا مليه واياك المطامع

والامانی فکم امنیة جلبت منیة ولا یحمله الصبر ای علی مقام النسه وفی
نسخة ولا عن تحمله المضرة ای فی مقام المعرة وقال ابو حفص من تعود السؤال
ای من الخلائق من غیر اداب الرعایة فی الاحوال ابتلی بالطمع ای فی غیر المطمع
حال الصیانة والخیانة ای المتضمنة لترك الامانة والكذب ای ونحوه من قلة
الدیانة وادبهم فی ذلك ان لا یسألوا الا عند الضرورة والحاجة ولا یأخذون
الا قدر الكفایة ای لا زیادة علیها تورعا فی الدیانة والصیانة وقال بعضهم
الفقیر اذا اضطر الی السؤال فكفارته صدقة ای ببعض المال او ببعض الاعمال
لانه تنزل عن مقام ارباب الكمال فعن ابن مسعود قال علیه السلام من اصابته
فاقة فانزلها بالناس لم تسد فاقته ومن انزلها بالله اوشك الله له بالغنا
اما بموت عاجل او غنی آجل والغناء بالفتح والمد الكفایة وقد قیل لحاتم الاصم
من این تأكل قال ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقین لا یفقهون
ای حیث یقولون لا تنفقوا علی من عند رسول الله حتی ینفضوا وقد قال تعالی
ومن یتق الله یجعل له مخرجا ویرزقه من حیث لا یحتسب ومن یتوكل علی الله
فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شئ قدرا روی عنه علیه السلام
ان هذه آیة لو عملت بها الامة لكفتهم وقال تعالی قل لن یصیبنا الا ما كتب الله
لنا وانشد شعر الرزق یأتینا وان لم نأته ویصیبنا المقدور فی میقاته وقیل
لا یجوز زوطالب ای لا یخلو عن احد الامرین اما كریم فتصونه ای یحفظ ومن
هنا قول معاذ الرازی ابناء الدنیا یخدمهم الاماء والعبید وابناء الآخرة
یخدمهم الابرار والاحرار عن احتیاج الی لئیم او لئیم فتصون نفسك ای عرضك
عنه ای عن كلامه وملامه وتصون وجهك عن رده ای فی حال سلامه وعرض
مرامه ویكرهون السؤال لانفسهم ای الا عند الضرورة ویستحبونه للاصحاب
ای لما فیه من الدلالة علی البر والتقوی والمعاونة وحكی ان ممشاد الدینوری كان
اذا ورد علیه الغرباء ای من الصلحاء الفقراء دخل السوق ای الذی هو مجمع الاغنیاء

وجمع

وجمع لهم من الدكاكین شیئا وحمله الیهم ای كرامة للضیف واعانة للضعفاء
ولا یعدون ذلك سؤالا ای مذموما یخالف مقاما كریما ولا حالا لانه من التعاون
علی البر والتقوی ای وقد قال تعالی وتعاونوا علی البر والتقوی وقد ورد الدال
علی الخیر كفاعله وكان النبی صلی الله علیه وسلم یسأل لاصحابه ای من الفقراء والضعفاء
ولو كان سؤالا ای مذموما بین الانام لاحترز منه علیه السلام وقد ورد انه سئل
علیه السلام ءاسأل یا رسول الله فقال لا وان كنت لا بد فسل الصالحین رواه
ابو داود والنسائی ومقویه حدیث اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه ویستحب
بذل الجاه للاخوان لما ورد من ان الله فی عون العبد ما دام العبد فی عون اخیه
وفی حدیث ان الله یحب اغاثة اللهفان ای ضعیف الشان وفی حدیث الترمذی
من بلغ سلطانا حاجة من لا یستطیع تبلیغها ثبت الله قدمیه یوم القیمة
وقال بعض المشایخ لا یصلح الفقر للفقیر حتی یبذل جاهه كما یبذل ماله فان بذل
الجاه اشد علی النفس من بذل المال وقد یكون الجاه بالهمة مع الله فی قوة الحال
وادب الخادم فی السؤال ان لا یری نفسه فی الاخذ ای فی اخذ الاشیاء الا فی العطاء
ای فی عطاء الاغنیاء ویكون مقوله ای معتمده علی هم الفقراء ای علی اهتمامه بهم
الضعفاء ویكون الوكیل للفریقین ای فی الاخذ والاعطاء قال الشبلی اذا
خرجت للناس ای الیهم للسؤال ای لسؤال المال فلا ترهم ای فی قوة الحال
ولا تر نفسك ای بانك واسطة فی الفعال بل لا تری الا الله الملك المتعال
فانه المعطی والمانع بالسؤال وبغیر السؤال وكان الشیخ ابو العباس
النهاوندی اذا وفد علیه الغرباء دخل السوق ای محل الاغنیاء وجمع لهم
ما ینفق من الاطعمة ای ضیافة للفقراء ویحملها علی یده الیهم ای كما هو داب الكرماء
وكان یقول ای مع هذا منذ عشرین سنة ما اخذت من احد شیئا ای بغیر اذن
المولی بل فی الحقیقة ما اخذت شیئا الا من الله تعالی لان ایدی الخلق بمنزلة طبق
الحق وكان یكره السؤال ای فی غیر ذلك الحال وینكر علی اهل ای اهل السؤال

الناقصين في مرتبة الكمال وقال الجنيد لا يصح السؤال الا لمن كان العطاء
اى لو فرض اثمن الاغنياء احب اليه من الاخذ اى حال كونه من الفقراء وفيه
تنبيه سمه ان سؤاله يكون حينئذ على طريق الضرورة والالجاء ولا يبعد ان يقال
لا يصح السؤال الا لمن كان المنع احب اليه من العطاء فان في المنع رياضة النفس
شدة وهوانها وفي العطاء لذتها وقوة شأنها وتقوية اجماعهم على ان الفقير
الصابر افضل من الغني الشاكر والمحققون على قدم الاستواء في مقام المنع والعطاء
لقول ابن عطاء ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك وقد قال تعالى
عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم
وانتم لا تعلمون فيجب الرضاء بالقضاء في السراء والضراء والاولى للخادم اى
لخادم الزاوية او خادم الفقراء ان يستقرض ما يحتاج اليه من نفقة قومه
بالمعروف اى نفقة متوسطة او على قدر كفاية وقناعة مرتبطة وينفق
عليهم ثم يسأل ويقضي دينه اى فانه حينئذ يكون من الغارمين والمساكين
فان ذلك اقرب الى السلامة اى وابعد من التهمة والملامة وقد خص بعضهم
في السؤال اى من اجل غيره لمن يقصد بذلك تذليل نفسه اى وتخجيل مجمع
انسه وقيل لا خير فيمن لا يذوق طعم اهانة الرد اى رد المخلوق لا متضمن
لقبول الحق ولان الكامل كما ان يتلذذ بالنعمة يتلذذ بالمحنة وفق التجليات السبحانية
من نعوت الجلال والجمال وكان بعض المشايخ لا يأكل الا من السؤال ولعله
كان مأمورا بلسان الحال فسئل عن ذلك اى عن الباعث هنالك فقال اخترته
كراهية نفسي اياه اى فعرفت اى في مخالفتها رضي الله عنه وقيل حكم الفقراء ان
لا يسأل الا وقت الحاجة من غير عزم تقدم ولا تأخر اى على السؤال المقرون بالهم
لان وقت الحاجة مبهم والصوفي ابن الوقت وعينه في معرض المقت لسانه
يشير الى الخلق اى ظاهرا وقلبه الى الحق اى ناظرا فيكون حاضرا في المقامين
كائنا وبائنا وقيل سعي الاحرار لاخوانهم لا لانفسهم اى كالعبيد الحاضرين

فيسعى

في سعي مصالح شأنهم وقيل الاكمل بالسؤال اكمل من الاكل بالتقوى اى باظهار الكمال
وقوة الحال لان السؤال عند الحاجة حلال والاكل بالدين حرام ووبال وكان
الحسن البصري يقول البهلوان الذي يلعب فوق الحبال اجهل في الحال من اصحاب
القيل والقال الناقصين في مقام الكمال قيل ومن سأل ما يغنيه اى ما بعده
او بعشيه خيف عليه ان يخاصمه كل الفقراء يوم القيمة ويقولون اخذت ما جعل
لنا ولم تك منا وكذا حال المتسيد والمتعلم والمتزهد من ارباب السمعة والرياء
فيحرم عليهم ما يحصل لهم البر من جهة الاغنياء **فصل في ذكر آدابهم في حال**

في ذكر آدابهم في حال المرض

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حمى يوم كفارة سنة رواه القضاعي
عن ابن مسعود ولفظه الحمى حظ كل مؤمن من النار وحمى ليلة يكفر خطايا سنة
قال للانصار لما حموا بصيغة المجهول مشددا ابشروا اى بالسرور فانها
كفارة وطهور اى يكفر الذنوب ويطهر القلوب من العيوب وقال بعض الحكماء
اى من العرفاء والظرفاء ان في المرض لنعما اى متعددة لا ينبغي للعاقل ان يجهلها
اى يغفلها وهي سنة تمحيص للذنوب اى تكفير لها وتعرض لثواب الصبر
اى والصابرون اجرهم بغير حساب وبشر الصابرين وايقاظ من الغفلة
اى تنبه على اليقظة والاستعداد لزاد القيمة واذكار بتشديد الدال
المهملة المبدلة من المعجمة اى وتذكر بالنعم اى التي كانت في حال الصحة اى مدة
مديدة ومع هذا الغالب على الانسان تواتر النعم بالنسبة الى حلول المحنة
وتجديد للتوبة اى تأكيد لها ان سبق تأسيسها وحث على الصدقة اى
فان الصدقة تدفع البلايا وتزيد العطايا وتحصل المزايا حكي ان ذا النون
دخل على مريض يعوده اى يزوره فان انة اى فاظهر انينا يشوش حضوره فقال
ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه اى المه ووجعه فقال المريض
ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضربه اى فان ضرب الحبيب احلى من الزبيب
ولله در قائله **شعر** ولو بيد الحبيب سقيت سما لكان السم من يده يطيب

والمعنى ان الانين الصادر من قلب الحزين لا ينافى مقام التمكين فانه تلوين
بحسب الطبع والجبلة البشرية وضعف العبودية وهو لا يناقض حال الصبر والشكر
والرضا بمقتضى القضايا الربوبية وقد صدر عن رسول الله فى مرضه قولا وكربا
وقال يعقوب انما اشكوا بثى وحزنى الى الله وورد انين المريض تسبيح وصياحه
تهليل ونفسه صدقة وتقلبه من جنب الى جنب كما يقاتل العدو فى سبيل الله
رواه الخطيب والديلمى ونعم ما قال بعض ارباب الحال شعر هجرت الخلق
طرا فى هواكا • وايتمت العيال لكى اراكا • ولو قطعتنى فى الحب اربا لما
حن الفواد الى سواكا • حكى ان بعض العارفين مرض توصف اى بنفسه
علته للطبيب اى لاجل الدوا فقيل له اليس هذا شكوى اى من الحبيب قال
لا انما هو اخبار عن قدرة القادر اى على انزال البلوى واقبال النعمى وتبديل
الداء بالدواء وتقليب السراء والضراء كما انه قادر على تبديل السعادة بالشقاوة
وعكسها فى مقام البلاء والولاء وذلك كله بمقتضى تقابل الصفات والاسماء
المتضادة فى ميدان الكبرياء والحاصل ان هذا حكاية ليس فيه شكاية وقال
خادم لكليب بالتصغير السنجارى بالنون والجيم قال لى الشيخ يوما اى
وهو مبتلى بعلة الجذام التى هى من سيئ الاسقام هل ترى على ظاهر جسدى
موضعا خاليا عن الدود غير اللسان اى الذى حفظ ببركة ذكر الرحمن
قلت لا قال كذلك داخل جسدى ليس منه موضع خال عن الدود اى المه
ووجعه غير القلب اى الذى مصون عنه ببركة حب الرب والمعنى انهما
يكفيانى من النعم الظاهرة والباطنة ويسليانى عن الالام الكامنة وقال
بعض اهل العرفان عند الامتحان يكرم المرء او يهان واعتل ممشاد الدينورى
اى مرض فقيل له كيف تجد العلة اى هى اقوية فتشكر منها او ضعيفة فتصبر
فيها فقال سلوا العلة عنى اى هل تجد لى صابرا ام شاكرا او شاكيا او راضيا
فقيل كيف تجد القلب اى فى حب الرب فقال فقدمه منذ ثلاثين سنة

اى فى لجة بحر الشهود وغيبته فى طلب واجب الوجود وقد قيل تجرع الصبر
حميدا فانه ان قتلك قتلك شهيدا وان احياك احياك سعيدا قال
بعض المشايخ لان اعافى فاشكر احب الى من ان ابتلى فاصبر وكان القايل به
يفضل مقام الشكر على مقام الصبر ويؤيده قوله عليه السلام وعافيتك اوسع
ولان خطر الصبر افضع ولذا كاد الفقر ان يكون كفرا والاظهر ان استواء
الحالين اكمل لان كلا منهما بدون الاخر لا يجمل وقد ورد ان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر وقد قال تعالى ان فى ذلك لايات لكل صبار
شكور اى لكل مومن فان احدا لا يخلو عن محنة ومنحة فيجب عليه الصبر
فى الضراء والشكر فى السراء نعم قد يغلب النعم على بعض الاصفياء وتغلب
المحن على اخرين من الاولياء وهما محمود وحان على السواء كما يشير استشهاد
[سبحانه] المص وقد قال تعالى فى قصة سليمان اى ونعمائه نعم العبد وفى قصة
ايوب وبلائه نعم العبد وقد اختارهما عليه السلام فى قوله اجوع يوما
فاصبر واشبع يوما فاشكر الا ان الصبر على الفقر افضل من الشكر على
الغنى باتفاق الصوفية فيكون كذلك فى الامراض وسائر البلية الا ان استوائهما
فى علة القضية وقال النبى صلى الله عليه وسلم رخصة للضعفاء فى حال
البلاء تداووا عباد الله فان الله تعالى لم يخلق داء الا وخلق له دواء
اى اذا جعل فيه شفاء فقيل يا رسول الله هل يرد الدواء من قضاء الله
شيئا فقال هو اى الدواء ايضا من قضاء الله اى فلا يخرج شئ من قضائه
فلا بد من الرضا بدائه ودوائه وفى سرائه وضرائه فان الكل من الائه ونعمائه
عند اوليائه واصفيائه سواء يكون من اهل بلائه او اهل ولائه والحديث رواه
احمد واصحاب السنن الاربعة وغيرهم عن اسامة بن شريك ولفظه تداووا
عباد الله فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء غير داء واحد الهرم وفى رواية
احمد عن انس ان الله تعالى حيث خلق الداء فتداووا وفى رواية الطبرانى

وابي نعيم عن ابن عباس بلفظ الدواء من القدر وقد ينفع باذن الله تعالى
وفي رواية ابن السني عنه بلفظ الدواء من القدر وهو ينفع من يشاء
بما يشاء **فصل في ذكر ادابهم في حال الموت** قال تعالى كل نفس
ذائقة الموت وقال عز وعلا ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وانشد **شعر**
الموت كاس وكل الناس شاربه • والقبر باب وكل الناس واصله • وقيل
شعر الموت باب وكل الناس داخله • فليت شعري بعد الباب بالدار • قال النبي
صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هادم اللذات بكسر الدال المهملة وقيل المعجمة
اي قاطع اللذات النفسانية وهو الموت للذوات الانسانية فما ذكره عبد في
سعة اي وسعة من معيشة وصحة وعافية الا ضاقت عليه اي وكدرت
اليه ولا في ضيق اي من محنة وفقر وفاقة وبلية الا اتسع عليه اي هونه
لديه فذكره يفيد كل من التجا اليه ومن هنا قيل اذا تحيرتم في الامور فاستعينوا
باهل القبور والحديث رواه البيهقي وابن حبان عن ابي هريرة والبزار
عن انس بلفظ اكثروا ذكر هادم اللذات فانه لم يذكره احد في ضيق من
العيش الا وسعه عليه ولا ذكره في سعة الا ضيقها عليه ورواه البيهقي
عن ابن عمر ولفظه اكثروا ذكر هادم اللذات فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا
فان ذكرتموه عند الغنى هدمه وان ذكرتموه عند الفقر ارضاكم بعيشكم
وقال عليه السلام عند الموت واكرباه فقيل اي في تاويله انما ذلك ترك
التجلد على الله عز وجل اي واظهار العجز في مقام العبودية عند ظهور الكبرياء
والربوبية ويؤيده قوله عليه السلام في ذلك المقام اللهم اعني على سكرات
الموت وفي رواية على غمرات الموت اي شدائد احواله ومضائق اهواله
وقيل اخبار عن شدته اي تنبيها لامته ومن كان في نوم غفلته ليكون
الخلق على حذر من كربته اي وعلى استعداد في سفره لغربته وقيل انما
قال ذلك اعترافا بالعجز اي عن تحمل ما هنالك وتواضعا اي لما هو ملك

ومالك

فصل في ذكر ادابهم في حال الموت

ومالك يشرع ذلك اي لئلا يغتروا بالمقامات العلية والحالات الجلية
فانها تنطوي عند تجليات الجلالية وحين تنزلات البلية وليأخذوا ازاد
المعاد قبل وقوع الميعاد فان التدبر قبل الوقوع في البير وقيل انما قال ذلك
لما كوشف بالموعود اي من المقام المحمود والحوض المورود ولقاء الملك
الودود اي وبقاء الملك الممدود فقال واكرباه من زحمة الدنيا اي مزاحمة
عوائقها وزحمة الخلق اي ومن وحشة الخلائق وعلائقها فواكرباه من
نقبة الحجاب اي من وراء الاستار والابواب متى يكون الوصول الى رب
الارباب اي وحصول المقاصد ورفع الاسباب وقال الحريري كنت عند
الجنيد وقت وفاته وكان يقرا القران اي اغتناما لبقية حياته وتركا لراحته
في حركاته وسكناته فقلت له يا سيدي ارفق بنفسك اي الطف بها وارحم
عليها في مقام انسك فقال احوج ما كنت اليه اي الى التلاوة والطاعة الساعة
اي لقيتها من العمر وهو اذا انطوى صحيفتي اي ولم يبق شئ من الامر ثم ابتدا
اي بعد ختمه وقرا سبعين اية من البقرة اي شروعا ومن اول القران طلبا
لحسن ختم عمله بالايمان والعرفان وعملا بحديث افضل الاعمال الحال المرتحل
ومات رحمه الله اي ونفعنا ببركة علومه وتقواه وحكي ان خير النساج بتشديد
السين المعجمة نظر وقت النزع الى ملك الموت اي قرب الفوت وفي نسخة الى زاوية
البيت وقال انما انت عبد مامور وانا عبد مامور وما امرت به لا يفوتك
اي لانه امر مستند لك وما امرت به اي من فرض يفوتني اي ولا يمكن لي
تداركه فدعا بماء فتوضا وصلى ثم كبر ومات اي في اثناء الصلوة رحمه الله
فان قلت عزرائيل عليه السلام مامور بقبض الروح في وقت لا يتقدم ولا
يتاخر قلت قد يكون الامر معلقا بدعاء ونحوه فتدبر وكان علي بن سهل وفي
نسخة وكان سهل يقول اترونني بفتح التاء او ضمها اي اتظنونني اموت كما
يموت هؤلاء المرضى اي بالنزع والمعالجة في مدة طويلة انما ادعى فاجيب اي

بمجرد الدعوة فكان يوما جالسا اذ قال لبيك ومات رحمه الله وحكي عن
احمد بن خضرويه انه لما حضرته الوفاة اى قرب وقت الممات كان عليه سبعمائة
دينار وغرماؤه حضور اى حوله فى الدار فنظر اليهم اى وترحم عليهم حيث
لم يكن له رهن لديهم ثم قال اللهم انك جعلت الرهون وثيقة لارباب
الاموال اى وقت تعسر الحال وتشتت البال وانت تاخذ وثيقة
غرمائى فادّ عنى اى من العطا فدر دقائق حال بقائى فدق داق الباب
وقال هذه دار ابن خضرويه قيل نعم قال اين غرماؤه فخرجوا اليه فقضى
لهم اى جميع ما كان عليه ثم خرجت روحه رحمه الله ولما حضر ابا عثمن الحيرى
الوفاة مزق ابنه القميص اى شقه وقطعه حزنا على ابيه ففتح عينه اى وراى
ستبنه وقال يا بنى ان خلاف السنة فى الظاهر من رياء الباطن فى القلب
والمعنى ان الواجب على من طلب الرب ان لا يخالف الله ورسوله فى جميع
احواله وافعاله وقد قال عليه السلام ليس منا من شق الجيوب ولطم
الخدود ودعا بدعوى الجاهلية رواه الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود
وفى رواية ابى داود والنسائى عن ابى ليس منا من سلق ومن حلق ومن
خرق والسلق رفع الصوت عند المصيبة والحلق حلق الشعر من النساء
او من الرجال الذين عادتهم ابقاء الشعر على روسهم فى جميع الاحوال
والخرق خرق الثياب ونحو ذلك سائر المنكرات فى هذا الباب وانما المسنون
دمع العيون كما ورد عنه عليه السلام فى موت ابنه ابرهيم انه قال العين
تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى الرب وانا على فراقك يا ابرهيم
لمحزونون واما ضحك بعض المجاذين عند موت احد اولاده فخارج عن دائرة
الشرع القويم وقاعدة الطبع المستقيم وقيل للجنيد قل لا اله الا الله
اى تلقينا له ظنا انه غفل حينئذ عن مولاه قال ما نسيته فاذكره ايماء الى
قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وهذا تنزل منه مع القائل والا القائل

قد نسيت غيره فكيف لا اذكره وقيل لابى محمد الدبلى قل لا اله الا الله
اى حيث لا ينفعك فى هذا المحل سواه فقال هذا شئ قد عرفناه اى ومن
حين عرفناه ما نسيناه وبه نفنى اى كما به نبقى والمعنى به نموت وبه نحيا
وقيل لرويم ذلك اى ما ذكر من تلقين لا اله الا الله فقال لا احسن غيره اى
غير ذكر لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله ومن هنا قال الصديق الاكبر ليتنى
كنت اخرس الا عن ذكر الله يعنى ظاهرا ايضا كما انا اخرس عن ذكر الله باطنا
وقيل لبعض المشايخ قل لا اله الا الله قال واعجباه ميت يلقن حيا فى
ذكر مولاه وفى الجملة تلقين الميت مستحب من غير ان يقال قل لا اله الا
الله بل يذكر عنده لئلا يغفل عن مولاه ولا يشتغل بسواه ففى حديث
صحيح رواه مسلم وغيره لقنوا موتاكم لا اله الا الله وزيد فى رواية وقولوا
الثبات الثبات ولا قوة الا بالله وفى رواية لقنوا موتاكم لا اله الا الله
فان من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة يوما من الدهر وان اصابه
قبل ذلك ما اصابه وحكى ان ابا سعيد الخراز تشتد به الراء وكان يتواجد
عند الموت اى تداركا لما سبقه من الفوت وكان قد مات جميع بدنه اى بر
وجميع اعضائه ويبس كل اجزائه وبلغت الروح حلقومه وهو يزعق
اى يصيح ويطلب قيومه وما احسن هذا الشعر حنين قلوب العارفين
الى الذكر اى ميلها اليه وتذكارهم وقت المناجاة فى الفكر اى وتذكرهم
وقت الوجع لديه واجسامهم فى الارض قتلى بحبه اى شهداء فى سبيله
وارواحهم فى الحجب نحو العلى تسرى اى نحو الدرجات العالية والمقامات
العالية تسير فى مسيله وتمامه شعر فما عرسوا الا بقرب حبيبهم اى
ما نزلوا الا عند حبيبهم وطبيبهم وما عرجوا عن مس بوس ولا ضر اى
ولا عوقوا عن ذلك ولا امتنعوا عما هنالك ولا بالوا عن درك محنه
واصابه مضره وهذا يصدق على تحمل المحن ومشقة الفتن فى اماكن القرب

الصوری من الحرمین الشریفین کما یفید حدیث من صبر علی حر مکة مطلب
ساعة تباعد من نار جهنم مائتی سنه وحدیث من صبر علی لاواء
المدینة وشدتها فله کذا وکذا ویطلق علی تحمل البلایا فی الوصول الی القرب
المعنوی فی الدار الاخروی وهذا ای التواجد فی مقام حبوره دلیل علی سروره
ای الدال علی کمال حضوره وسکون ضمیره ای مع ربه وعدم التفاته الی غیره
وهذه علامة خاتمة الحسنی بلغنا الله ذلک المقام الاسنی ونظم الحسن البصری
الحدجل یجود بنفسه هو کنایة عن النزع فی مقام انسه فقال ان امرا هذا
اخره ای اخر امره ونهایة عمره لجدیر ای حقیق ولائق ان یزهد فی اوله ای
من کمال عقله وان امرا ای حالا هذا اوله لجدیر ان یهاب اخره ای یخاف
شره وحکی ان الشبلی اعتل بعلة ای مرض وقته فارجف بموته ای اخبر
غلطا فی فوته فبادر المشایخ ای الی حضرته ودخلوا علیه وجلسوا الیه ای
وسکتوا لدیه فقال این الخبر ای عقیب هذا الاثر فقال المالکی وکان
اجرؤهم علیه ای اکثر جرءة لدیه جاء القوم الی جنازتک ای حیث سمعوا
بوفاتک فقال العجب العجب من اموات جاؤا الی جنازة حی وقد اتفق فی مطلب
مکة المشرفة خبر موت شیخنا العارف بالله المولی مولانا علی المتقی فعزمنا
الیه فوجدنا العافیة لدیه وسلمنا علیه وحکینا له بالاشاعة الواقعة
فی تلک الساعة فحکی لنا عن بعض المشایخ انه قصده بعض المریدین من داره
فلما قرب من دیاره وسال عن مکان قراره قال الناس قد مات الشیخ
فاتفق انه جاء الی بیته فوجده فی حال صحته فحکا له حکایته فقال نعم تلک
الساعة وقعت لی غفلة عن بعض الطاعة وقال بکران الدینوری لما حضرت
وفاة الشبلی قال علی درهم مظلمة ای من مسلم او مسلمة وقد تصدقت عن
صاحبها بالوف ای لان صاحبها غیر معروف وما لوف وما علی قلبی شغل اعظم
من ذلک ای کیف یکون سبب خلاصی هنالک وهذا یدل علی کمال خشیته فی

مقام محاسبته مع انه قد ورد من اصلح فیما بینه وبین الناس ومن اصلح
الله بر انیته ثم قال وضئنی ای اجعلنی متوضئا فوضاته ای وراعیت ما
یلزمه من فرضه وسنته ونسیت تخلیل لحیته ای من عظمة حالیه
وقد امسکت علیه لسانه ای وهو فی حال لم یقدر علی بیانه من شدة
حاله وشانه فقبض علی یدی ای من ساعته فادخلها فی لحیته ای
رعایة لمحافظة سنته وقد عرق جبینه ای وقرب حینه وقد ورد
المؤمن من یموت بعرق الجبین ولم یذهب علیه ای لم یفته هذا القدر
من السنة ای فی تلک الحالة حیث لم یعمل بالرخصة مع ظهور الضرورة
ثم مات رحمه الله وهذا یدل علی کمال متابعته فی الصورة روی عن ابن
عباس انه قال دخلت علی عمرو بن العاص ولاه النبی صلی الله علیه وسلم
علی عمان فلم یزل علیها حتی قبض النبی صلی الله علیه وسلم وعمل لعمر وعثمان
مطلب ومعاویه وهو الذی افتتح مصر لعمر ولم یزل عاملا له علیها الی اخر وفاته
واقره عثمان علیها نحوا من اربع سنین وعزله ثم اقطعه ایاها معاویه
لما صار الامر الیه وقد احتضر ای قرب اجله فدخل علیه ابنه عبد الله وهو
من زهاد الصحابة وعبادهم وفقهائهم وعلمائهم اسلم قبل ابیه وکان
ابوه اکبر منه بثلاث عشرة وقیل باثنی عشرة سنه قال یعلی بن عطاء
عن امه انها کانت تصنع الکحل لعبد الله بن عمرو وانه کان یقوم باللیل
فیطفیء السراج ثم یبکی حتی رسعت عیناه فقال یا عبد الله یعنی ابنه
خذ ذلک الصندوق فقال لا حاجة لی فیه وهذا الان اخذه لورعه
وزهده وما فیه فقال انه مملوء مالا ای یکون للخلق جمالا فقال عبد الله
لیته کان مملوا فقرا ای فانه خیر من المال مالا فقال ابن عباس فقلت له
یا ابا عبد الله کنت تقول ای قبل هذا الزمان اشتهی اری رجلا عاقلا یموت
فاساله کیف یجد الموت وهو بالعسه او الخطاب فکیف تجده ای انت

فقال اجد السماء كانها مطبقة على الارض وانا بينهما وكانما اتنفس من
خرم ابرة اى من خرق مخيط ثم قال اللهم خذ منى حتى ترضى اى عنى ثم رفع
يده وقال اللهم انك امرت فعصيت اى خالفت وما ائتمرت ونهيت
فارتكبت اى وما اجتنبت فلا برئ اى انا فاعتذر ولا قوى فانتصر اى
انتقم من نفسي لنفسي فيما فوتني من مجلس انسي ولكن لا اله الا الله
ثلاثا اى قالها ثلاثا ثم مات رحمه الله وفي رواية الطحاوي عن المزني عن
الشافعي يقول دخل ابن عباس على عمرو بن العاص في مرضه فسلم عليه وقال
كيف اصبحت يا ابا عبد الله قال اصبحت وقد اصلحت من دنياي قليلا وافسدت
من ديني كثيرا فلو كان الذي اصلحت هو الذي افسدت هو الذي
اصلحت لفزت ولو كان ينفعني الطلب لطلبت ولو كان ينجيني الهرب هربت
فصرت كالمنجنيق بين السماء والارض لا ارقى بيدين ولا اهبط برجلين
فلما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة نظر الى اولاده حوله اى يبكون
وبناته يبكين فانشد ومستخبر عنا الواو بمعنى رب يريد بنا الردى
اى الموت والهلاك يشير الى حساده واعدائه ومستخبرات والعيون
سواجم اى والحال اى عيونهن جاريات كالعيون يومي الى اولاده واحبائه

فصل في ذكر ادابهم وقت البلاء

في ذكر ادابهم وقت البلاء

البلاء مشترك بين النعمة
والمحنة ومنه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة قال الله تعالى
وفتناك فتونا الخطاب لموسى عليه السلام قبل البلاء امتحناك
اى عاملناك معاملة الممتحن والمختبر حتى صرت صافيا نقيا اى حتى
طهرت صافيا عن رؤية الاغيار وطاهرا ظاهرا عن تعلق الاكدار
وفي نسخة قيل طبخناك طبخا اى احرقناك في قدر المحبة على قدر المودة حتى
صرت صافيا نقيا كالتبر الذي يوضع في الكير فالبلاء للفقير بمنزلة الاكسير
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ادخر البلاء لاوليائه اى جعله

ذخرا لاصفيائه كما ادخر الشهادة لاحبائه اى كما جعله فخر الشهداء
في طريق ولائه ومفهومه انه جعل عقوبة ونقمة لاعدائه وقال نحن معاشر
الانبياء اكثر الناس بلاء ثم الامثل فالامثل رواه الطبراني عن اخت حذيفة
بلفظ اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل ورواه
البخاري وغيره عن سعد ولفظه اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل
فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد
بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد
حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة رواه الحاكم وغيره بلفظ اشد
الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون لقد كان احدهم يبتلى بالفقر حتى ما
يجد الا العباءة يجوبها اى يجعلها جيبا فيلبسها ويبتلى بالقمل حتى يقتله
ولاحدهم كان اشد فرحا بالبلاء من احدكم بالعطاء وقد ورد ليس
بمؤمن مستكمل الايمان من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة رواه الطبراني
عن ابن عباس والحاصل ان المرء كلما كان اقوى كان بلاؤه اوفى وكلما كان
اضعف كان بلاؤه اخف ثم البلاء للاولياء اما مكفر للسيئات واما
مرق للدرجات واما مزهد في اللذات واما مذكر بالبلوى الى دعاء المولى
واما معرف بانه لا نفع ولا ضر في السوى كما قيل من سكن لشيء دون الحق
كان البلاء به الملحق وقال النبي صلى الله عليه وسلم احب العباد الى الله
شاب عابد اى عامل بعلمه وقد ورد ان الله ليعجب من الشاب ليست له
صبوة رواه احمد والطبراني عن عقبة بن عامر وهو معنى ما روي
الشاب التائب حبيب الله وفي الحديث ان الله يباهي بالشاب العابد الملائكة
يقول انظروا الى عبدي ترك شهوته من اجلي رواه ابن السني وغيره عن
طلحة ومبتلى صابر اى على مرضه وفقير ناشط اى منبسط في امره غير منقبض
على فقره وعلامته ان قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل

وهذا فى الظاهر وعلامته فى الباطن انه يخاف من الغنى كما يخاف الغنى
من الفقر وقال ان الله يتعاهد عبده بالبلاء كما يتعاهد الوالد الشفيق
ولده اى فى حال العطاء وقد ورد ان الله تعالى يبتلى العبد فيما اعطاه
فان رضى بما قسم الله له بورك له ووسعه وان لم يرض لم يبارك له ولم
يزد على ما قسم له رواه احمد وغيره وادبهم فى ذلك ترك الجزع اى والفزع
والشكوى اى الى غير المولى وملاحظة ثمرة البلوى اى من رفعة الدرجات
العلى وما اعد الله للصابرين اجرهم بغير حساب وفى معالم التنزيل قال
على كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابر فانه يحثى له حثيا
وروى يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان
وينصب عليهم الاجر صبا بغير حساب قال الله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل فمن شهد البلاء من المبتلى
بكسر اللام اى المبلى ومنه قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه غاب برؤيته اى
ذهل وغفل بسبب وصول حضرته عن وجدان مرارة البلا وصعوبته
بل يزيد له كل لحظة لذة على لذته قال الله تعالى فاصبر لحكم ربك فانك
باعيننا اى بمرئ منا فلا يغفل عنا فانك صابر لنا وشاكر لنا لقوله واصبر
وما صبرك الا بالله اى باعانته وتخليصه عن التعلق بما سواه الا ترى ان
صواحبات يوسف اى من نسوة مصر حال التكشف الذى يزيل الحزن والتأسف
كيف غبن اى صرن غائبات فى رؤيته عن وجدان الم القطع اى مادين
فى حضرته ولم يشعرن بذلك الى ان غاب اى عن نظرهن وتركهن فى امرهن
قال الله تعالى فلما راينه اكبرنه اى عظمنه وقطعن ايديهن اى من غير
شعورهن لكمال حضورهن فى حال سرورهن وقلن حاش لله ما هذا
بشرا فاذا كان مشاهدة مخلوق اوجب هذا الحال فما بال العاقل فى مشاهدة

الملك

الملك المتعال وقيل لبعض الشطار اى من قطاع الطريق والاذعار متى
يهون عليكم الضرب والقطع اى قطع الايدى والارجل عند اخذكم فى دار
الاكدار قال اذا كنا بنظر بصيغة المجهول بعين من نهواه اى نحبه ونبغاه
بالاسرار وينظر الينا بعين العناية خفيه عن الاغيار نعد البلاء رخاء
اى عطاء والجفاء وفاء بل بهاء والمحنة منحة اى نعمة وبقاء ثم انشد لمجنون
ابن عامر وفى نسخة بنى عامر ومن اجل ليلى رجل القوم لمتى الرجيل بالجيم
تسريح الشعر ولمة واللمة بكسر اللام وتشديد الميم الشعر المسترسل
من الراس الى شحمة الاذن بنضح دمائى حبذا انت جانيا النضح الرش واعل
المراد بالدماء الدموع مكان الماء وحبذا بمعنى نعم وانت بخطاب المؤنث
فى محل رفع على انه مخصوص بالمدح وجانيا اى حال كونى جانيا سواء اكون
قاضيا او دانيا ومن اجل ليلى الجمع القلب والحشى بصيغة المجهول الماضى
والمراد بالحشى الامعاء وما حوى ليلى قربوا الى مكانيا بالف الاطلاق ومن
اجلها سميت مجنون عامر اى من اجل ذكرها وكثرة مكرها سميت بالمجنون
وانا فى العقل والفنون وقد ورد اذكروا الله حتى يقولوا مجنون والله
تعالى اسلى المكنون بقوله ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك
بمجنون فديها من المكروه نفسى وماليا بالف الاطلاق اى كل مالى او
كل مالى من عرضى وجاهى ومالى فلولاك يا ليلى لما جئت طارقا اى آتيا
بالليل اشبه سارقا ادور على الابواب بالذل راضيا وله ايضا فى هذا
المعنى بغير هذا المبنى امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا وما
حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا وله ايضا اذل
لآل ليلى فى هواها اى حبها لكلا بها عند بابها تعظيما لجنابها وتكريما لمآبها
واحتمل الاصاغر والكبارا بالف الاطلاق وعدل عن الاكابر لضيق النظم
وكذا عن الصغار وقد يقال اراد بهذا الاشارة الى التفنن فى العبارة و

ومن اجل صح

ولابى الشيص بكسر المعجمة وقف الهوى بى حيث انت فليس لى متاخر
عنه ولا متقدم الضمير بالاشباع للهوى المراد به محبة المولى اجد الملامة
فى هواك لذيذة اى مع كونها فى غاية المراره عند ارباب السلامة حبا لذكرك
فليلمنى اللوم بضم اللام وفتح الواو المشددة جمع اللائم لقوله تعالى فسوف
ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون
فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم اشبهت اعدائى اى رقبائى فى
قلة وفائى وكثرة جفائى فصرت احبهم اى من غلبة ولائى وقوة صبرى على
بلائى اذ كان حظى منك حظى منهم والحظ بمعنى النصيب سواء يكون من الحبيب
او الرقيب لغد وبتهما عند العاشق اللبيب ولو فى حال الحزن الكئيب وفيه
تنبيه على ما قاله ابو مدين المغربى شعر لا تنكر الباطل فى طوره • فانه بعض
ظهوراته • وكانه ماخوذ من قوله تعالى الذى احسن كل شئ خلقه واهنتنى
اى بالهجر فاهنت نفسى اى بالصبر صاغرا حال كونى ذليلا فى هذا الامر
ما من يهون عليك ممن يكرم ما بمعنى ليس ومن موصول ويكرم بناؤه
مجهول الا ترى الى هؤلاء اى العشاق فى حال البلاء وشدة الاشتياق
كيف يهون عليهم تحمل المشاق اى انواع العناء من الفراق والجفاء فى رؤية
محبوبهم اى فى تحصيل مشاهده مطلوبهم وكيف يتلذذون اى بمرارة
البلاء ويفتخرون به اى فى مقام الوفاء حال الولاء هكذا اى حال اهل الله
من يكون صادقا فى دعواه اى من المحبة ومتحققا فى بلواه اى من المحنة لا يؤثر
فيه تغير الزمان اى وقت الوصال والهجران وطوارق الحدثان اى من
الوفاء والجفاء وسائر انواع اختلاف الشان ومنه قول بعض اهل
العرفان شعر ولا تحسبوا انى قتلت بصارم • ولكن لحاظا رمتنى
باسهم • ولا تقتلوها ان ظفرتم بقتلها بل فسلوها كيف حل لها دمى •
قال بعضهم ذل الفتى فى الحب مكرمة له وخضوعه لحبيبه شرف قيل

ابى الله ان يكون المحب الا ذليلا ومنه قوله تعالى فسوف ياتى الله بقوم
يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اى متواضعين وقد ورد من تواضع لله
رفعه الله رواه ابو نعيم فى الحلية روى انه قيل للحسين بن على رضى الله عنهما
ان اباذر يقول الفقر احب الى من الغنى والسقم بفتحتين وبضم وسكون
اى المرض والعلة احب الى من الصحة فقال رحم الله اباذر اى فى دعوى
الاحبية وانا اقول من اتكل على حسن اختيار الله اى من فقر وغنى وعلة
وصحة لم يتمن انه فى غير الحالة التى اختارها الله وهذا مقام التفويض
والتسليم والرضا بالقضا ووفق تدبير العليم الحكيم ويشير اليه قوله
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده بصيرا وفى
الحديث القدسى ان من عبادى لا يصلحه الا الفقر والسقم ومنهم من
لا يصلحه الا الغنى والعافية ولو غيرت عليهما لا فسدت امرهما اليهما
ويؤيده قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة اى فيما لم يفوض
اليهم الاختيار وفى التنوير فى اسقاط التدبير عن الشاذلى لا تختر فان
كنت يختار فاختر ان لا يختار ومن هنا ما قيل لابى يزيد ما تريد قال اريد
وزاد بعض اهل المزيد بان هذا ايضا نوع اراده من المريد وهذا الاينافى
الاختيار عند الاختيار كما اختاره الاصفياء انواع البلاء واختاره سبحانه
لاكثر الانبياء والاولياء فنهم بقناطير المحن وصلوا الى خزائن المنن ومن
هنا قيل من قاس البلية نال العطية واختار عليه السلام الفقر على الغنى
بقوله اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر وقال على كرم الله وجهه
لو خيرت بين المسجد والجنة لاخترت المسجد دونها اذ فى المسجد رضى
الرحمن ومخالفة الشيطان وفى الجنة شهوة النفس وهواها حكى ان
جماعة دخلوا على الشبلى وهو فى المارستان اى الذى للمجانين كالبستان
مقيدا اى بسلسلة الامتحان فنظر اليهم وقال من انتم فقالوا احباؤك

فرماهم بالحجارة فضربوا فقال يا كذابون تدعون محبتي ولا تصبرون على
ضربي اى بلائي ومحنتي ابعدوا عني اى ولا تقربوا مني كقوله تعالى حكاية
فان لم تؤمنوا لي فاعتزلون ويناسب المقام ما قال عتبة الغلام ان تعذبني
فانا لك محب وان ترحمني فانا لك محب ولله در القائل من ارباب الفضائل
ما يدعي الحب لمولاه من ادعى صح معناه من ادعى شيئا بلا شاهد
لا بد ان يبطل دعواه وقال اخر ما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى ولقد
قال بعض المحبين فليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني
فابتلي بما لم يصبر عليه ولم يسكن لديه فكان يقول لاولاد الكتاب ادعوا
لعمكم الكذاب ومن ادابهم ان لا يتمادت اى في المشي اظهارا للمشيخة
والكبرياء او للخيلاء في ميدان الرياء قال تعالى واقصد في مشيك
وقال ولا تمش في الارض مرحا وهو لا ينافي قوله سبحانه وعباد الرحمن
الذين يمشون على الارض هونا اى هينين لينين متواضعين ولا يعجز
اى ولا يظهر العجز والضعف في اعضائه بل يتجلد ويصبر اى في امر الله
وحسن ادابه لا سيما في نظر اعدائه كما فعله عليه السلام مع اصحابه الكرام
من الاضطباع والرمل في طواف بيت الله الحرام روى ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن القوي اى في الظاهر والباطن احب
الى الله من المؤمن الضعيف اى علما وعملا وفي كل خير اى يرجى منه املا كما
يشير اليه قوله فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما وقولا وكلا
وعد الله الحسنى احرص على ما ينفعك اى في باب التقوى والقرب الى
المولى في الدنيا والاخرى واستعن بالله ولا تعجز اى في الاستعانة
والاستعانة بما سواه اذ لا حول ولا قوة الا بالله فان اصابك شيء الا
مما يكرهه نفسك وعليك استثقل فقل قدر الله وما شاء فعل اى قدر
الله وفق ما قضاه وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن او التقدير قدر الله

مقتضى

مقتضى وما شاء فعل وهو مرضي واياك ولو اى امتنع عن قولك لو كان
كذا لكان كذا ونحو هذا فان لو يفتح بابا من عمل الشيطان اى وسوسته
في التبعيد عن الرضا بقضاء الرحمن وقال ابن عطاء في اوقات البلاء
يتبين صدق العبد من كذبه اى في مقام دعوى الولاء فمن شكر في اوقات
الرخاء وجزع اى ولم يصبر في اوقات البلاء فهو من الكاذبين اى في
دعوى الرضا بالقضاء وقد ورد من احب ان يستجيب الله له الدعاء
في البلاء فليكثر الدعاء في الرخاء قال الله تعالى الم احسب الناس اى
اظنوا وتوهموا ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون اى لا يمتحنون
بالتكاليف في المال والبدن ونزول المحن ووقوع الفتن ولقد فتنا
الذين من قبلهم اى امتحناهم في صدق قولهم وفعلهم فليعلمن الله
الذين صدقوا في محبة مولاهم وليعلمن الكاذبين اى في دعواهم وقال
تعالى ولنبلونكم اى في ميدان اليقين ليظهر اثاركم وانواركم واسراركم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم اى يميز خياركم
وشراركم وسفهاءكم واحباركم فقد قيل عند الامتحان يكرم المرء
او يهان ثم ان البلاء في الانسان بمنزلة الدباغ اى في اهاب الحيوان
يستخرج الرعونات من الانسان اى كما يستخرج الاوساخ من جلود الحيوان
ويصيره الى حالة يمكن الاستفادة منه اى من الانتفاع بالجلوس عنده
مما لا يستغنى عنه وقال الجنيد البلاء سراج العارفين اى نور قلوبهم
وسرور صدورهم في مجالس غيبتهم وحضورهم ويقظة المريدين
اى عن غفلتهم واما لهم في امر الدين وهلاك الغافلين اى عقوبة لمن
ليس من العلماء العاملين وحكى ان جعفر الصادق كان اذا اصيب اى ابتلى
ببلاء يقتضي كربا يقول اللهم اجعله ادبا اى كفارة ومثوبة ولا تجعله
غضبا اى سخطا وعقوبة وكانه مقتبس من قوله عليه السلام عند شدة

الريح وطلام الغمام اللهم اجعله رياحا ولا تجعله ريحا وذلك لان البلاء
منه ما يكون اختيارا اى امتحانا يقتضى اصطبارا ومنه ما يكون تمحيصا
اى تكفيرا للذنوب صغارا او كبارا ومنه ما يكون تاديبا اى تنبيها وتهذيبا
ومنه ما يكون عقوبة اى تعذيبا وخذلانا اى فضيحة وهوانا وقال الحريرى
البلاء على ثلاثة اوجه اى من الدرجات على المخلطين نقم وعقوبات والمراد
بالمخلطين الذين اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقيل
اراد به المنافقين والمرائين وعلى السابقين تمحيص الجنايات اى تكفير السيئات
وتبديلها بالحسنات وكانه اراد بالسابقين التائبين كما قال تعالى الا من
تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وعلى الانبياء والصديقين اى من العلماء والاولياء والشهداء من صدق
الاختيارات اى الامتحانات التى تلذذوا بها فى حالات الاختيارات
وجاء فى الحديث القدسى والكلام الانسى ان اهل ذكرى فى ضيافتى
واهل طاعتى فى كرامتى واهل معصيتى فى رجائى فلم اقنطهم من رحمتى فان
تابوا فانا حبيبهم وان لم يتوبوا فانا طبيبهم اداويهم من المصائب واطهرهم
من المعائب ولا يمكن الوقوف على ادابهم اى مع اصحابهم وسرهم اى طريقتهم
فى سيرهم وسلوكهم فى مقاماتهم وحالاتهم الا بذكر حكاياتهم اى وبيان
رواياتهم ودراياتهم فقد سئل الجنيد ما فائدة المريدين فى الحكايات
اى فى حكايات المشايخ المرادين فقال انها تقوى قلوبهم اى فى امر الدين حيث
يقولون هؤلاء كانوا امثالنا رجالا وقدنا لو ابا العلم والعمل فضلا وكمالا
فقيل هل فى ذلك حجة اى امر ودليل فى كتاب الله عز وجل قال نعم اى اجل قال
الله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك يعنى فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقال فى موضع آخر اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده فينبغى للمريد فى مقام المزيد ان يجعل له وردا

من كلام

من كلام الملك العلام وحصة من مطالعة احاديث النبى عليه السلام
ونصيبا من ملاحظة احوال المشايخ الكرام واقوال العلماء الاعلام ويطلب
على الدوام حسن الاختتام بالموت على الاسلام على وجه الاستسلام
فصل فى ذكر ادابهم فى الرخص
اعلم ان طريقة المشايخ
الكريمة مبنية على الذام العزيمة لقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور ولقوله لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا و
تتقوا فان ذلك من عزم الامور لكن قد يقتضى الحال ان يعمل بالرخصة
فى بعض الاعمال قال النبى صلى الله عليه وسلم على ما رواه احمد والبيهقى
عن ابن عمر ان الله يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه وفى رواية
الطبرانى عن ابى الدرداء وغيره بلفظ ان الله تعالى يحب ان يقبل رخصه كما
يحب العبد مغفرة ربه وهذا مستفاض من قوله تعالى ليس عليكم فى الدين من
حرج مستفاد من قوله سبحانه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام
اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ومن هنا قال عليه السلام
بعثت بالحنيفية السمحة ومن خالف سنتى فليس منى رواه الخطيب
عن جابر وروى احمد وغيره عن ابن عمر ان الله تعالى يحب ان يؤتى رخصه
كما يكره ان يؤتى معصيته فى رواية لاحمد عنه من لم يقبل رخصة الله كان
عليه من الاثم مثل جبال عرفة وسأل عمر بن الخطاب النبى صلى الله عليه وسلم
ما بالنا نقصر الصلوة وقد امنا اى فى حال امننا عن عدونا ولقد قال تعالى
واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم
ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا فقال صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته والامر للوجوب عند الامام الاعظم
والله سبحانه اعلم والحديث رواه اصحاب الكتب الستة فهو فى غاية من

فى ذكر ادابهم فى الرخص

الصحة والرخصة منهل اى مذهب ومشرب ومنزل يرد عليه المبتدى من
المريدين اى فى غالب معاملاته امر الدين ويتخير فيه المتوسط من السالكين
اى فيميل اليه فى بعض الاحوال لاسيما عند اختلاف الاقوال ويستريح
اليه الفائز اى الناجى من اقارب النفس والهوى الراجى وصول مقام التقى
والهدى من العابدين وفى نسخة من العارفين يعنى قد يستروح خصوصاً
فى حال المرض ووقت الكبر وضعف الاعضاء وقوة البلاء ولا يستوطن
فيه المتحققون اى لا يلازمونه ولا ياخذون به غالبا فيما يعملون لانها مسبعة
اى منزل مخوف كثيرة الافات وعظيمة الخطرات الاعلى نية الرحيل اى الارتحال
من ذلك الحال اضطرارا اى لا يفعله اختيارا فالراتع جانب فى الحمى اى
اذا استرسل فيما له لكنى يوشك ان يقع فى الحمى اى يرتع فيه ويقع فيما
لا يناسب مقامه بل ينافيه الا وان حمى الله محارمه اى محرماته وممنوعاته
وفيه ايماء الى قوله عليه السلام الحلال بين والحرام بين وبينهما امور
مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه
وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك
ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى وان حمى الله تعالى فى ارضه محارمه الحديث
رواه اصحاب الكتب الستة عن النعمان بن بشير وكل من انحط عن درجة
الحقيقة اى مرتبة حقيقة الخاصة وقع على طرف الرخصة اى واختارها
فى غير حال الضرورة ومن سقط منها اى تنزل وانحط الى مقام الحرمة وقع
فى الجهل والضلالة والترخص اى طلب الرخصة من غير الضرورة فى مذهب
الصوفية اى القائمين بالكتاب والسنة المصطفوية هو الرجوع عن حقيقة
العلم اى علم اليقين الى ظاهر العلم اى فى امر الدين وذلك اى الرجوع عما هنالك
نقص فى حالهم اى وزوال من كمالهم سئل بعض المشايخ عن سوء ادب
الفقير اى المسمى بالتقصير فقال انحطاطه عن درجة الحقيقة الى الظاهر اى

الرحيل
بيان

الى ظاهر الشريعة والطريقة ولذا قال ذو النون المصرى رياء العارفين
اخلاص المريدين وذلك لان العارف ربما يظهر شيئا من الاعمال او سنة
فى حال الاقوال اما تحدثا بنعمة الله فيما اعطاه من مقامات اليقين او لان
يعمل به بعض المخلصين وربما يحب ان يعرفه الخلق ليقتدوا به فى متابعة
الحق وهذا بخلاف حال المريدين فانه يجب عليهم كتمان افعالهم واحوالهم
لعدم تمكنهم فى مقام اليقين ولا يبعد ان يكون المعنى ان غاية اخلاص
المريدين ان يتركوا العمل فى الدنيا وملحوظه للاخرى وهو نقص بالاضافة
الى اخلاص العارفين الذين لم يعبدوا الله لا لرجاء الجنة ولا لخوف النار
بل بمجرد رضاء ربهم وصفاء قلبهم فى ميدان حبهم او لان اخلاص المريدين
لا يخلو عن رؤية انفسهم فى مقام انسهم بخلاف اخلاص العارفين فانهم
لا يشهدون غير الله ولذا قيل اياك نعبد بفرقه واياك نستعين جمع او جمع
الجمع ولا منع من الجمع باختلاف ارباب الجمع وسئل اى ذو النون عن ذنوب
المقربين اى من الانبياء والمرسلين والاولياء المكملين فقال حسنات الابرار
سيئات المقربين وذلك لانهم اذا قاموا بطاعة عقبوها باستغفار وتوبة
لعدهم تلك الحسنة نوعا من السيئة لما فيه من التقصير ولو ساعة من
الغفلة او خطرة من الرياء والسمعة بخلاف الابرار الذين لم يصلوا الى مقام
الاحرار ربما يظنون انهم فعلوا حسنة فيوجب عجبا وغرورا واذا حقق
لهم راوها سيئة فيوجب رجوعها يستوجب نورا وسرورا ومن هنا
قيل معصية اورثت ذلا واستصغارا خير من طاعة اوجبت عجبا واستكبارا
روى الجنيد بعد موته فى المنام اى لا فى كشف المقام فقيل له ما فعل الله بك
اى عند حسابك وعتابك فقال وبخنى اى بدونى على كلمة سبقت منى اى
صدرت على غفلة منى وزلة عنى وذلك انه سنة احتبس بصيغة المجهول او
المعلوم ان امتنع وحبس على الناس المطر فقلت مع الناس اى من جملتهم اوقع

فيوجب
بيان

جهلتهم ما احوج الناس الى المطر بصيغة التعجب وهذا كان مما ينافى
التوحيد المحقق والتفويض المطلق فقد انحط الى علم الظاهر عن مقام
اليقين وذلك ذنب المقربين فقال اى الرب ما يدرك ان الناس كانوا
يحتاجون الى المطر اى لابد لهم من نزول القطر فانى قادر على ان ارزقهم بالمطر
وغير المطر وربما انزل عليهم المطر ويكون باعثا لهم على البطر وفى نسخة فقال
اما تدرى ان الناس يحتاجون الى المطر اى اما نعلم نحن كقوله سبحانه الا يعلم
من خلق وانى عليم خبير اى عالم بظواهر الاشياء وبواطنها وعلى كل شئ
قدير مع انه قد سبق التقدير وفق التدبير فلا تبديل ولا تغيير اذهب
فقد غفرت لك وفيه تنبيه على ما فى الصحيحين من ان من نوقش فى الحساب
عذب روى ابو هريرة قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم اى جئ وقيل مات
فلان من اهل الصفة وهم الفقراء من ارباب العفة ففى العوارف المعارف
انهم كانوا اربعمائة فى صفة مسجد المدينة يحتطبون ويلتقطون النواة
فى النهار ويبيتون بالتلاوة والعبادة والاذكار مع التزام عدم الادخار
وترك دينارين او درهمين شك من الراوى فقال كيتان صلوا على صاحبكم
اى فانه يصلى على البر والفاجر وامتنع بنفسه ان يصلى عليه ليكون زجرا عما
نسب اليه ووجد لديه وقد صح ان فى الصحابة من خلف بتشديد اللام اى
ترك بعد موته مالا جما بتشديد الميم اى كثيرا ولم ينكر عليه وذلك لانه لم
يكن يزاحم الفقراء فى اخذ الصدقات من الاغنياء وكان بعيدا عن مقام السمعة
والرياء وانما انكر ههنا اى مع قلة ما خلفه وراءه لانه خالف معناه دعواه
اى فكانه كان يدعى الفقر بلسان الحال ويأكل مع المضطرين فى وقت المنال
فلا بد من مراعات الظواهر مع ملاحظة الضمائر الا ترى ان الصلوة طاعة
اى بظاهر فى اركانها ولكن ان لم يكن محدثا اى تاركا لشرائطها فى شانها لقوله
تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الاية وقراءة القران قربة ولكن

ان لم

ان لم يكن جنبا لقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون فمن صلى محدثا او قرأ جنبا
استحق المقت وهو اشد الغضب والعقوبة اى ويكفر ان اعتقد جوازه
او قصد المثوبة وكذا الصوم طاعة لكن فى العيد معصية وقد يعكس القضية
كما ان شرب الخمر معصية لكن عند الاحتياج الى اساغة اللقمة طاعة بل واجبة
وكذلك اكل الميتة معصية وعند المخمصة واجب وقوله صلى الله عليه وسلم
من تشبه بقوم فهو منهم رواه ابو داود عن ابن عمر اراد التشبه لسيرتهم
اى فى طريقتهم لا بلبسهم اى بصورتهم وهيئتهم لانه روى عنه عليه السلام
انه قال نهيا للناس اى تزين لهم بهيئة حسنة بقوله ولباسه اى واظهار
حاله وخالف فى ذلك اعماله والمعنى من خالف ظواهره سرايره فعليه لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين رواه الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة
ولفظه من تزين بعمل الاخرة وهو لا يريدها ولا يطلبها لعن فى السموات
والارض ورواه العقيلى عن عائشة ولفظها ابغض العباد الى الله من
كان ثوباه خيرا من عمله بان يكون ثيابه ثياب الانبياء وعمله عمل الجبارين
وروى الديلمى عن ابن عباس ان الارض لتعج الى الله تعالى من الذين يلبسون
الصوف رياء وهذا محمول على انه اذا كان متشبها لهم بقصد الباطل
واما المتشبه لهم بالحق على قدم الصدق فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم
ويؤيده انه سئل عليه السلام عمن احب قوما ولم يعمل عملهم فقال
مع من احب ويقويه قوله سبحانه ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
مطلب اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ثم ان لهم فى خصهم
ادابا واخلاقا اى اكسابا يحتاج المترخص الى معرفتها والتمسك بها
ليكون موسما بوسمهم اى متسما برسمهم ومتحليا بحليتهم اى ومتزينا
بهيئتهم فى خلوتهم وجلوتهم الى ان تبلغ مقامات المحققين فى احوالهم

اى والمدققين فى افعالهم واقوالهم فمن رخصهم اى فى ايام غصصهم
على ما ورد فى قصصهم اى اربعون خصله تسمى كلّ منها رخصه من جملتها
اتخاذ الضيعه اى وهى المزارعه فقد ورد اطلبوا الرّزق فى خبايا الارض
وهو اما بالزّراعه او التجارة وتشير اليهما قوله تعالى هو الذى جعل لكم الارض
ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النّشور والاستناد الى
المعلوم اى مع قولهم ان المعلوم شوم لكن الرّخصه للضعفاء كما فى ادخار الاشياء
وكان عليه السّلام لا يدخر لنفسه شيئا الى غد ويدخر قدت سنة للنساء
من اموال بنى النضير مما افاء الله على رسوله وجعله للفقراء دون الاغنياء
وكان ما يزيد على نفقة سنة يصرفه الى الخيل والسلاح والقوس والرماح
استعداد الحرب مع الاعداء وادبهم فى ذلك اى مما يجب مراعاته هنالك
ان لا يتملكها لقولهم الصوفى لا يملك ولا يملك بل يجعلها اى موقوفة فى المصالح
اى مصالح المسلمين عامة ومصالح الفقراء خاصة ولا يزيد اى فى الاخذ من مرافقها
ومنافعها على نفقة سنة له ولعياله اى نسائه ولمن يمونه اى من يلزمه نفقته
شرعا ومروه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن عمر رضى الله
عنه انه قال اموال بنى النضير مما افاء الله على رسوله اى انعم عليه على وجه
الغنيمه الخاصّة مما لم يوجف اى لم يسرع عليه المسلمون اى غزاتهم خيلا
ولا ركابا اى لا فرسانا ولا ركبانا فكانت له خاصة اى من غير مشاركة العامه
وكان ينفق منها على اهله اى نسائه واضيافه ومن حضر من اقربائه واحبائه نفقه
سنه وما بقى جعله فى الكراع بالضم اى الخيل والابل والسّلاح اى من الدروع
والسّيوف والقسى والسّهام والرّماح عدة فى سبيل الله لقوله تعالى واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم الاية
ومنها الاشتغال بالكسب وهو الصّنعه قال تعالى يا ايها الذين امنوا ومنها
انفقوا من طيبات ما كسبتم وقد ورد ان اطيب ما اكلتم من كسبكم رواه

الترمذى

الترمذى وغيره عن عائشه وفى الحديث ان الله تعالى يحب ان يرى عبده
تعبا فى طلب الحلال رواه الديلمى عن على ورواه الحكيم وغيره عن ابن عمر
ولفظه ان الله يحب العبد المؤمن المحترف وهى رخصه لصاحب العيال
والوالدين وكذا لمن تلزمه نفقته من ذوى الرحم المحرم والظاهر انه عزيمه
اذا كان قادرا على كسب الحلال لاجل نفقة العيال وكذا الدين الرجال نعم رخصة
لمن ينوى الاستعفاف عن السّؤال وكف الطمع عن ارباب المال وكذا رخص
الكسب لضعيف القلب والحال لا سيما فى اخر الزمان حيث لا يلتفت الاغنيا
الى الفقراء ولو كانوا من العلماء والصّلحاء فقد ورد سيأتى عليكم زمان لا
يكون فيه شئ اعز من ثلاثه درهم حلال او اخ يستانس به او سنة يعمل
بها رواه ابو نعيم فى الحليه عن حذيفه وانما جعل الكسب رخصة لان التوكل
فى امر المعاش والتوجه بالكلية الى زاد المعاد هو العزيمه عند الزهاد والعباد
وادبهم فى ذلك ان لا يشغله ذلك عن اداء الفرائض فى اوقاتها اى بشروطها
واركانها وسننها ومستحباتها وكذا لا يبعثه الحرص على ارتكاب المحرّمات
من البيوع الفاسدة والغش والخيانه فى اموال النّاس وتبعاتها لقوله تعالى
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصّلوة الاية روى انهم
كانوا حدادين وخرازين وكان احدهم اذا رفع المطرقه او غرز الابره فسمع
الاذان
اى علة مستقلة
للرّزق وكسب جرى قلم القضا بما يكون بسبب التحرك والسّكون بل هو
معاونة للمسلمين اى ومدافعة المذلة للمؤمنين ورفع مؤنة عن الواجدين
فقد ورد ليس بخيركم من ترك دنياه لاخرته ولا اخرته لدنياه حتى يصيب
منهما جميعا فان الدّنيا بلاغ الى الاخره ولا تكونوا كلا على النّاس ولا يشتغل
بذلك اكثر اوقاته لقوله عليه السّلام اجملوا فى طلب الدّنيا فان كلا ميسر
لما كتب له منها رواه ابن ماجه وغيره وفى الحديث ليس احد منكم باكسب من

احد قد كتب الله المصيبه والاجل وقسم المعيشه والعمل يجرون فيها الى
منتهى رواه ابو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود وفى حديث اطلعوا الحوائج
بعزة الانفس فان الامور تجرى بالمقادير رواه ابن عساكر وغيره عن عبد الله
ابن بسر بل يجتهد ان يجعل اوقات كسبه من وقت الضحى الى اخر وقت الظهر
لقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا فيلازم مسجده او بيته من الصبح الى
طلوع الشمس مشتغلا بالتلاوة او الافادة والاستفادة وغيرها من
انواع الطاعة والعبادة لما ورد فيه من الفضائل الكثيرة فى الاحاديث
الشهيرة ثم يرجع الى ما بين صحبه اى اصحابه من العلماء العاملين او العباد
العارفين فيصلى معهم الخمس اى خمس صلوات كما عات اخرهن الصبح منهم
الى الضحوة المقبلة من الغداء فيصلى حينئذ صلوة الاشراق فى اول طلوع
الشمس وصلوة الضحى بعده وان فضل من كسبه عن نفقة عياله شيء اثر
به اخوانه اى من الاقرباء والصلحاء واهل صحبته اى من الفقراء والضعفاء
لقوله عليه السلام ابدا بنفسك فتصدق عليها فان فضل شيء فلاهلك
فان فضل عن اهلك شيء فلذى قرابتك فان فضل عن ذى قرابتك فهكذا
وهكذا رواه النسائى عن جابر ومنها ٣ السؤال اى عند ضيق
الحال وشتات البال وادبهم فى ذلك ان لا يسأل الا وقت الحاجة اى
لا قبلها لاحتمال رفعها بدون سؤالها قدر الكفاية اى لا زيادة عليها
لانها تنافى القناعة لمن يمونه اى لمن يلزمه نفقته وفى الحديث المعونة تأتى
على قدر المؤنة ولا يبذل وجهه لمن يهون عليه اى يسهل عنده رده وكذا
اذا كان يذل لديه او ينظر بنظر الحقارة اليه قال النبى صلى الله عليه وسلم
اذا سألت فسئل الصالحين ويؤيده ما رواه ابن عدى عن ابى سعيد اذا سأل
احدكم الرزق فليسأل الحلال ويقويه ابتغوا الخير عند حسان الوجوه رواه الدار
قطنى فى الافراد عن ابى هريرة ورواه جماعة عن جماعة بلفظ اطلبوا ورواه العقيلى

وغيره عن ابى سعيد ولفظه اطلبوا الحوائج الى ذوى الرحمة من امتى ترزقوا
وتنجحوا فان الله تعالى يقول رحمتى فى ذوى الرحمة من عبادى ولا تطلبوا
الحوائج عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا ولا تنجحوا فان الله تعالى يقول
سخطى عليهم ورواه الحاكم عن على بلفظ اطلبوا المعروف من رحماء امتى
تعيشوا فى اكنافهم ولا تطلبوه من القاسية فان اللعنة تنزل عليهم
يا على ان الله خلق المعروف وخلق له اهلا فحببه اليهم وحبب اليهم
فعاله ووجه اليهم طلابه كما وجه الماء فى الارض الجذبة لتحيى به ويحيى به
اهلها
فى الدنيا هم اهل المعروف فى الاخرة

ويتلطف فى السؤال من غير تواضع

قال لعن الله فقيرا تواضع لغنى من اجل ماله رواه الديلمى عن ابى
ذر بزيادة من فعل ذلك منهم يذهب ثلثا دينه ورواه البيهقى فى الشعب
عن ابن مسعود بلفظ من اصبح حزينا على الدنيا اصبح ساخطا على ربه
ومن اصبح يشكو مصيبة فانما يشكو ربه ومن دخل على غنى فتضعضع
له ذهب ثلثا دينه وذلك لان آلة العبادة جنان ولسان واركان
وفى تعظيم الغنى لا بد من استعمال اللسان والاركان والله المستعان
والعاصم الحافظ من مكان المهان ويروى عن جعفر الصادق لا تخضعن
لمخلوق على طمع فان ذلك وهن منك فى الدين اى ضعف فى مقام اليقين
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين
وذلك لحديث من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا
ما يبقى على ما يفنى وقد ورد استغنوا بغناء الله رواه ابن عدى عن ابى هريرة
وفى رواية احمد من استغنى بالله اغناه الله واسترزق الله مما فى خزائنه
لقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وقوله
ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون اى حيث يقولون

لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فان ذلك بين الكاف والنون
مفتاح خزائنه بين حرفي نحن فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ولا خلاف
ان المراد به حقيقة هذا القول في حصول الامر او هو كناية عن سرعة وقوع
القدرة بعد تعلق الارادة وحصول الحاجة من غير التوقف والمهلة وما
يحصل في سؤاله لا يدعه في ملكه اي لا تركه بقصد ماله لان الصوفي
لا يملك لكماله بل يسلمه الى عياله اي ليصرفوا في احتياج حاله وايضا
ليفرغ قلبه عن شغلهم اي الموجب لتشتت باله لكن يشترط ان يكونوا
من العلماء لقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء ولا ينفقه بالسرف لانه لا خير
في السرف كما انه لا سرف في الخير بل يقتصد في النفقة ويتوسط في المعيشة
لقوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
ولحديث الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة رواه البيهقي عن ابن عمر
ولحديث من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله رواه البزار عن طلحة
ولا يجعل السؤال عادة اي بحيث يمنع عبادة ويرفع سعادة فقد ورد
لو يعلمون ما في المسألة ما مشى احد الى احد يسأله شيئا رواه النسائي
ومعلوما له اي بحيث يعتمد عليه ويستند اليه فان المعلوم شوم
ومن يتوكل على الله كفاه وقد ورد ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا
من حيث لا يحتسب رواه البيهقي عن علي وفي الحديث لو توكلتم على الله
حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ومنها
الاستدانة اي الاستقراض من غير ان يكون وفاء لديه على الله عز وجل
اي اعتمادا عليه وادبهم في ذلك ان يكون ذلك للمصالح اي الضرورية
له وللاخوان اي نحو الضيفان او للهفان وعند الضرورة اي لا قبلها
ولا بغيرها فان اصل السؤال من الخلق حرام لتضمنه شكاية للحق واذلال
النفس وايذاء الغير وانما جوز للمضطر ليشاهد الوحدة في كثرة الاشياء

ولا

ولا تغفل عن الاهتمام بالتوجه اي الى الله ولو بالدعاء والاداء اي وبالاداء
حين يقدر على القضاء ولو ببعض الوفاء روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من ادان بتشديد الدال اي استدان دينا وهو ينوي اداءه وقضاءه
وقد وقع لبعض الانبياء في حال الابتلاء منهم الخضر وموسى وسليمان على
ما في الاحياء معجلا او مؤجلا ومات ولم يترك وفاء قضى الله عنه لغريمه يوم
القيمة اي بان يرضيه بما يعطيه ويخلصه عن الملامة والحديث رواه الطبراني
عن ميمونة بلفظ من ادان دينا ينوي قضاءه اداه الله عنه يوم القيمة واما
اذا لم ينو اداءه فهو في حكم السارق انه الفاسق ففي سنن ابن عن صهيب
ايما رجل تدين دينا وهو مجمع ان لا يوفيه اياه لقي الله سارقا ومجمع عازم
ومنها حمل الزاد في الاسفار لقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد
التقوى نزلت في ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون
نحن متوكلون ويقولون نحج بيت الله افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سالوا
الناس وربما يفضي بهم الحال الى النهب والغصب فقال جل ذكره وتزودوا
اي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم قال اهل التفسير الكعك والزبيب
والتمر والسويق ونحوها فان خير الزاد عند الكرام التقوى من السؤال
والابرام واكل مال الحرام وقيل معناه تزودوا الاعمال الصالحة الفاخرة التي
هي كالزاد في سفر الآخرة هذا والظاهر من فعله عليه السلام واصحابه
الكرام وسائر العلماء العظام اخذ الزاد في اسفارهم مع التوكل على الله كما
في ديارهم فينبغي ان يكون هذا هو العزيمة وترك الزاد رخصة لارباب الهمم
الكريمة واما بالنسبة لاصحاب المقاصد اللئيمة فيكون معرضة للمهلكة وله
بما يوجب الشك والريبة فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الكفر والفقر
وكاد الفقر ان يكون كفرا ونسأل الله العافية وحسن الخاتمة الغالية والدرجات
العالية وادبهم في ذلك ان لا يبخل به على من في صحبته ممن يحتاج اليه اي

او يحضر لديه روى اى بسند ثابت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر
اى فانتقص زاد بعض الاصحاب وعين بعض الدواب فامر ان ينادى الا للتنبيه
من كان معه فضل زاد فليعد بضم العين اى فليتفضل على من لا زاد له
الا من كان له فضل ظهر اى ركوب او مركوب فليعد به على من لا ظهر به فذكر
من الاصناف اى من الانواع بعد ذكر الاجناس كالماء والملح والتمر والزبيب
والسويق والشعير والدقيق ونحوها حتى ظننا اى تيقنا انه ليس لنا فى
فضل الذى فى ايدينا حق ليس لغيرنا اى بل ظننا ان غيرنا فى الفضل بشرك
معنا بل هو احق به منا ومنها ٦ الحج عن الغير بالاجرة اى عند الشافعى
وبالنفقة عندنا فانه من الرخصة اتفاقا اذ الاولى تخليص العبادة وادبهم فى
ذلك ان لا يفعله الا عند الضرورة اى حيث لم يوجد غيره فيسعى جهده فى
تخليص الذمة بناء على كمال الشفقة والمرحمة والمعاونة على البر والطاعة ثم
يجعل نفقته فى ذهابه وقفوله بضم القاف والفاء اى رجوعه وايابه
من ذلك اى من ذلك المال وهو متعين عندنا ولا يحل له غيره فان فعل
فقد خالف وضمن المال فقوله لا من السؤال ولا من الاوقات مبنى على
مذهب الشافعى من انه يجوز له ذلك الا ان الادب تركه هنالك قال
النبى صلى الله عليه وسلم اى فى فضيلة الحج عن الغير اذا نوى به الخير من حج
عن ميت حجة كتب للميت حجة وللحاج براءة من النار واختلف العلماء فى
ان الحج يقع عن الامر او عن المامور وللامر ثواب النفقة وبعضهم فرقوا
بين الفريضة والنافلة وكذا حكم العمرة سواء يكون واجبة او سنة هذا
ورواه الدارقطنى فى الافراد عن جابر مرفوعا من حج عن ابيه او امه فقد قضى
حجته وكان له فضل عشر حجج ومنها ٧ الاسفار بطرا السير فى
البلدان بالدوران اى للتنزه والتفرج وادبهم فى ذلك ان يجعل قصده
زيارة اخ اى فى الله استحلالا اى لخصم او لتحصيل رضاه او طلب علم

اى مماينفعه فى دينه ودنياه ومن فوائده نظر الاعتبار لاهل الديار وما وقع
لهم من الدمار فى الاثار لقوله تعالى قل سيروا فى الارض فانظروا وقوله
فاعتبروا يا اولى الابصار ثم يحصل فى عرضه اى فى المعنوى غرضه اى الصورى
فليكن قصده الاول غرضه الاخرى ويتبعه الحظ الدنيوى ان لم يكن من
حبس المؤمن القوى ومنها ٨ القيام اى حال الاجتماع والحركة فى السماع
اى بالتمايل الشامل للانواع وادبهم فى ذلك مراعاة الوقت اى لئلا يصيبهم
المقت وترك المداخلة اى الموافقة خوف الرياء والسمعة والمزاحمة اى بطريق
المزاحمة ما دام الوقت جدا اى وجدا حقيقيا وان كان اى الوقت او السماع طيبة
اى بالتكلف بان يكون تواجدا فيجوز ذلك اى ما ذكر من المداخلة والمزاحمة على
سبيل المساعدة والفسحة اى الوسعة فى طريق الموافقة والمرافقة والمطايبة
اى طيب المجالسة والمؤانسة من غير تشاكل اى اظهار سكر فى فعال ولا اظهار
حال اى فى مقال ومنها ٩ المزاح بكسر الميم مصدر مازحه اذا طايبه
فى الكلام وبالضم اسم ذلك المرام وادبهم فى ذلك مجانبة الكذب لقوله
عليه السلام انى لامزح ولا اقول الا حقا رواه الطبرانى وغيره والغيبة اى
ذكر اخيه المسلم بما يكرهه فى حال الغيبة ولو على طريق الطيبة والحكاية
اى القولية والفعلية على سبيل السخرية والسخف بالضم اى رقة العقل
وغيره فى الفعل ونحوه وما يذهب المروة اى جمال المرء من البهاء والعظمة
التى هى شان ارباب الفتوة قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله لا يؤاخذ
المزاح الصادق فى مزاحه رواه ابن عساكر عن عائشة روى احمد والترمذى
عن ابى هريرة انى وان داعبتكم فلا اقول الا حقا والمداعبة الممازحة والمطايبة
وعن على رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يسر الرجل من
اصحابه اى يجعله مسرورا اذا راه مغموما بالمداعبة اى المطايبة وقد جعله
الترمذى بابا فى كتاب الشمائل وبسطنا الكلام عليه فى شرح جمع الوسائل

ويكره الاكثار منه اي لانه بمنزلة الدواء فيقدر بقدر الداء حال الابتلاء ومنه
قوله عليه السلام لا تمازح اخاك اي كثيرا جمعا بين الاحاديث خاصة لذوي
الهيات اي من المشايخ الكرام والعلماء الاعلام والامراء الفخام فقد قيل
لا يمازح الشريف اي القوي فيحقد عليك اي فيكرهك في باطنه ولا الدني
اي الضعيف السفيه فيجتري عليك اي فيطمع بظاهره وكان النبي صلى
الله عليه وسلم لا يلتفت الى اصحابه اي بل يتغافل عن احوال احبابه مخافة
ان يراهم يمزحون فيتشورون اي فيستحيون وفي نسخة فينتشرون اي يتفرقون
والظاهر انه تصحيف وتحريف وكان بعض اصحابه به رمد اي في احدى عينيه وكان
ياكل التمر وفي رواية الرطب فقال عليه السلام اتاكل التمر اي وهو حار وبك
رمد اي اثر الحرارة قال يا رسول الله انما اكل بالجانب السليم اي لا من الجانب
السقيم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم اي تبسم وهذا يدل على ان الصحابة
الكرام ايضا كانوا يمزحون معه عليه السلام ومنها اظهار العلوم
التي لا يبلغ استعمالها اي تعليم الكتاب والسنة مما يعرف مبناه ولا يعلم
معناه او لا يعلم بفحواه وادبهم في ذلك طلب الافادة والنصح اي وارادة الخير
للمنصوح له في باب الاستفادة والارشاد اي الدلالة على طريق ارباب السعادة
قال النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا بتشديد الضاد المعجمة اي حسن
الله جماله وزين حاله وبلغ كماله حيث سمع مني مقالتي اي قولا وفعلا من
سنتي فوعاها اي فحفظها وحواها محافظة لمبناها فاداها اي الى بعض امتي
كما سمعها اي من غير تغيير في عبارتي فرب حامل فقه اي باعتبار معناه
غير فقيه اي بمعناه ورب حامل فقه اي وهو فقيه كالمحدثين الى من هو افقه
منه كالمجتهدين والحديث رواه جماعة من المخرجين كما بينته في شرح الاربعين
ومنها لبس المرقعات المعمولة اي المصنوعة المقبولة وادبهم فيه مجانبة
الشهرة فيها اي مباعدة الرياء والسمعة منها ولا يصنع اكثر اوقاته في

الاشتغال

الاشتغال بها اي في خياطتها وكسبها وبلفيق بعضها الى بعض اي برعاية
تناسبها والتجاوز اي عن الحد اي في تزيينها اي المبالغة في تحسينها فان
ذلك تفويت الوقت اي الموجب للمقت بلا فائدة دينيه وهي قدر ستر العورة
والاتيان بالسنة الماخوذ من قوله تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد
ولا دنيويه اي ضروريه وهي قدر الكفاية لدفع الحر والقر لقوله تعالى وسرابيل
تقيكم الحر اي والبرد فانه من باب الاكتفاء في العبارة والعاقل يكفيه الاشارة
فكان المشايخ اذا راد الفقير يجاوز اي عن الحد في تزيين مرقعه ولباسه
اي من غيره انكروا عليه اي ولم يلتفتوا اليه حتى قال بعضهم لما فقدوا الفائدة
اي الدينيه من المعارف اليقينية عن بواطنهم اشتغلوا بالظواهر وتزيينها
اي ولم يلتفتوا الى سرائرهم وضمائرهم ولم يعرفوا ان الله لا ينظر الى صوركم
واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم وراى النبي صلى الله عليه وسلم
على بعض الوفود اي الوافدين اليه والقادمين عليه ثيابا رثة بتشديد المثلثة
اي خلقة او وسخة قال الك مال اي يتصور منه جمال وكمال قال نعم قال
فلير بصيغة المجهول اي فينبغي ان يرى عليك اثر نعم الله لظاهر قوله تعالى
واما بنعمة ربك فحدث ولقوله سبحانه لينفق ذو سعة من سعته ومن
قدر عليه رزقه فلينفق مما اتيه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتيها وفي الحلية
لابي نعيم عن ابن عمر مرفوعا ان العبد اخذ عن الله ادبا حسنا اذا وسع عليه
وسع واذا امسك عليه امسك وفي رواية الترمذي وغيره عن ابن عمر
مرفوعا ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وزاد ابن النجار في ماكله و
مشربه اي وملبسه كما يفهم مما تقدم والله اعلم فيستحب التوسط في ذلك
لقوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
ولما رواه الطبراني عن ابن عمر انه عليه السلام نهى عن لبستين المشهورة
في حسنها والمشهورة في قبحها وفي رواية البيهقي نهى عن الشهرتين رقة

الثياب وغلظها ولينها وحشونتها وطولها وقصرها ولكن شدا وفيما
بين ذلك واقتصاد ومنها ١٢ المعانقة عند الملاقاة اى ملاقاة القادم
من السفر وفى معناه من طالت غيبته عنه فى الحضر ومن الاول معانقة النبى
صلى الله عليه وسلم لجعفر حين قدم من الحبشة بعدما هاجر وتقبيل بعضهم
بعضاً اى يد بعض او قدمه او جبينه او رأسه بحسب مقام الشخص وشانه
وعرف زمانه وادبهم اى فيه ان يكون ذلك اى التعانق مع اشكالهم وجنسهم
اى فى احوالهم واهل الانس بهم فى افعالهم واقوالهم روى ان ابا الهيثم بن
التيهان بتشديد التحتية المكسورة وهو من الانصار صاحب النخل والاشجار
وله قصة فى الشمائل وقصة فى الفضائل قال لقد لقينى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى بعض طرق المدينة فاعتنقنى وقبلنى اى من كمال المرحمة والشفقة
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصل المعانقة اى عن سببها فى
مقام الموافقة فقال اثبات المودة اى اظهار المحبة فى حال المرافقة وكان اللائق
من الشيخ ان يذكر المصافحة مفردة او منضمة لانها فى احوال مستحبة لقوله عليه
السلام ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا
رواه احمد وابو داود والترمذى عن البراء ومنها ١٣ حب الرياسة اى نحو
المشيخة والدراسة والجاهات ذات النفاسة وادبهم فيه ان يعرف قدر
نفسه اى مرتبته ويحفظ حده اى مقداره ومنزلته كما يشير اليه قوله سبحانه
فلينظر الانسان مم خلق الاية ولا يتمنى فوق قدره اى اللائق بحالته ولا نزل
الا فى منزلته فقد قيل ينبغى للعاقل ان لا يرفع نفسه فوق قدره اى زيادة عن
مرتبته ولا يضعه عن درجته بل يكون متواضعا فى منزلته من غير ان يقع له
مذلة فى رتبته بين اخوته ولا تكبر على اهل صحبته وقيل ارتفاع الجاهل فضيحة
كارتفاع المصلوب اى فوق الخشبة بالمقلوب لعدم قبول النصيحة وقيل الخمول
اى عدم الشهرة بالفقر باهه خير للجاهل من النباهة اى من حيث ظهور ما فيه من السفاهة

جميع الا

لان الخمول ستر لمعايبه والنباهة نشر لمثالبه لنقص مناقبه ومراتبه ومن هنا
قيل الخمول راحة والشهرة آفة ولا يطلب ما لا يناله فان ذلك يضيع ما فى يده اى
من ماله وحاله وقيل من اقتصر على قدره اى فى طلب جاهه كان ابقى لجمال وجهه
لانه يكون اتقى فمن ذهاب عرضه وقال بعض المشايخ آخر آفة تخرج من قلوب
الصديقين اى من المخلصين حب الرياسة اى الجاه فى امور الدين كمرتبة المشيخة
ورتبة الافتاء والتدريس والقضاء والخطابة والامامة مع الاستحقاق لها وقدرة
القيام بحقها ونقل عن فضيل من احب الرياسة لم يفلح ابداً ولعله اراد
الرياسة الدنيوية او مع عدم الاستحقاق فى الامور الاخروية وفى الجملة حب
الرياسة نقص فى مقام الكياسة كما لا يخفى على ارباب الفراسة قال تعالى تلك
الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين وفيه تنبيه على ان الاخرة خير لمن اتقى كما قال تعالى والاخرة خير لك
من الاولى والكل بيد المولى كما قال وان لنا للاخرة والاولى فالتسليم والرضا
بالقضا هو الاولى ومنها ١٤ التقرب الى السلاطين اى اذا لم يكونوا
من اخوان الشياطين والدخول عليهم اى من غير ضرورة اليهم ولا طمع لديهم
وانما هو لشفاعة وقضاء حاجة ورفع مظلمة وقصد نصيحة وهذا لا يصلح الا
لكامل فى مقام انسه زاهد عن حظ نفسه وادبهم فيه ان لا يسكن الى
مدح المادحين اى فى شعرهم ونثرهم ولا يغتر بقولهم فانه يخالف لفعلهم
كما قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم
يقولون ما لا يفعلون وان مدح بخلاف ما يعرفه من نفسه كعلم وحلم وكرم
وسخاوة وشجاعة وعدالة اعرض عنه اى ولا يسمعه منه قال الله تعالى ذاما
لمن احب ان يمدح بما لم يفعل اى حيث قال لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وفيه دليل على ان من احب ان يمدح بما لم يفعل
من الخير والصلاح لم يأثم غير انه مؤدف اى فيه الآفة مخوف اى فيه المخافة وفى

دلالته نظر لقوله تعالى فی اخر الایه فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ای
بمخلص ومنجاه من الحساب والعتاب والعقاب والحجاب ولیقل عند ذلك
ای مدح المادحین له هنالك اللهم اجعلنی خیرا مما یقولون واغفر لی ما لا یعلمون
ولا یؤاخذهم وفی نسخة ولا یؤاخذنی بما یقولون ای فیما لا یعلمونه وروی عن
علی انه سمع مدح مادح فقال له انا دون ما اظهرت ای من المدح وفوق
ما اضمرت ای من القدح ولعله عرف ان اظهار محبته خلاف ما فی طویته
ومنها ١٥ تعییر السفهاء ای توبیخهم وتثریبهم وتعیینهم باسلافهم
ای من ابائهم واجدادهم فی حال الضجر ای ضیق الصدر عند تقبح فعل
اولادهم زجرا الیهم عن اعمالهم وافسادهم ومنه قوله تعالى ثم اتخذتم
العجل من بعده وانتم ظالمون والادب فی ذلك ان لا یکون ای تعییر الابن
باب او ساقی نسب الا فی مقابلة سوء ادب ای لا بادنی سبب ویکون
تعریضا ای تلویحا مهما امکن لا تصریحا ای الا اذا امعن ولعل هذا بالنسبة
الی الکفار من الاباء والفجار من الابناء وحینئذ یلائم استدلال الشیخ
بقوله روی ان نفرا من الیهود حضروا عند رسول الله صلى الله علیه وسلم
واذوه ای بالفعل وتنقصوا دینه ای بالقول فاشتد علیه ای صعب علیه
الامر فی الحمل فانزل الله تعالى قل هل انبئکم بشر من ذلك مثوبة عند الله
ای جزاء فی ما حکم الله وقضاه من لعنه الله ای طرده عن رحمته وابعده
عن جنته وغضب علیه ای جعله مسخوطا لدیه وجعل منهم القردة و
الخنازیر ای مسخ شبابهم قردة وشیوخهم خنازیر وقیل القردة
اصحاب السبت والخنازیر اصحاب المائدة وعبد الطاغوت ای وجعل منهم
من عبد الشیطان فی مخالفة الرحمان وقرا ابن مسعود وعبد الطاغوت
وحمزة بضم الباء وجر التاء علی انه عطف علی القردة اولئك شر مکانا ای
مرتبة فی الدنیا والعقبی واضل عن سواء السبیل ای طریق الهدى حیث تبعوا

الهوى

الهوى وترکوا عبادة المولى وفی تفسیر البغوی عن ابن عباس قال اتی
رسول الله نفر من الیهود فسالوه عمن یؤمن به من الرسل فقال اومن
بالله وما انزل الینا وما انزل الی ابراهیم واسمعیل الی قوله ونحن له مسلمون
فلما ذکر عیسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم اهل دین اهل حظا فی الدنیا
والاخرة منکم ولا دینا شرا من دینکم فانزل الله قل یا اهل الکتاب هل تنقمون
منا الا ان امنا بالله وما انزل الینا وما انزل من قبل وان اکثرکم فاسقون
هل هل انبئکم الایة فقال صلى الله علیه وسلم یا اخوان القردة وفی الاکتفاء
بها اشعار بان الخنازیر غیرهم والحاصل ان جزاء السیئة جاز بالسیئة فقد
قال تعالى وجزاء سیئة سیئة مثلها وهذا بطریق المشاکلة کقوله تعالى
فمن اعتدى علیکم فاعتدوا علیه بمثل ما اعتدى علیکم وانما جعله رخصة
لقوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره علی الله ولقوله سبحانه وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خیر للصابرین الایة ومنها ١٦
اظهار الطاعات والعبادات لکن بشرط تصحیح النیة وتصفیة الطویة و
وادبهم فی ذلك ان یکون اظهارها لیؤدب به مریدا ویقتدی به مقتد
ای عند اعلامها واشعارها ولا یلتفت ای المطهر الی قبول الخلق وردهم
لان المدار علی نظر الحق وقبوله سئل النبی صلى الله علیه وسلم عن الجهر بالقراءة
والاخفاء ای ایهما اکثر فی المثوبة فی غیر ما تعین فیه الجهر والمخافتة فقال
ای بطریق المقایسة للقراءة علی الصدقة واشعارا بان جمیع العبادات النافلة
حکمها کذلك فی تفصیل المرتبة ان تبدوا الصدقات ای ان تظهروا اعطاءها
فنعما هی ای فنعم شیئا ابداؤها الایة ای وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
علی طریق الاخفاء فهو خیر لکم من الاعطاء علی وجه الابداء حتى ورد مبالغة
فی تعیینه انه ینبغی ان ینفق بحیث لا تعلم بمینه قلت هذا ای ما ذکر من
فضیلة الاخفاء فی الفضائل ای فی القراءات والعبادات والنوافل ای من

الصدقات والمبرات فاما في الفرائض اي المالية والبدنية فلا خلاف في ان اظهارها اولى رفعا للتهمة في تركها العبادة وشعار السنة ودفعا للريبة في نسبته الى البخل وترك الزكاة وليرجع الفقير اليه عند الفاقة والحاجة ومنها ١٧ التبرز للنزهة اي الخروج عن القرية للفرجة مع السرور بالنعمة مما يحسن في الخلوة ولا يستحسن في الجلوة رفعا للكلالة ودفعا للملالة وادبهم في ذلك ان يرتاد اي يطلب خلوة في كهف اي غار بعيد عن دار اغيار ادواد اي لا يحضره احد من اهل بلاد او موضعا اي سوى غيرهما لكن كالبادية يخلو من انواع المنكر اي لا يكون فيه شيء من المنكرات لا من المأكولات ولا من المشروبات ولا من الملبوسات ولا من الآلات والقينات لئلا يتولد منه ما لا يقوم بازالته اي ما لا يقدر السالك بازالة ذلك المنكر في حالته وساعته ثم يتشبه باصحابها اي باهل تلك البقعة ان اقام في مواضع المنكر اي ولو كان منكرا لتلك الصنعة وكان النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه ابو نعيم وابن السني عن ابن عباس يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجاري اي فمن هنا اخذ الرخصة وفي رواية احمد عن انس كان يعجبه الفاغية وفي رواية اخرى كان يعجبه القرع وفي اخرى يعجبه الريح الطيبة ومنها ١٨ النظر الى الملاهي اي المناهي فقد ورد انه كان يعجبه النظر الى الاترج ويعجبه النظر الى الحمام الاحمر وادبهم في ذلك مجانبة المحرمات من النسوان والمنكرات من المردان منها اي من الملاهي فما حرم فعله اي عليه حرم النظر اليه فقد قال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن وقد ورد النظر سهم مسموم من سهام ابليس وقال يا علي لك النظرة الاولى لا الاخرى والحاصل انه يجوز النظر الى الملاهي المباحة روي اي في الصحيحين عن عائشة انها قالت كانت الحبشة تلعب اي بالحربة في يوم

العيد

العيد قرب المسجد وانا انظر اليهم من باب حجرتي وفي رواية انه عليه السلام دعاها فوضعت راسها على منكبه قالت فجعلت انظر اليهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه فلم ينصرف اي هو حتى كنت انا الذي انصرف اي عن النظر اليهم وقد بسطت الكلام على انواع اللهو في رسالة سميتها فتح الاسماع في شرح السماع وبينت فيها ما يجوز وما لا يجوز في حال الافتراق والاجتماع ومنها ١٩ حضور المجالس التي يجري فيها الخوض في ترهات الكلام اي مما لا يعنيه في ظاهر المرام وادبهم في ذلك اي مقام الاهتمام اجتناب سماع الغيبة والمناكير منها اي وسائر انواع الحرام في شرعه عليه السلام ولا يلتفت الى ما يفعله بعض الجهلة من اتباع مشايخ الكرام روي عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة اي في مسجده وغيره وكان اصحابه يتناشدون الشعر اي شعر انفسهم او شعر غيرهم مما يكون حسنا عندهم ويتذاكرون من امر الجاهلية اي من غرائب احوالهم وعجائب امورهم وهو ساكت اي عنهم وربما تبسم معهم كذا في الشمائل في شرحي جمع الوسائل ومنها ٢٠ تناول الاطعمة الطيبة كلحم الدجاجة والفواكه اليابسة والرطبة وادبهم في ذلك ان لا يجعلوها عادة اي مستمرة راتبة بل لا يكون ذلك الا عن فاقة سابقة ورياضة لاحقة ليسلم له ذلك اي ولم يضره هنالك لانه تعالى ذم المتنعمين حيث قال انهم كانوا قبل ذلك مترفين وقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقال ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال عليه السلام ان الله يبغض الحبر السمين رواه البيهقي وفي رواية ان الله يبغض اهل البيت اللحمين واخرج ابن النجار في تاريخه عن عمر قال اياكم والبطنة في الطعام والشراب فانها مفسدة للجسد تورث السقم ومكسلة عن الصلوة وعليكم بالقصد فيها فانه اصلح للجسد وابعد من السرف وان الله يبغض الحبر السمين وعند احمد

فى مسنده والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى شعب من حديث جعدة الجشمى
انه عليه السلام نظر الى رجل سمين فاوما الى بطنه باصبعه لو كان هذا فى غير
هذا لكان خيرا لك روى عن على انه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه
الثريد رواه احمد وغيره بلفظ الثفل بضم الثاء وسكون الفاء وفسر بالثريد
وقيل هو ما سفل فى البرمة والصحفة وكان يعجبه الذراع رواه ابو داود
والترمذى وفى رواية يعجبه الذراعان والكتف وكان يعجبه البطيخ بالرطب رواه
الترمذى وغيره وروى انه كان يعجبه الطيب والحلوا ففى رواية ابى داود والحاكم
عن عائشة كان يعجبه الريح الطيبة وفى رواية ابن عساكر عنها كان يعجبه الحلوا البارد
واما حديث المؤمن حلوى فلا اصل له وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا عرض على احدكم الطيب والحلواء فلا يردهما حتى يمس منهما
رواه مسلم وغيره عن ابى هريرة ولفظه من عرض عليه ريحان فلا يرده فانه
خفيف المحمل طيب الريح وقال صلى الله عليه وسلم انهشوا اللحم نهشا
بالسين المعجمة وقيل بالمهملة يقال نهشه كمنع وسمع اذا اخذه بمقدم اسنانه
ونتفه فانه اهنا وامرا رواه احمد وغيره بلفظ انهشوا اللحم نهشا فانه
اشهى واهنا وامرا وقال صلى الله عليه وسلم سيد طعام اهل الجنة اللحم
لقوله تعالى ولحم طير مما يشتهون وسيد طعام اهل الدنيا اللحم كما هو
مشاهد فيما يطعمون ويطعمون والحديث رواه ابن ماجه وغيره بلفظ سيد
طعام اهل الدنيا واهل الجنة اللحم وله شواهد ففى على رفعه سيد طعام
الدنيا اللحم ثم الارز اخرجه الديلمى من جهة الحاكم وعن بريدة ايضا مرفوعا بلفظ
سيد الادام فى الدنيا والاخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والاخرة الماء
وسيد الرياحين فى الدنيا والاخرة الفاغية رواه الطبرانى وابو نعيم والبيهقى
هذا وروى عن عمر انه اكل الخبز مع السكر وروى ان الحسن البصرى ومالك
ابن انس حضرا فى مائدة فيها الفالوذج فامتنع مالك عن اكله فقال الحسن

مطلب حديث

كله فان نعمة فى الماء البارد اكثر منه ويقال اهل المجاهدة واصحاب الرياضة
طعامهم الخشن وكذا لباسهم واثاثهم والذى بلغ المعرفة لا يوافقه الا كل لطيف
ولذيذ ولا يستانس الا بكل مليح وصبيح وكلام فصيح ومنها ٢١ ورهن
الثياب للطعام اى لا سيما للعيال وللضيف الكرام وادبهم فى ذلك ان لا يكون
ذلك الا عند الضرورة اى لا انهم يظهرون الحاجة وعندهم القدرة ورهن
النبى صلى الله عليه وسلم درعه عند يهودى باوسق من شعير ولعل الحكمة
فى ذلك تسلية فقراء المؤمنين والتواضع مع رب العالمين والتنزل فى مقام
الصبر وعدم الضجر عند الحاجة الى اعداء الدين ومنها ٢٢ الهرب من الهوان
اى المذلة لاهل العدوان ومن تحمل الاذى والجفاء اى مما لا يصلح ان يحمل عنهم
فى مقام الوفاء وحال الصفاء وادبهم فى ذلك طلب سلامة الصدر اى من
الضجر وقلة الصبر واجتناب المعاداة اى عند ضرورة الملاقاة ومراعاة المداراة
قال المشايخ الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين قال الله تعالى يحتمل ان يكون
استشهادا من القائل او اعتضادا من الناقل حاكيا عن كليمه موسى عليه
السلام ففررت منكم لما خفتكم وفيه ان هذا قبل النبوة والرسالة فليس
صالحا للدلالة على تلك المقالة ولان الفرار من الكفار عصم منه الانبياء الابرار
ولذا قيل يكفر من قال ان نبينا صلى الله عليه وسلم هرب من مكة بل يكفر من قال
انه اخرجه اهل مكة المشعر بانه على طريق المهانة لان ما خروجه لم يكن الا بامر الله
على طريق الحقية فهو ما خرج الا باخراج الله اياه واما ما نسب من اخراجه الى اهل
مكة فى الكتاب والسنة فمحمول على السببية فى الهجرة النبوية ثم اعلم ان الصحابة
الكرام اتفقوا على انه عليه السلام ما انهزم يوم حنين ولم ينقل احد قط انه
انهزم فى موطن من المواطن وقد نقل العلماء اجماع المسلمين على انه لا يجوز ان
يعتقد انهزامه عليه السلام ولا يجوز ذلك عليه وقد صرح ابن المرابط من المالكية
ما حكاه القاضى عياض فى الشفاء ان من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم هزم

نقلا

يستتاب والصحيح من مذهب مالك انه يقتل ولا يستتاب والله اعلم
بالصواب وقال الشافعي اظلم الظالمين لنفسه اي في مقام حط حظ انسه
من تواضع لمن لا يكرمه اي لا يرفعه ورغب اي ومن مال في موده من لا ينفعه
اي وعن المضره لا يدفعه وقال اي ومن قال مدح من لا يعرفه اي اذ الغالب انه
في حقه يحرفه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس للمومن ان يذل نفسه
اي الا لمن يوجب عزه وانسه وح يكون من المتواضعين ومنه قوله سبحانه
اذلة على المؤمنين وذلك لما ورد من ان المؤمن اعظم حرمة من الكعبه رواه
ابن ماجه بسندين عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اي من جهة ونظر الى الكعبة اي من بنائه
لحرمة المؤمن اعظم عند الله منك ومنها ٢٣ الانبساط الى الاصدقاء
اي حال الانبساط في قصد منازلهم والالمام اي النزول بهم من غير استدعاء
اي الى ماكلهم واصل ذلك قوله تعالى او صديقكم اي ولا حرج عليكم ان تاكلوا
من بيوت صديقكم وادبهم في ذلك تخصص من تفرح بذلك وتعرف موضع
ذلك من الاكرام اي اللائق بما هنالك فقصد النبي صلى الله عليه وسلم
دارا ابي الهيثم ابن التيهان ومعه ابوبكر وعمر فقدم اليهم ما حضر من تمر
ولبن المعروف من رطب وبسر ثم لحم وقال ليس على وجه الارض اكرم
من ضيفي اليوم فاكلوا وشربوا وقال اي النبي عليه السلام هذا من النعيم
الذي تسألون والحديث بطوله في الشمائل وبسطه في جمع الوسائل ومنها ٢٤
المتابعة مع الاخوان اي اذا صدر شيء من المعايبة في المخاطبة ولو بالمطايبة
وادبهم فيها ان يقصدوا بذلك اي بعتاب صاحبه ازالة ما وجدوا عليه
من قلبه وهو قلة حبه وفي نسخة من قبله اي من جانبه لا للتشفي به اي لا للانتقام
بقوله وفعله بل تطهير القلب من الحقد والفعل اي وما يتبعه من الغش والحسد
وقبول عذر صاحبه اي وان يقصدوا قبول عذره في اظهار فعله وامره فقد
قيل اقبل معاذير من ياتيك معتذرا نصبه على الحال والمعاذير جمع المعذرة ومنه

قوله

قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره ان بر عندك فيما
قال او فجرا بالف الاطلاق اي ان صدق او كذب في المقال فقد اطاعك من
يرضيك ظاهره اي في الجملة وقد اجلك من يعصيك مستترا اي عظمك حيث
ما عصاك مشتهرا لا سيما وقد اتاك معتذرا قيل ظاهر العتاب اي مع الاحباب
في مقام الخطاب خير من مكنون الحقد اي في قلوب الاصحاب من وراء الحجاب فان
العتاب علامة بقاء محبة الاحباب وانشد شعر اذا ذهب العتاب فليس
ود ويبقى الود ما بقي العتاب وكلما يكون المحبة اكثر يكون المعاتبة اظهر اما ترى ان الانبياء
والاولياء يعاتبهم المولى على خلاف الاولى بخلاف الاية لانهم في مرتبة الادنى
روى قنبر مولى علي اي معتوقه قال دخلت مع علي على عثمان وهو امير المومنين
فاحب الخلوة اي اختارها عثمان مع علي فاوما الى علي بالتنحي اي اشار الى بالتباعد
عن القرب فتنحيت ناحية فاخذ عثمان يعاتب عليا وهو مطرق اي راسه ناظر
الى الارض لا يتكلم اي زمانا مليا فقال لم لا تتكلم اي بجواب يكون جليا قال
ان قلت اي ان اظهرت القول لم اقل الا ما تكره اي من الفعل وليس عندي الا ما
تحب اي والحال انه ليس لك عندي الا ما يرضيك في قربي وبعدي وحاصله
انه معترف بما صدر من لسانه وظهر من ذنبه ومعترف من تجربه في وسط
قلبه رضا ربه وحكى ان يحيى بن خالد عاتب عبد الملك بن صالح في شيء كان
بينهما اي مما رماه عنده بعض الحسود وقال اي يحيى في ضمن كلامه انك
لحقود فقال ان كان الحقد عندك بقاء الخير والشر اي الناشئين من
النفع والضر في القلب فانهما ثابتان عندي اي بمقتضى حلم الرب فلما اصبحا
وقام عبد الملك اي عن المجلس وتفاصيا قال يحيى هذا جبل قريش اي في غاية من
الثبات ونهاية التمكين وما رايت احدا زين الحقد بعبارته حتى اذهب
سماجته اي قباحة الحقد باشارته غيره اي في مجلس محاورته ومنها ٢٥
مدح المذموم اي في نفس الامر وذم الممدوح اي مع رفعة القدر في الموضع الذي

يقتضي الصبر او يوجب الضجر وادبهم فيه ان يحفظ حدود الحق في الجانبين
اي بان لا يتعدى في المبالغة عن حد الحط والاطراء ولا يتجاوز متابعة النفس
والقول بالهوى بل يراعي الحق وما يناسب طريق الهدى روى ان رجلين من سادات
العرب اي اشرافهم في النسب حضرا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مجلس
الادب فمدح احدهما صاحبه واطراه اي بالغ في مدحه غاية قصواه وقصر صاحبه
في نظريته اي في مقام محمدته وتزكيته فوجد عليه من ذلك اي غضب عليه هنالك
فاخذ يذكر مثالبه اي معائبه بعد ما ذكر مناقبه فانكر النبي صلى الله عليه وسلم
اي في مقالته وتغير حالته فقال يا رسول الله والله لئن صدقت في الاولى
اي من المدح ما كذبت في الاخرى اي من القدح والانسان لا يخلو من مناقب
ومثالب اي غايته ان احدهما مغلوب والاخر غالب فالراضي لا يرى المثالب
كما في حديث حبك الشيء يعمي ويصم والساخط لا يرى المناقب ولله در القائل
شعر فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فقال
صلى الله عليه وسلم ان من البيان اي اذا كان على الشان جلي البرهان لسحرا
اي سواء كان نظما او نثرا حيث يشابه السحر في تخييل الشيء بخلاف الواقع
في نفس الامر وحديث ان من البيان لسحرا رواه مالك والبخاري والترمذي
عن ابن عمر وزاد احمد عن ابن عباس وان من الشعر حكما وزاد ابو داود عن بريدة
وان من العلم جهلا وان من القول عيالا ومنها (٢٦) هجران من يستحق ذلك
اي بالمقاطعة في السلام والكلام هنالك وادبهم فيه ان يقصد اظهار
الحق اي دون ما في نفسه من الحظ وتمحيق الباطل اي مهما امكن والمعاداة
في الله اي اذا امعن هجر النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري وغيره
كعب بن مالك اي الشاعر قد عمي في اخر عمره وصاحبيه اي مرارة بن الربيع مطلب
وهلال بن امية وكلهم من الانصار لتخلفهم عن غزوة تبوك وفيها قصة
طويلة كما في التفسير والسير الكبير وامر اصحابه بهجرانهم اي حتى في رد السلام

وترك

وترك مجالستهم ومكالمتهم اي مدة خمسين ليلة وامر نساءهم ايضا
باعتزالهم حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها وهو
كناية عن كمال ضيق حالهم وتشتت بالهم وضاقت عليهم انفسهم وهو كناية
عن ضيق صدورهم وعدم حضورهم في امورهم الاية وظنوا ان لا ملجأ من الله
الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ومنها (٢٧) تخريق
المرقعات على اصحابها المزورين اي المدعين انهم من المشايخ وارباب الارادات
واصحاب الكرامات وخوارق العادات والادب في ذلك ان يقصد ابطال
تمويههم اي تزويرهم وخيانتهم اي عدم ديانتهم وفقد رعايتهم وخديعتهم
اي مكرهم وكيدهم وتلبيسهم اي من وساوس ابليسهم قال الله تعالى ولا
تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم اي مكرا وخيانة ودغلا فيما بينكم ومنزلتها اي
المرقعات المزورة منزلة الشعر المزور اي المسترسل المضفور وكذا علامة الاخضر
على منتحل الشرف اي المنتسب الى اهل الشرف في النسب وانه من اولاد العلوية
اي المنسوبة الى علي من جهة الذرية الفاطمية المنتهية الى الذرية النبوية فيجب
انكار ذلك واظهار فساد ما ادعى من النسب اي هنالك لئلا يغتر بهم
من لا يعرفهم ولئلا يشتبه على الناس شرفهم امر النبي صلى الله عليه وسلم
بهدم المسجد الذي اتخذوه اي بعض المنافقين ضرارا اي لاهل الدين وكفرا
اي اظهاره في مقام اليقين وتفريقا بين المؤمنين اي الذين كانوا بقباء في ذلك
الحين واحراقه اي وباحراق ذلك المسجد وجعله مزبلة في المشهد لما علم فسادهم
اي انه كان فاسدا في اتخاذ ذلك ظاهره مسجدا وقال الله تعالى لا تقم فيه ابدا
لمسجد اسس على التقوى الاية اي من اول احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين واختلف فيه ان المراد به مسجد قبا او مسجد
المصطفى فان في كل منهما كانوا ارباب الطهارة والصفا وما قبل هذه الاية قوله
سبحانه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن

حارب الله ورسوله من قبل يعنون به ابا عامر الراهب رئيساً للمنافقين وكان
بالشام واراد ان يدعي النبوة بعد ان يرجع الى ذلك المقام وليحلفن ان اردنا
الا الحسنى اي الخصلة الحميدة في البناء البقعة السعيدة لليالي الظلام واوقات
الغمام وضعفاء اهل الاسلام والله يشهد انهم لكاذبون وذكر بعد الآتين
الآتين آخرين في ذمهم وذم مسجدهم وامر بقطع نخيل بني النضير اي واحرافها
كما في البخاري وغيرهم وهم طائفة من اليهود دخول المدينة من اهل الحقد
والضغينة فقالوا با امر او وفق قضائه وقدره يا محمد زعمت انك تريد الصلاح
ودفع الفساد امن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل في البلاد فانزل الله تعالى
ما قطعتم من لينة اي نخلة في حصولها او تركتموها قائمة على اصولها فباذن
الله اي فيتم لك ليغفر المؤمنين المنافقين وليخزي الفاسقين اي ولهذا الكافرين
والمنافقين ومنها ٢٨ استجازة الكذب اي تجويز صورته المسماة
بالتعريض والتورية في المصالح اي الضرورية في الامور الدنيوية او الاخروية
وادبهم فيه طلب الاصلاح اي اصلاح الحال واظهار الحق اي لا لاهل الضلال
قال الله تعالى في قصة ابرهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فان نسبة
الفعل الى كبيرهم كذب في ظاهره لكن يجوز تجوز نسبة السببية كما ينسب
الهداية الى الانبياء والمرسلين والاضلال الى ابليس والشياطين ولا ريب
ان بغض كبيرهم الذي هو اشد من بغض صغرهم هو الذي حمله على كسر
اكثرهم وقيل التقدير بل فعله فاعله ثم ابتدأ وقال كبيرهم هذا فسئلوهم ان
كانوا ينطقون فلا كذب اصلا ومن جملة ما نسب الى ابرهيم نظير هذا قوله
هذا ربي وتاويله اي بزعمكم او اهذا ربي بتقدير الاستفهام ومنها قوله
لسارة هذا اختي اي في الدين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان في المعاريض
لمندوحة عن الكذب رواه ابن عدي وغيره عن عمران بن حصين وفي قصة
داود عليه السلام اي في الحكاية عن لسان الملائكة ان هذا اخي اي في الدين

له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة اي مثلا في تصوير المسألة والنعجة
كناية عن المراة والتلويح عند الفصيح ابلغ من التصريح حكي ان جعفر الصادق
ناظر مرجئا عند ابي جعفر المنصور والمرجئة طائفة من المبتدعة قائلة بان المعصية
لا يضر مع الايمان كما ان الطاعة لا ينفع مع الكفر ومرادهم ان الله لا يعذب المؤمن
بما صدر عنه من العصيان وهو مخالف لمذهب عامة الائمة من الامة ومعارضة
لظواهر الكتاب والسنة فقال جعفر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بمرجئ فقتله
فقال المرجئ مجيبا له واين كان الارجاء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي حتى ترتب القتل على قائله فقال جعفر فذين لم يكن في عهد رسول الله صلى الله
مطلب عليه وسلم من اين جئت به قال اي معرضا عن المعارضة الى الاعتراض في اسناد
الكلام الى النبي عليه السلام فبم استجزت الكذب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد قال اي في حديث كاد ان يكون متواترا من كذب علي متعمدا
فليتبوأ مقعده من النار يعني وعد العلماء الابرار الكذب على النبي عمدا من اشد
الكبائر بل قيل بكفره فاحتج جعفر بقصة ابرهيم وداود وفيه انه لا يظهر كون
كلام جعفر بطريق قصتهما فتدبر ولعله اراد جواز التوصل بالباطل لاظهار الحق
في المحافل ويؤيده ما رواه الروياني عن ثوبان مرفوعا الكذب كله اسم الا ما
نفع به مسلم او دفع به عن دين ويؤيده ما في الصحيحين ليس الكذاب الذي يصلح
بين الناس فينمي خيرا ويقول خيرا فانقطع المرجئ اي في كلامه والزم في مقامه
بدون مرامه ومنها ٢٩ زيارة العجائز وفي معناهن الشيوخ الهرمى
وادبهم فيه قصد التقرب الى الله عز وجل والتزاور فيه اي في حب الله
وطلب البركة والدعاء اي من اولياء الله روي عن ابي بكر قال اي لاصحابه قوموا
بنا اي معنا فنزور ام ايمن كان رسول الله يزورها وام ايمن هذه هي ام الظبا
ام اسامة بن زيد بن حارثة وايمن هذا هو اخو اسامة لامه خادم رسول الله
صلى الله عليه وسلم واسمها بركة كانت عند عبيد الحبشي فولدت له ايمن

ثم خلف عليها زيد بن حارثة ومنها ٣٠ التكلف مع ابناء الدنيا اى من
الاغنياء ولو كانوا اغنياء والروساء كالوزراء والامراء والسلاطين اى
الملوك المتسلطة على المسلمين والقيام لهم اى عند الابتلاء بهم فى الاحتياج
اليهم وحسن الاقبال عليهم اى تزين المقال لديهم وادبهم فى ذلك ان لا
يكون اى ما ذكر طمعا فى دنياهم اى من جهة مالهم ولا لاتخاذ جاه عندهم بل
يجتنب مجالستهم ومؤانستهم لقوله عليه السلام اتقوا مجالسة الموتى
قيل من هم قال الاغنياء ولقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار
والركون ادنى الميل والحديث بئس الفقير على باب الامير ونعم الامير على باب
الفقير رواه ابن ماجه معنى الشطر الاول عن ابى هريرة رفعه واخرج الديلمي
عن عمر مرفوعا ان الله يحب الامراء اذا خالطوا العلماء ويمقت العلماء اذا خالطوا
الامراء لان العلماء اذا خالطوا العلماء رغبوا فى الدنيا واذا خالطهم الامراء رغبوا
فى العقبى كان النبى صلى الله عليه وسلم يدخل عليه سادات قريش اى اكابرهم
ورؤساؤهم فيكرمهم اى بتليين الكلام ويجلبهم اى يعظمهم بتزيين المقام وتحسين
مجالستهم اى بما يليق بهم من الاكرام وقال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه رواه جماعة
وفى رواية شريف قوم وفى رواية اذا اتاكم الزائر فاكرموه وفى رواية مسلم عن
عائشة انزلوا الناس منازلهم اى من الخير والشر كما فى رواية من هذا القبيل
ما فى التنزيل من قوله سبحانه قولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ومنها ٣١
البكاء عند المصيبة اى بموت الاباء والابناء وسائر الاقارب والعلماء والصلحاء
ولو من الاجانب وادبهم فى ذلك ان يكونوا من غير نوح اى نياحة متعارفة ولا
رفع صوت اى بصياح منكر اما يشعر بالجزع والفزع والضجر وعدم الصبر
خصوصا فى اول الوهلة من الثلمة العظمى لقوله عليه السلام الصبر عند
الصدمة الاولى بكى النبى صلى الله عليه وسلم عند موت ابنه ابرهيم وهو
من الجارية المسماة بالمارية وقال العين تدمع اى ولا يقدر ان يدفع والقلب

يحزن لما فى طبعه من تغيره عند حلول المحن ولا نقول ما يسخط الرب اى يغضبه
ويكرهه بل نقول ما تقتضيه حسن الادب من قول انا لله وانا اليه راجعون وانا
بفراقك يا ابرهيم لمحزونون والحديث ثابت اخرجه المحدثون وفى رواية هذه رحمة
جعلها الله فى قلوب الرحماء ومنها ٣٢ صحبة الاحداث اى المردان وادبهم
فيها ما قد مضى ذكره فى اداب الصحبة وينبغى ان يكون الرهبة فى تلك الصحبة
اكثر من الرغبة فان ذلك منبع كل شر ومنشأ كل فساد وخير كما قيل ان
السلامة من سلمى وجاريها ان لا تحل على حال بواديها فليراقب ربه وليحفظ عينه
وقلبه ومنها ٣٣ اظهار البشر اى طلاقة وجهه مع من يكره قلبه
وادبهم فى ذلك ان يكون القصد فيه طلب السلامة اى من الفحش وما يترتب
عليه من الملامة لا رياء اى ولا سمعة ولا نفاقا اى مخالفة السر والعلانية بل
مداراة وتالفا او وفاقا روت عائشة ان رجلا استاذن على رسول الله صلى
الله عليه وسلم قيل اسم هذا الرجل عيينة ابن حصين الفزارى ولم يكن اسلم
حينئذ وان كان قد اسلم ظاهرا وكان يقال له الاحمق المطاع وانا عنده اى
حاضرة فقال بئس ابن العشيرة او بئس اخو العشيرة اى بئس هذا الرجل
من هذه القبيلة فاضافة الابن او الاخ اليها كاضافة الاخ للعرب فى يا اخا
العرب ومنه قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا واو للشك من الراوى
او بمعنى الواو كما فى رواية البخارى بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فقيل
المقصود اظهار حاله ليعرفه الناس بحاله ولا يغتروا بمقاله ثم اذن له اى
بالدخول فلما دخل الان له القول اى تالفا لديه وفى رواية البخارى تطلق فى
وجهه وانبسط اليه فتعجبت من ذلك اى لمخالفته ما سبق له هنالك
فلما خرج سالته عن ذلك اى عن موجبه وسببه فقال يا عائشة ان من
اشر الناس وفى رواية من شر الناس من اكرمه الناس اى عظموه اتقاء فحشه
والمعروف فى الاصول من تركه الناس او ودعه الناس والمعنى انى انما تركت

الاسماض فى وجهه اتقاء فحشه وفى رواية البخارى متى عهدتنى فحاشا
ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة من تركه الناس اتقاء شره والحديث
رواه الترمذى وغيره وانشد الشافعى لما عفوت ولم احقد على احد اى جمعت
بين المسامحة فى الظاهر والباطن المستفاد من قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين ارحت نفسى من هم العداوات يعنى ولو لم اقدر
على اراحتهم من عداوتهم فقد قال بعض المشايخ فى اربعين يوما وصلت الى
مقام لم اغضب على احد بشئ ولى اربعون سنة ما قدرت على انهم لم يغضبوا
على بلا شئ انى احيى عدوى عند رؤيته اى اسلم عليه واتوجه اليه عند ملاقاته
لادفع الشر عنى بالتحيات اى بقول الخير الذى ليس فيه الضير واظهر البشر
للانسان ابغضه حال اوصفه لما قبله الا انه مناقض للبيت الاول اللهم
الا ان يحمل نفى الحقد على ما يتعلق بحق نفسه او امر الدنيا واثبات البغض من
جهة حق الغير او امر الاخرى كانه قد حشى قلبى المودات اى سابقا او لاحقا ويلايم
الاخر قوله سبحانه ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه
ولى حميم وما يلقيها الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وروى عن ابن عباس
فى قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة اى الفحش والاذى فى الكلام بالمداراة
والسلام ومنها ٣٤ مقاربة اوباش الناس اى مخالطة اراذلهم واسافلهم
على اقدارهم اى على مقدار اقتدارهم فى ديارهم ومقدار عقولهم اى فى ترتيب
حصولهم وتهذيب نفولهم والادب فى ذلك طلب السلامة من غوائلهم
اى من شرورهم الناشى من عجبهم وغرورهم وينشد وانزلنى طول النوى
دار غربة والنوى الفرقة عن الاحبة اذا انا لاقيت الذى لا اشاكله اى لا
اشابهه ولا اماثله وفسر قوله تعالى لاعذبنه عذابا شديدا بجعل الهدهد
مع غير جنسه فى قفص مخامقته حتى يقال سجيه اى معاملة معاملة الاحمق

فى مكالمته ومجالسته فى حقى حتى يقال الحمق طبيعة فى خلقى حيث لا افاضله
ولا افاصله ولو كان ذا عقل لكنت اعاقله اى لعاملته معاملة العاقل فى قوله
وفعله وجالسته فى ميدان فضله ومنها ٣٥ الاعتضاد اى التقوى
والاعتداد بالسفهاء للملمات اى النازلات والحادثات من المهمات ودفع
المضرات المسغلات عن المبرات وادبهم فى ذلك ان يقصد صيانة ماء وجهه
اى وبهاء عرضه ونفسه اى وحفظها عن مواجهة غير اشكاله اى احاسه
وامثاله حال خصامه وجداله قال الاحنف بن قيس اكرموا سفهاءكم اى
راعوهم بالاحسان والاقامة فى الدار فانهم يقونكم اى يصونكم النار اى
فيما يتعلق بالعيب والعار اى فى امور الدنيا وروى ابن سيرين قال كان
ابن عمر يعجبه ان يصحبه سفيه ليرد سفه السفيه اى الاخر عنه صح وانشد تعدو الذئاب
على من لا كلاب له اى تعدى الذئاب فى الثياب على من ليس له ما يدفعهم عن
هذا الباب ويتقى مربض المستاسد الحامى وفى نسخة مرصد بدل مربض والمراد
بهما ماوى الاسود المنزل منزلة الحسود والحامى هو الذى يحمى عرضه عن مكان
عدوه بطوله وعرضه كما يشير اليه حديث كالراعى حول الحمى ومنها ٣٦
ذكر من فيه عيب بما يكره اى ويجعله فى غيب بشرط ان يقع منه ظلم فى فعله
او عدم مبالاة بظهور امره لقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
الا من ظلم وعن الحسن البصرى ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والمعامن
بالفسق والامام الجائر وذلك لانهم يتفاخرون فكيف له يكرهون وادبهم
فيه ان لا يذكر من عيوب الناس الا ما اشتهر منها ولا تجسسوا والحديث
من ستر عورة اخيه ستر الله عورته وافضحه يوم القيمة لئلا يكون هتك
حرمة مستورة اى مكشوفا فيها وقد قال تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
فى الذين امنوا الاية روت عائشة رضى الله عنها انها كانت عند النبى صلى الله
عليه وسلم فدخل عيينة بن حصن اى الفزارى كما تقدم من غير استيذان

ولعله جرى له قضيتين فى صورتين فقال اى النبى عليه السلام ايذن الاستيذان
اى المعروف بين اهل الاحسان فقال لم استاذن على رجل من مضر اى من
قبيلة قريش منذ ادركت اى بلغت فى هذا الامر فقلت من هذا اى فى غيبته او فى
صحبته قال صلى الله عليه وسلم احمق مطاع والظاهر ان هذا الدخول كان
بلا اذن اولا ودخوله ثانيا بالاذن على ما تقدم والله سبحانه اعلم وقال صلى
الله عليه وسلم المستشيره فى امر الخاطبين اى الطالبين نكاح للمرأة وهما
اثنان او ثلاثة فقال اما فلان فشحيح وفى رواية اما معوية فصعلوك
واما فلان وفى رواية اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وهو كناية عن
كثرة ضربه لامرأته او عن كثرة سفره وطول غيبته وفى رواية بزيادة واما اسامة
فتزوجيه وهذا كله لما ورد من ان المستشار مؤتمن فاذا استشير فليشر
بما هو صانع لنفسه رواه الطبرانى فى الاوسط عن علىّ وقال صلى الله عليه وسلم
ان صفوان خبيث اللسان طيب القلب اى صاف الجنان ومنه ٣٧
مواساة الشعراء وامثالهم اى من ارباب الطمع فى مال الدنيا وادبهم فى ذلك
ان يقصد صيانة عرضه عنهم وسلامة دينه منهم اى من التهمة والريبة
والشبهة بكذبهم فى طعن نسبهم او حسبهم واعطاء سولهم اى مسئولهم
او بعض مامولهم اى مطلوبهم ومحصولهم كيلا يأثموا اى فى مقولهم وفق
معقولهم وفى نسخة لئلا يفتروا عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم ما وقى المرء
عرضه فهو صدقة رواه العسكرى وغيره عن جابر مرفوعا روى ان بعض
الشعراء حضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده شعرا وذكر فيه
اى خيرا يعنى وطلب امرا بلسان القال او ببيان الحال وذكر فيه قسمة غنايم
حنين يعنى وقلة حظه القسمة مع كثرة تعبه فى الغزوه فقال انقسم نهبى ونهب
العبيد بين عيينه والاقرع اى اراد بهما عيينه بن زيد والاقرع بن حابس والعباس
ابن مرداس ونحوهم من المؤلفة قلوبهم ممن دخل فى الاسلام ونيتهم ضعيف فى قبول

احكام

احكام الاسلام فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه اى ادفعوا اليه
احسانه ما يردعه سنانه فاعطى خمسا من الابل والظاهر انه كان من المؤلفة قلوبهم
او من المنافقين فى الاعتراض على سهم كما اخبر الله سبحانه بقوله ومنهم من
يلمزك فى الصدقات الايات وروى ان كعب بن زهير بالتصغير كان قد هجا
النبى صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام قد اهدر دمه اى رخص فى
قتله ثم اتاه مسلما اى تائبا مسلما ومدحه بالقصيدة المعروفة اى ببانت سعاد
وقد سعدت بشرحها فتح باب الاسعاد وقال اى كعب فيها اى من جملتها
نبئت ان رسول الله اوعدنى اى خوفنى وهددنى والعفو عند رسول الله
مامول فكساه بردته التى اشتراها معاوية من كعب وفى رواية ابن الانبارى
انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله
مسلول رمى عليه السلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية بذل فيها
عشرة الاف فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم
احدا فلما مات كعب بعث معوية الى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم
وهى التى يلبسها الخلفاء اى العباسية الى اليوم اى الى زمان المصر وقيل وهى
موجودة الآن فى سلاطين بنى عثمان حرسهم الله من افات الدوران قال السخاوى
واما ما ذكره بعض الصوفية من ان الحسن البصرى لبس الخرقة من على بن ابى طالب
فقال ابن دحية وابن الصلاح انه باطل وقال شيخنا الحافظ ابن حجر ليس فى شئ
من طرقها ما ثبت ولم يرد فى خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه عليه السلام
البس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لاحد من اصحابه ولا امر احدا من اصحابه
بفعلها وكلما يروى صريحا فى ذلك فباطل ثم قال والامن الكذب المفترى قول من
قال ان عليا البس الخرقة الحسن البصرى فان ائمة الحديث لم يثبتوا للحسن من على
سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة وكذا قاله الدمياطى والذهبى والعلائى
ومغلطائى والعراقى والابناسى والحلبى وغيرهم نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة

بعض الصوفية من ان الحسن البصرى
لبس الخرقة من على بن ابى طالب
فقال ابن دحيه وابن الصلاح
انه باطل

مطلب

المتصل الى كميل بن زياد وهو صحب عليا من غير حلف فى صحبته له بين ائمة الجرح
والتعديل وفى بعض الطرق اتصالها باويس القرنى وقد اجتمع بعمر بن الخطاب
وعلى بن ابى طالب وهذه صحبة لا مطعن فيها كما بينته فى رسالة مسماة بالمعدن
العدنى الا انه لا يثبت فيها نسبة الخرقة وكذا تلقين الذكر على ما تعارفه المتصوفة
النقشبندية والكبروية وغيرهما من طوائف الصوفية ليس له اصل فى الاخبار النبوية
ولذا اقتصر على الصحبة جماعة الشاذلية ومنها ٣٨ نهب النثار اى
من السكر والثمار على راس العريس بعد الفراغ من الاملاك فى الدار وادبهم فى
ذلك مجانبة الشدة اى الحرص على كسبه وان تقصد ادخال السرور على
صاحبه اى بمد اليد الى جانبه روى معاذ بن جبل قال شهدت املاك رجل
من الانصار اى عقد نكاح له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب عليه
السلام اى بذكر الحمد والثناء على الملك العلام واملك الانصارى اى بحضور
شهوده ولى على امراة منهم او من غيرهم ثم قال على الالاء الله اى هذا العقد على
نعمائه والالفة بين الزوجين والخير اى البركة فى الرزق والطير الميمون اى والفال
المبارك بظهور الولد المشابه بالدر المكنون او المراد بالطير الرزق الحلال المصون
او العمل الصالح الذى غير ممنون ودففوا اى اضربوا بالدف على راس صاحبكم اى
للشهرة كما ورد اعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوه بالدفوف
رواه الترمذى عن عائشة واقبلت السلال الجملة حال وهى بكسر السين جمع
سلة بالفتح جلق من سعف فيها الفاكهة والسكر تنثر عليهم فامسك القوم ولم
ينهبوا اى تادبا معه عليه السلام او صيانة فى ذلك المقام او توافقا لتصحيح
الاحكام فقال صلى الله عليه وسلم ما ازين الحلم اى اذا اجتمع مع العلم الا تنتهبون
يحتمل ان يكون من باب التفعل والانفعال فقالوا يا رسول الله انك نهيتنا عن النهب
يوم كذا اى فنخاف ان يكون منه هذا قال انما نهيتكم عن نهب العساكر اى الغنيمة
اذا كانوا معنا فى المقام الملائم ولم انهكم عن نهبة الولائم وهى جمع وليمة طعام العرس

القائم

القائم ولا يبعد ان يراد نهب العساكر ما ينثر على روس الامراء والوزراء فانه من
باب الرشوة او الرياء والسمعة والحكم يختلف بتفاوت القصد والنية ثم قال
الا اى تنبهوا فانتهبوا اى ولا تتوقفوا قال معاذ ولقد رايته صلى الله عليه
وسلم يجاذبنا اى يدافعنا ونحن نجاذبه اى باخذ الثياب فى ذلك النهاب والحديث
غير معروف الا انه سبق فى تزويج على ما يؤيد ان له اصلا فى هذا الباب والله
اعلم بالصواب ومنها ٣٩ الافتخار اى بنعم الله تعالى واظهار الدعوى
اى فى محبة المولى او فى ادراك اللفظ والمعنى وادبهم فى ذلك ان يقصد به
اظهار نعم الله عليهم اى لا مجرد التفاخر والتكاثر لديهم قال الله تعالى
واما بنعمة ربك فحدث وهو شامل لنعمة الاموال والاقوال والافعال والاحوال
ويكون ذلك عند غلبات الحال اى خروجها عن حد الاعتدال او مفاخرة
ضد اى فى مقام الفراق او الوصال قال صلى الله عليه وسلم عند غلبات الحال
اى واستغراقه فى بحر الوصال ومطالعة الجمال بدون الجلال انا سيد ولد ادم
ولا فخر اى ولا اقول افتخار الحسبى وانما اذكره تحدثا بنعمة ربى او ولا فخر لى
بهذه السيادة بل جل افتخارى بمقام القرب الذى هو غاية السعادة ادم
ومن دونه اى من بعده تحت لوائى اى يوم اعلائى فقد ورد فى مسند احمد
عن ابى سعيد ولفظه انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدى لواء الحمد
ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى وانا اول من ينشق عنه
الارض ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر هذا وقد ورد التحدث
بنعمة الله شكر وتركها كفر اى كفران او ستر وقد قال تعالى فى مواضع و
واذكروا نعمة الله واذكروا الاء الله لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى
حديث مشهور ويؤيده ما رواه البيهقى بلفظ لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتمونى
لضللتم ويقويه قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الاية فقد صح

عن علي وابن عباس ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد
وهو حي ليؤمنن به ولتنصرنه وامره ان ياخذ الميثاق على امته وكان اى النبي
عليه السلام اذا رجع الى نفسه اى وتواضع في مقام انسه يقول انا ابن
امراة تاكل القديد اى اللحم الشديد انما انا عبد اكل كما ياكل العبد رواه ابن
عدي عن انس هون عليك اى هون امرك عليك ورد قلبك اليك فلست
بملك اى ذي ملك يتصور منه وقوع هلك وانما انا عبد اى من عبيد الله
لا يفعل شيئا بغير امر مولاه ففي المواهب انه جاء اليه صلى الله عليه وسلم
رجل فقام بين يديه واخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك
فاني لست بملك جبار انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد بمكة فنطق
الرجل بحاجته وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتاه وفد تميم
ليفاخروه اى في حسبهم ونسبهم ظنا منهم ان يغالبوه ويكاثروه وخطيبهم
معهم وهو الذي ياتي بمدحهم نثرا مسجعا او شعرا مرجعا فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس اى ابن شماس وكان خطيبه اى وبره
رقيبه فاجاب خطيبهم وغلبهم وكان المعالجة بالاضداد ليتبين الصلاح
من الفساد ودعا اى النبي حسان بن ثابت وكان شاعره فاجاب شاعرهم
وذكر اى حسان في قصيدته اى التي شاعرهم بني دارم لا تفخروا ان فخركم
يعود وبالا عند ذكر المكارم هبلتم علينا تفخرون وانتم بالاشباع لنا خول
من بين عبد وخادم وفي نسخة من بين ظر وحادم الخول بفتحتين الحشم والنعم
وهبلتم بصيغة المجهول اى ثكلتم وفقدتم وعلينا متعلق تفخرون على تقدير
همزة استفهامية والجملة بعده حالية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى لشاعرهم لقد كنت غنيا اى مستغنيا غير محتاج يا اخا دارم اى لحد
من قبيلته ان تذكر منك ان تحرك من قبلك ما كان الناس نسوة اى من قبلك
وكان قوله صلى الله عليه وسلم اى هذا التعبير المتضمن للتعيير اشد عليهم

من شعر

من شعر حسان اى لشدة تاثيره في ميدان البيان ومحض الاعيان فقاموا هو
مغلوبين مقهورين ثم اسلموا فاحسن اليهم وكساهم اى فصاروا مجبورين
وكان اول من اسلم شاعرهم وهو الاقرع بن حابس روي انهم جاؤه فنادوه
يا محمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين فلم يزد
عليه السلام في جواب الكلام على ان قال ذلك الله اذا مدح زان واذا ذم شان
اني لم ابعث بالشعر ولم اومر بالفخر ولكن هاتوا فامر عليه السلام ثابت بن قيس
ان يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم فقام الاقرع شاعرهم فقال شعر اتيناك
كيما يعرف الناس فضلنا اذا خالفونا عند ذكر المكارم • وانا رؤس الناس في كل معشر •
وان ليس في ارض الحجاز كدارم وهو قبيلة كبيرة من تميم فامر عليه السلام حسانا
فاجابهم بما تقدم والله اعلم • ومنها الحرد بفتح وسكون اى الغضب
في القلب والضجر اى ضيق الصدر عند وجود المحال وهو ما حول عن جهة الثواب
في المآل وما لا يجب احتماله اى لا يثبت تحمله قولا وفعلا اى في جميع الاحوال
لضيق البال وادبهم في ذلك ان يكون مجتنبا للفحش والبذاء اى بالقول وبحفظ
حدود الحق اى بالفعل ولا يتجاوزه الى الظلم اى ولا يتعدى عن حد العلم فان الغضب
اذا استولى اى على القلب غلب على العقل اى وخرج الفعل عن منهج النقل قال
الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم اى لا يرضى الاظهار
بالقبيح من القول الا من ظلم بالقول او الفعل فيجوز للمظلوم ان يخبر عن ظلم الظالم
وان يدعو عليه لقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل
قال الحسن دعاؤه عليه ان يقول اللهم اعني عليه اللهم استخرج حقي منه قيل
وان شتم جاز له ان يشتم بمثله لكن لا يزيد عليه فقد ورد المستبان ما قالا
فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم من استجهر مؤمنا فعليه
وزره اى من صار سببا لجهر مؤمن في الدعاء عليه او في نسبة الظلم اليه فعليه
اثم المستجهر لديه وقال الشافعي من استغضب بصيغة المجهول فلم يغضب

اى فلم يتأثر فيه فهو حمار اقول بل جدار ولذا قال تعالى فى وصف العلماء العاملين
والكاظمين الغيظ لا العادمين وقال تعالى والذين اذا اصابهم البغى اى الظلم
والتعدى هم ينتصرون اى ينتقمون من الكفار والفجار ويتحملون من المؤمنين
الابرار قيل فى التفسير اى فى تفسير الآية كانوا يكرهون ان يستذلوا اى
بغير المؤمنين واذا قدروا عفوا اى عن المذنبين المتواضعين كما قال تعالى اذلة
على المؤمنين اعزة على الكافرين فيعطون كل ذى حق حقه وياخذون من كل احد
حظه وقال تعالى ولمن انتصر اى انتقم بعد ظلمه اى بعد ظلم احد عليه من كثيرا وقليل
فاولئك ما عليهم من سبيل اى ليس عليهم طريق اعتراض من هذا القبيل ويجتهد
ان لا ينتصر لنفسه اى لحظها وهواها وتحريك الشيطان بل يكون ذلك غيرة اى
حمية منه للحق سبحانه وللاخوان اى من اهل الايمان روى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم ينتقم لنفسه قط اى بل كان يتحمل فى حقه ويتجمل الا ان يهتك
من محارم الله تعالى فينتقم لله عز وجل رواه الترمذى فى شمائله عن عائشة قالت
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من ظلمه ما لم ينتهك من محارم الله
شئ فاذا انتهك من محارم الله تعالى شئ كان من اشدهم فى ذلك غضبا قيل
لبعض العلماء انك لتحتمل اى الاذى فى نفسك اى فى حقها من رفيقك ولا
تحتمل فى صديقك فقال لان احتمالى فى نفسى حلم وهو من الاخلاق المرضية واحتمالى
فى صديقى لوم وهو من الصفات الردية قال الشيخ الامام مقتدى الانام عند
الاختتام هذا ما حضرنى فى الوقت من ادابهم فى الرخص ذكرتها على الاختصار
دون الاكثار اى خوفا من سآمة الابرار وانا ابرا الى الله تعالى من الذلل اى فى
الاصول والغلط اى فى الفروع واساله التجاوز اى العفو عن ذلك اى ان وقع
شئ هنالك وما توفيقى الا بالله اى بعظمته وحفظه لا بما سواه والتوفيق جعل
الشئ وفق التحقيق عليه توكلت اى اعتمدت فى جميع امورى واليه انيب اى ارجع
فيما وقع لى من قصورى ثم ان المذهب اى الصوفى له احوال اى مختلفة ومقامات

اى مؤلفة واخلاق اى حسنة وآداب اى مستحسنة ورخص اى مجوزة
فالرخص ادناها اى والعزيمة اعلاها فمن تمسك بالكل اى ويعطى كل ذى
حق حقه ويفعل كل وقت ما لا يقتضى حظه فهو من المحققين اى الواصلين
الى مقام حق اليقين ومن تمسك بالظواهر من الاخلاق والآداب اى فى
جميع الابواب فهو من المتوسمين اى المتفرسين الواقفين فى مقام علم اليقين
ومن تمسك بالرخص فتادب بما ذكرناه من ادابهم اى المنقولة عن اصحابهم
فهو من المتشبهين الصادقين اى القاعدين فى مقام المقلدين الذين الحقهم
النبى صلى الله عليه وسلم بقوله من تشبه بقوم فهو منهم رواه الطبرانى
وغيره بلفظ من احب قوما حشره الله فى زمرتهم وفى رواية حشر معهم
ومن كثر سواد قوم فهو منهم رواه ابو يعلى عن ابن مسعود مرفوعا هذا اذا
لازم اى واظب المريد وداوم الاصول الثلاثة اى الاتية التى اجمع المشايخ
عليها فكذا اما لجميع العلماء العاملين اليها فان من اخل بها اى بكلها او باحدها
اى ببعضها فقد خرج من احكام المذهب اى على تقدير انه دخل فى هذا المشرب
وتعرى عنها اى ولو بعد ان تلبس بها واكتسى منها وهى اى الاصول الثلاثة
اداء الفرائض اى علما وعملا عسيرها ويسيرها واجتناب المحارم صغيرها
وكبيرها وترك الدنيا على اهلها قليلها وكثيرها الا ما لا بد منها اى لا يستغنى
السالك عنها وهى اربعة اشياء لا مزيد عليها ما اى التى استثنى النبى صلى
الله عليه وسلم اى من امرها فقال ابع فى الدنيا اى لا بد من وجودها و
وليست من الدنيا اى باعتبار ذمها كسرة تسد بها جوعك وخرقة تستر بها
عورتك وبيت يكنك بتشديد النون اى كلبه تسترك وتاديك وتقيك
من الحر اى البرد والحر وزوجة صالحة تسكن اليها اى وتحفظ دينك لديها وتعمد
فى خدمة البيت عليها وما سوى ذلك فليس له اى للمؤمن الكامل حق اى استحقاق
بحيث لا يترتب عليه حساب وعتاب وعقاب وحجاب هنالك والحديث رواه

احمد فی الزهد موصولا والبیهقی فی الشعب عن الحسن مرسلا ولفظه ثلاث
لا یحاسب بهن العبد ظل خص یستظل به وکسرة یسد بها صلبه وثوب یوازی
به عورته قیل للجنید ما یقول فیمن لم یبق فیه من الدنیا ای المذمومة المشغلة عن
صلوة وصلات الا مقدار مص نواه بل یقع علیه اسم التصوف ای مع فقد
صفة من صفات فقال ان المکاتب عبد ما بقی علیه درهم وهو حدیث رواه ابو داود
وبسند حسن عن ابن عمر فهو من المعتدین فی المذهب ای لا قام بما یجب علیه من
ظاهر الشریعة لکن بقی علیه انوار الطریقة واسرار الردیه ثم دوام الحضور مع الله
واستغراقه فی بحر الشهود بحیث یفنی عن خطور ما سواه والحاصل انه لا بد
من تحصیل العوائد الکسبیة ثم ینتظر الفوائد الوهبیه فجذبه من جذبات الحق
توازی عمل الثقلین وان لله فی ایام دهرکم نفحات الا فتعرضوا لها وفی الجملة لا یغتر
عن سیره ولا یفتر عما عنده من خیره ولا ینظر الی من دونه فی دینه بل ینظر الی من هو
فوقه فی امره لیزید فی مقام صبره وشکره وعلیه ان یجتهد ویجد فی طلب الزیاده
والارتقاء فی المعالی ای من السعادة والسیادة لیصیر من المحققین ای فی مقام
الکمال والتکمیل والافادة والاستفادة رزقنا الله الحسنی وزیاده فقد قال
بعض المشایخ من شق علیه رکوب الاهوال لم یرتق الی معالی الاحوال ومن لم
یرتق الی معالی الاحوال لم یبلغ مراتب الرجال قال الله تعالی وان لو استقاموا
علی الطریقة لاسقیناهم ماء غدقا ای رزقا واسعا من بحر الحقیقة وقد ورد ان
الله یحب معالی الامور واشرافها ویکره سفسافها رواه الطبرانی عن الحسین
ابن علی ومن جانب الاصول ای کلها او بعضها او انحط عن درجة الرخصة ای
الی مرتبة الحرام والشبهة فترک ما ذکرناه من ادابها ای لاصحابها واربابها
فی ابوابها فقد فارق المذهب ای المشرب المهذب الذی کسلسلة الذهب فی حسن
الادب ونای بجانبه ای اعرض عن باب الله وتبعد عن قرب جنابه ووقع هوی
نفسه واودیة حجابه وحرم علیه ارفاقهم ای منافعهم وارزاقهم وارفاقهم

اى

ای لعدم التخلق باخلاقهم ویلزم الجماعة ای الصوفیة مفارقته وهجرانه ای ظاهرا
وابعاده وخذلانه ای عدم نصرته باطنا ومن داهنه منهم فی شیء ای من اثاره فهو
شریکه فی عاره ای الذی نصیبه فی داره ولا عذر له فیه ای فی احتراقه بناره قال الله
تعالی ومن یتولهم ای یجعل الکفار اولیاء والفجار اصفیاء فی مقام الاخلاء منکم ای ایها
المؤمنون الاجلاء فانه منهم ای فی مقام البلاء وحال الابتلاء ثم اعلم ان من ادعی
المشیخة فاما ان یکون افضل الخلق ولحقهم واصدقهم واما ان یکون اکذبهم وافسقهم
ولو کان من نسل المشایخ واسبقهم ولیحذر کل الحذر عما وقع من عموم الفساد فی
بعض البلاد فتنة للعباد والعُبّاد حیث جعلوا المشیخة بالارث فی النسب
من غیر تحقیق فی الحسب کما جعل الملک الظاهر محصورا فی ذریة السلاطین
وان کانوا فی طریقة الشیاطین حتی لم یعتبر العوام متابعة سادات العظام وعلماء
الکرام ومشایخ الفخام ولو کانوا قرشیین وهذا المقام ومجمل الکلام فی هذا المرام
ما قاله بعض العلماء الاعلام من ان الخلق کلهم هلکی الا العالمون والعالمون کلهم
هلکی الا العاملون والعاملون کلهم هلکی الا المخلصون والمخلصون علی خطر
عظیم ای من زوال اخلاصهم الموجب لخلاصهم وقال بعضهم اصحبوا مع
الله فان لم یطیقوا فاصحبوا مع من یصحب مع الله وهذا معنی قوله تعالی
یا ایها الذین امنوا اتقوا الله وکونوا مع الصادقین جعلنا الله تعالی من الصادقین
ای المؤمنین المخلصین الموافقین دون طائفة المرائین والمنافقین والحقنا
بالمحققین ای فی امر الدین بمنه وجوده ای فی مقام فضله وشهوده وعصمنا
من الفواحش ای الکبایر ما ظهر منها وما بطن ای من جمیع المحن والفتن
ووفقنا لطلب مرضاته ما خفی منها وما عین ای من طاعاته وعباداته ونفعنا
وجمیع المسلمین بما جمعنا ای فی هذا الکتاب مما یقتضی وصالا ولا جعله علینا
وعلی من نظر فیه ای بمطالعته وکتابته وبیان مبانیه ومعانیه وبالا ای ما یکون
سبب الوبال مالا ولا جعل حظنا من ذلک جمعه ای مجرد جمعه وحفظه ای ضبط

لفظه دون استعماله ومتابعته كما يحب في حقه ليكون وسيلة حظه بجوده
اي بكرمه وعنايته وسعة رحمته اي انعامه ورعايته وحمايته ووقايته انه
قريب اي بعباده مجيب اي وفق مراده وعلى ما يشاء قدير اي وبالاجابة جدير
والحمد لله اولا واخرا وباطنا وظاهرا والصلوة والسلام على نبينا شاهدا
وحاضرا وعلى سائر اخوانه من الانبياء والمرسلين وعلى اله واصحابه الطيبين
الطاهرين وسائر العلماء العاملين والصلحاء الكاملين
والحمد لله رب العالمين

حرره مؤلفه رحم وسلفه وخلفه في يوم الجمعة الجامعة والساعة اللامعة من
اواخر ذي القعدة الحرام عام ثلاثة عشرة بعد الالف من هجرة النبي عليه السلام
وذلك بمكة المكرمة المشرفة المعظمة زادها الله تعالى
الكرامة والمهابة ولمن يحلها المثوبة والمثابة

وقد بدات هذه النسخة الشريفة في المكة المكرمة
واتممتها بالمدينة المنورة النورانية
المطهرة في الثامن عشر من شهر
ربيع الثاني لسنة ثلث
واربعين ومائة
والف

اللهم ارزقني زيارته واجعل موتي في بلد رسول الله آمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وآله اجمعين

من يد العبد الفقير حافظ الحاجي حسين بن الحاجي محمد الامام الاسلامبولي
غفر الله لهما ولجميع المسلمين آمين آمين آمين
والحمد لله رب العالمين

ومنهم سعيد بن زيد رضي الله عنه كان مجاب الدعوة وكان يقول من اراد ان يستجيب الله دعوته فلا يعصي
ربه لا سرا ولا جهرا وادعت عليه اروى بنت اوس عند مروان انه اخذ لها قطعة من ارضها فقال سعيد
اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في ارضها فعميت ثم انها وقعت في حفرة في ارضها فماتت
توفي رضي الله عنه بالعقيق وحمل الى المدينة فدفن بها سنة خمس وخمسين
رضي الله تعالى عنه

ومنهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كان من عباد الصحابة وكان اذا قام للصلاة كانه عود
من الخشوع وكان اذا سجد يطيل السجود حتى تنزل العصافير على ظهره لا تحسبه الا جدار حائط
وكان يحيي الليل فتارة يحييه بركعة وتارة يحييه بسجدة وتارة بالقيام حتى يصبح من غير سجود
فيسجد بعد الفجر وكان يسمى حمامة المسجد قتل رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين وهو
ابن اثنين وسبعين سنة وصلب على باب الكعبة وكان اطلس لا لحية له قتله الحجاج
حين بويع له بالخلافة واطاعه اهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان واقام في الخلافة
تسع سنين ثم حاصره الحجاج بمكة والله اعلم

ومنهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان من عباد الصحابة وزهادهم لم يضع لبنة على
لبنة ولا غرس شجرة منذ مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان رضي الله عنه
يقول يا ابن آدم صاحب الدنيا ببدنك وفارقها بقلبك وهمك وكان يقول لا يكون الرجل
عالما حتى لا يحسد من فوقه ولا يحتقر من دونه ولا يبتغي بالعلم ثمنا والله اعلم

نقل من كتاب لواقح الانوار القدسية
في مناقب العلماء والصوفية تاليف
الشيخ عبد الوهاب بن احمد بن علي
الشعراني عليه رحمة الباري

فصل في الاعتكاف

عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر
من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه من بعده
وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يعتكف صلى الفجر ثم
دخل معتكفه الحديث وهما عند مسلم

وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتكف يدني الي راسه
فارجله وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان رواه مالك في الموطأ وهو متفق عليه
وعنها انها قالت السنة على المعتكف ان لا يعود مريضا ولا يشهد جنازة
ولا يمس امراة ولا يباشرها ولا يخرج الا الى ما لا بد له منه ولا اعتكاف
الا بصوم ولا اعتكاف الا في مسجد او جامع اخرجه ابو داود من حديث
عبد الرحمن بن اسحق عن الزهري وهو عند الليث عن عقيل عنه بزيادة
في اوله قبل قولها السنة وفيه والسنة فيمن اعتكف ان يصوم
فزعم بعضهم انه من قول بعض الرواة

نقل كتاب الالمام باحاديث الاحكام
تاليف الشيخ الامام العالم الحافظ
تقي الدين ابي الفتح محمد بن الشيخ الامام
محب الدين ابي الحسن علي بن وهب
ابن مطيع القشيري
عليه رحمة الباري

باب القرض والديون

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اخذ اموال الناس يريد اداها الله ومن
اخذها يريد اتلافها اتلفه الله اخرجه البخاري

وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر رجلا من بني اسرائيل سال
بعض بني اسرائيل ان يسلفه فدفعها اليه الى اجل مسمى فذكر الحديث
الف دينار

اخرجه البخاري
نقل من المزبور